

The Islamic University of Gaza
Deanship of Research and Graduate Studies
Faculty of Ossoul El-Deen
PhD of Interpretation & Sciences of Quran



الجامعة الإسلامية بغزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
كلية أصول الدين
دكتوراه التفسير وعلوم القرآن

المجتمع المسلم ودوره في الصعود الحضاري في ضوء القرآن الكريم
(دراسة موضوعية)

**The Muslim Society and its Role in the Rise of
Civilization in the Light of the Holy Qur'an
(An objective study)**

إعداد الباحثة
سماح جمال البسيوني

إشراف
الأستاذ الدكتور
صبحي رشيد اليازجي

قُدِّمَ هَذَا البَحْثُ إِسْتِكْمَالًا لِمَتَطَلِبَاتِ الحُصُولِ عَلَى دَرَجَةِ الدُّكْتُورَاهِ فِي التَّفْسِيرِ وَعُلُومِ القُرْآنِ
مِنْ كَلِيَّةِ أُصُولِ الدِّينِ فِي الجَامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ بِغَزَّةِ

ربيع أول / 1423هـ - أكتوبر / 2021م

إقرار

أنا الموقعة أدناه مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان:

المجتمع المسلم ودوره في الصعود الحضاري في ضوء القرآن الكريم (دراسة موضوعية)

The Muslim Society and its Role in the Rise of Civilization in the Light of the Holy Qur'an (An objective study)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	سماح جمال البسيوني	اسم الطالبة:
Signature:	سماح جمال البسيوني	التوقيع:
Date:		التاريخ:



نتيجة الحكم على أطروحة دكتوراة

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ سماح جمال احمد البسيوني لنيل درجة الدكتوراة في كلية أصول الدين/ قسم أصول الدين/ التفسير وعلوم القرآن وموضوعها:

المجتمع المسلم ودوره في الصعود الحضاري
في ضوء القرآن الكريم
(دراسة موضوعية)

The Role of the Muslim Society in the Civilised Promotion in the light of the Noble Qur'an (Objective study)

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الثلاثاء 9 جمادي الأولى 1443 هـ الموافق 2021/12/14م الساعة العاشرة صباحاً، في قاعة مؤتمرات مبنى اللحيان اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

.....	مشرفاً ورئيساً	أ. د. صبحي رشيد اليازجي
.....	مناقشاً داخلياً	أ. د. زكريا ابراهيم الزميلي
.....	مناقشاً داخلياً	د. زهدي محمد أبو نعمة
.....	مناقشاً خارجياً	أ. د. رمضان خميس عبد التواب

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الدكتوراة في كلية أصول الدين/ قسم أصول الدين/ التفسير وعلوم القرآن.

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. يوسف ابراهيم الجيش



ملخص الدراسة باللغة العربية

تهدف هذه الدراسة إلى بيان أهمية التجمع البشري وأثره في عمران الأرض، وترقية الحياة؛ للنهوض بالخلافة، كما أوضحت الدراسة الأثر الحضاري للمجتمع الإسلامي الأول على أنحاء المعمورة، ودوره في صعود الأمم ورقي المبادئ الإنسانية، وذلك من خلال بيان مميزات قواعد البناء المجتمعي للمسلمين، ودور عنصر الثبات الإيماني، الذي أسبغ على المجتمع الأول طابعاً فريداً، جعل منه قدوةً للآخرين فكرياً ومدنياً.

وتحقيقاً لذلك كان هذا البحث مكوناً من فصل تمهيدي وثلاثة فصول، وخاتمة اشتملت على أبرز النتائج والتوصيات.

ومن أبرز نتائج البحث ما يأتي:

- 1- المجتمع الإسلامي مجتمع إنساني محكوم بشرع الله ﷻ، غير مقيد برقعة معينة ولا جنس إنساني واحد، امتاز برقي الأهداف، وأولها تخلص البشرية من الرق والعبودية لغير الله تعالى، وبيان الطريق الواضح للناس في المعاملات الدينية والدنيوية على حدٍ سواء.
- 2- أثبت المجتمع الإسلامي الأول بالدليل القاطع والبرهان الواضح مقدرته على قيادة العالم البشري نحو الحضارة الإنسانية.
- 3- أرسى الدين الإسلامي قواعد مثالية لبناء المجتمعات يهدف؛ لتحقيق النهضة المجتمعية والاستقرار النفسي للأفراد.

وأوصت هذه الدراسة بما يأتي:

- 1- توصي الباحثة بمواصلة البحث في هذا الموضوع لمن أراد أن يضيف جديداً من العبر والعظات.
- 2- توصي الباحثة كلية أصول الدين بعقد مؤتمر علمي عن الصعود الحضاري للأمة الإسلامية لترسيخ مفاهيم الحياة، فالعلماء أئمة الإصلاح في الأرض، وسُبل عمارتها.
- 3- القيام بمحاضرات وندوات تثقيفية تبين الأثر الحضاري للمجتمع الإسلامي؛ لتعزيز الثقة في نفوس أبناء الأمة الإسلامية بأمجاد أمتهم العريقة.

Abstract

This study aimed at showing the importance of human community and its impact on the construction of the earth, and the promotion of life and establishment of the caliphate. The study also clarified the civilized impact of the first Islamic society on all parts of the globe, and its role in the rise of nations and the advancement of human principles through clarifying the characteristics of the rules of social constructs for the Muslim society, and the role of faith stability elements, which gave the first society a unique character, making it an example for others intellectually and culturally.

To achieve the objectives of the study, it was divided into an introductory chapter, three chapters, and a conclusion that included the most important findings and recommendations.

The most important findings of the study:

- The Islamic society is a human society governed by the law of Almighty Allah, not restricted to a specific territory or one human race, distinguished by the sublime goals, the first of which is to free humanity from slavery and servitude to other than Allah Almighty, and to clarify the clear path for people in religious and worldly transactions alike.
- The first Islamic society proved with conclusive evidence and clear proofs its ability to lead the human world towards human civilization.
- The Islamic religion laid ideal bases for building societies that aim at achieving societal renaissance and psychological stability for individuals.

The most important recommendations of the study:

- The study recommends continuing the research on this subject for those who want to add new lessons and sermons.
- Enriching the Islamic library with Quranic studies, especially the aspects of human civilization that touch contemporary reality the Islamic nation is going through of confrontation with falsehood.
- Conducting educational lectures and seminars showing the civilizational impact of the Islamic society to enhance the confidence in the souls of the people of the Islamic nation with the glories of their ancient nation.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي
الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي
ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي
شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

[النور: 55]

الإهداء

- ❖ إلى من أرجو من الله ﷻ أن يُسعدني بصبحته في الآخرة، ألا وهو رسول الله ﷺ.
- ❖ إلى من خُضت دروب العلم بفيض تراتيل دعواتهما، وبركة أنفاسهما، من ألبساني ثوب العلم ، والديّ الحبيبين حفظهما الله.
- ❖ إلى سكن الحياة، وعوني في مسيرتي، ورفيق دربي، الذي دعمني في مشواري، فما بخل عليّ بوقت أو جهد؛ لأنجز هذا العمل، زوجي (أبو مصطفى) حفظه الله.
- ❖ إلى جمال الدنيا وزينتها، ومن استوطنوا قلبي، ونظموا عقدَ نجاحي، أولادي فلذات كبدي وقرة عيني، من رافقتني دعواتهم الصادقة البريئة فترة دراستي (مصطفى ومحمود وجنان وزيد) حفظهم الله.
- ❖ إلى القلبين الحنونين، اللذين منحاني الدعم والتفاؤل والثبات، والدا زوجي (أبو الحارث وأم الحارث) حفظهما الله.
- ❖ إلى الجواهر المضيئة إخوتي وإخوة زوجي، والدرر المصونة أخواتي وأخوات زوجي حفظهم الله جميعاً.
- ❖ إلى من سرنا سوياً ونحن نشق درب النجاح، رفيقات دربي بالدراسة اللواتي أكن لهن كل الاحترام.
- ❖ إلى كل من دعا لي بالخير وأمدني بالنصح والإرشاد.
- ❖ إلى فلسطين الحبيبة، وأرواح الشهداء وإلى الأسرى والمسرى.

إلى هؤلاء جميعاً أهدى هذا العمل المتواضع وفاءً وتقديراً

شكر وتقدير

انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [النمل: 40]، ونزولاً عند قوله ﷺ: "مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ" (1)، فالشكر لله أولاً وآخرأ عرفاناً بفضلته وتوفيقه، أن وفقني وأعانني على إتمام هذا البحث، ومنحني شرف العلم والتعلم، كما وأُسجل في هذا المقام شكري وتقديري وعظيم امتناني إلى أستاذي ومشرفي:

فضيلة الأستاذ الدكتور/ **صبحي رشيد اليازمي**، حفظه الله ورعاه، وأنزل عليه من رحماته على ما حظيت به من إشرافه الوجيه ونصحه السديد طوال فترة الإشراف، فله مني كلُّ التقدير وُجُلُ الشكر والعرفان.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة، الذين تفضلوا بقبول مناقشة رسالتي، وتقويمها بأرائهم النيرة، وأسأل الله أن ينفعني بملاحظاتهم وتوجيهاتهم السديدة؛ لتتقيد الرسالة وتحسينها؛ لتخرج بأبهي حُلة، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

فضيلة الأستاذ الدكتور/ **زكريا ابراهيم الزميلي** حفظه الله

فضيلة الدكتور/ **زهدي محمد أبو نعمة** حفظه الله

فضيلة الأستاذ الدكتور/ **رمضان خميس عبد التواب** حفظه الله

والشكر موصول للصرح الشامخ الذي طالما أفخر بالانتماء إليه، إلى منارة العلم ومهد العلماء، (الجامعة الإسلامية)، كما لا أنسى في هذا المقام أن أرسل برفقيات شكر وعرقان لجميع أساتذتي في كلية أصول الدين، ممثلةً بعمادتها وأقسامها الثلاثة، وخاصة قسم التفسير وعلوم القرآن على ما بذلوه من جهود جبارة؛ للارتقاء بطلاب وطالبات العلوم الشرعية، فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

ولا يفوتني في هذا المقام؛ خفضاً لجناح الإخلاص، وحفظاً لجميل المعروف أن أعرب عن تقديري وعظيم امتناني لمن أوصاني ربي بطاعته زوجي الغالي، الذي وقف بجانبني واحتمل معي أياماً صعبة؛ لأجل إتمام هذه الرسالة، فله مني خالص الشكر والتقدير.

وفي الختام أشكر كل من ساهم في إخراج هذا البحث بهذه الحُلة، أو قدم لي نصحاً، أودعا لي في ظهر الغيب فلهم مني جزيل الشكر والتقدير.

الباحثة/ **سماح جمال البسيوني**

(1) سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، عن أبي هريرة، ح(1954)، (399/4)، قال أبو عيسى: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

قائمة المحتويات

إقرار.....	أ
نتيجة الحكم.....	ب
ملخص الدراسة باللغة العربية.....	ت
Abstract.....	ث
اقتباس.....	ج
الإهداء.....	ح
شكر وتقدير.....	خ
قائمة المحتويات.....	د
المقدمة.....	1
أولاً: أهمية الموضوع:.....	1
ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:.....	2
ثالثاً: أهداف البحث وغاياته:.....	2
رابعاً: الدراسات السابقة:.....	3
خامساً: منهج البحث:.....	3
سادساً: هيكلية الدراسة:.....	4
الفصل التمهيدي: عمارة الأرض وضرورة التجمعات البشرية وانعكاسهما على الحضارة....	8
المبحث الأول: عمارة الأرض ضرورة حضارية.....	9
المطلب الأول: مفهوم عمارة الأرض.....	9
أولاً: تعريف عمارة الأرض لغةً واصطلاحاً.....	9
ثانياً: عمارة الأرض من المنظور القرآني.....	10
المطلب الثاني: عمارة الأرض ضرورة حضارية.....	14
أولاً: مقاصد عمارة الأرض.....	14

17	ثانياً: صور عمارة الأرض.....
25	المطلب الثالث: مفهوم الاستخلاف وعلاقته بعمارة الأرض.....
25	أولاً: مفهوم الاستخلاف لغةً واصطلاحاً:.....
26	ثانياً: الاستخلاف من المنظور القرآني.....
27	ثالثاً: العلاقة بين عمارة الأرض وأمانة الاستخلاف.....
29	المطلب الرابع: أهمية الإصلاح في الأرض ووجوب النهي عن الإفساد فيها.....
29	أولاً: أهمية الإصلاح في الأرض.....
31	ثانياً: نماذج من العمارة الإيجابية في الأرض:.....
34	ثالثاً: النهي عن الفساد في الأرض.....
36	رابعاً: نماذج من العمارة الفاسدة في الأرض:.....
39	المبحث الثاني: ضرورة التجمعات البشرية وانعكاسها على الحضارة.....
39	المطلب الأول الحتمية الضرورية من وجود التجمعات البشرية.....
39	أولاً: ضرورة التجمع البشري.....
40	ثانياً: موجز للتجمعات البشرية في التاريخ منذ عهد آدم □.....
41	المطلب الثاني أواصر التجمعات البشرية وانعكاسها على الحضارة.....
44	الفصل الأول: المجتمع الإسلامي وأثره في بناء الحضارة الإسلامية، ومدى تمسكه بالثوابت من منظور قرآني.....
45	المبحث الأول: مفهوم المجتمع الإسلامي وقواعد بنائه وأثرها في رعاية الفرد.....
45	المطلب الأول: مفهوم المجتمع الإسلامي.....
45	أولاً: مفهوم المجتمع من المنظور اللغوي والاصطلاحي والقرآني.....
55	ثانياً: تعريف المجتمع الإسلامي.....
57	المطلب الثاني: قواعد بناء المجتمع الإسلامي وأثرها على الفرد والمجتمع.....
57	أولاً: قاعدة البناء العقدي.....

62	ثانياً: قاعدة البناء الدعوي والأخلاقي
65	ثالثاً: قاعدة البناء الاجتماعي
75	المطلب الثالث: المنهج القرآني وأثره في رعاية الفرد
75	أولاً: تعريف المنهج القرآني:
77	ثانياً: خصائص المنهج القرآني:
81	ثالثاً: جوانب الرعاية القرآنية للفرد
107	المبحث الثاني: أثر عناصر المجتمع الإسلامي الأول في بناء الحضارة
107	المطلب الأول: مراحل تكوين المجتمع الإسلامي الأول
107	أولاً: واقع ما قبل البعثة النبوية
108	ثانياً: العهد المكي
111	ثالثاً: العهد المدني
114	المطلب الثاني: عناصر المجتمع وأثرها في بناء الحضارة الإسلامية
114	أولاً: العنصر البشري
128	ثانياً: العنصر الطبيعي
131	ثالثاً: العنصر التنظيمي (نظام الحكومة النبوية)
132	رابعاً: العنصر المعنوي
138	المبحث الثالث: مواطن الثبات والخلقة في المجتمع الإسلامي
138	المطلب الأول: مواطن الثبات في المجتمع الإسلامي
138	أولاً: تعريف الثبات لغةً واصطلاحاً
139	ثانياً: الثبات في المنظور القرآني
141	ثالثاً: مواطن الثبات في المجتمع الإسلامي
161	المطلب الثاني: مواطن الخلقة في المجتمع الإسلامي
161	أولاً: تعريف الخلقة لغةً واصطلاحاً

161	ثانياً: الخلخلة في القرآن الكريم.
163	ثالثاً: مواطن الخلخلة في المجتمع الإسلامي.
170	الفصل الثاني: الصعود الحضاري للإسلام ومدى توافق بعض الحضارات المذكورة في القرآن للقوانين القرآنية.
171	المبحث الأول: الصعود الحضاري للإسلام مفهومه ومميزاته وأثر عوامله في ازدهار الحضارة الإسلامية.
171	المطلب الأول: مفهوم الصعود الحضاري.
171	أولاً: مفهوم الصعود من المنظور اللغوي والاصطلاحي والقرآني.
174	ثانياً: مفهوم الحضارة من المنظور اللغوي والاصطلاحي والقرآني.
177	ثالثاً: تعريف الصعود الحضاري.
178	المطلب الثاني: مميزات الحضارة الإسلامية.
178	أولاً: حضارة ربانية المصدر:.
178	ثانياً: حضارة إنسانية النزعة:.
179	ثالثاً: حضارة عالمية الأفق والرسالة:.
179	رابعاً: حضارة راقية الأصول:.
180	خامساً: حضارة ثابتة الأسس والمبادئ:.
182	سادساً: حضارة بناء وإنتاج:.
183	سابعاً: حضارة عقل وعلم وعمل:.
183	ثامناً: حضارة تفاعل وحيوية:.
185	المطلب الثالث: عوامل صعود الحضارة الإسلامية.
185	أولاً: عوامل عقدية.
186	ثانياً: عوامل سياسية.
187	ثالثاً: عوامل اجتماعية.

189	رابعاً: عوامل اقتصادية
190	المبحث الثاني: قوانين الحضارات المذكورة في القرآن الكريم.....
190	المطلب الأول: قوانين قرآنية للحضارات.....
190	أولاً: تعريف القانون لغةً واصطلاحاً:.....
191	ثانياً: القانون في القرآن الكريم:.....
192	ثالثاً: قوانين قرآنية للحضارات.....
198	المطلب الثاني حضارات ذُكرت في القرآن
216	الفصل الثالث: مظاهر الحضارة في المجتمع الإسلامي كما صورها القرآن (دراسة تطبيقية)
217	المبحث الأول: مظاهر الحضارة الفكرية في المجتمع الإسلامي
217	المطلب الأول: السبق العلمي في أغلب العلوم.....
217	أولاً: حث الإسلام على العلم والتعلم.....
220	ثانياً: إسلامية المنهج العلمي للبحث.....
223	ثالثاً: تقييد العلوم وكتابتها.....
227	المطلب الثاني: حرية الذات والرأي.....
227	أولاً: تجفيف منابع الرق:
231	ثانياً: ممارسة الحرية المنضبطة.....
236	المطلب الثالث: القيم السلوكية والحضارية التي تفرد بها القرآن الكريم.....
236	أولاً: الحوار الحضاري.....
239	ثانياً: مظاهر النزعة الإنسانية للفكر الإسلامي.....
241	ثالثاً: تكريم المرأة:
244	رابعاً: الأخلاق الحربية:.....
249	المبحث الثاني: مظاهر الحضارة المدنية في المجتمع الإسلامي
249	المطلب الأول: الأمن واستقرار الإدارة السياسية.....

249	أولاً: إقامة الحكومة الإسلامية:.....
251	ثانياً: تعيين رُتب الصدارة (الخلافة والوزارة).....
252	ثالثاً: التدرج الهرمي في المراتب الإدارية.....
256	المطلب الثاني: مظاهر حضارة الأنظمة الإدارية في المجتمع الإسلامي
256	أولاً: أصالة أدوات النظام الإداري:
257	ثانياً: استقلال النظام القضائي
258	ثالثاً: تكامل المنظومة الاقتصادية الإسلامية.....
262	المطلب الثالث: بعض التطبيقات العملية لأنظمة المجتمع الإسلامي الأول.....
262	أولاً: الحِسبة.....
264	ثانياً: بيت مال المسلمين:.....
265	ثالثاً: هندسة العَمارة الإسلامية.....
268	رابعاً: ضوابط البناء والإعمار في القرآن الكريم:
271	الخاتمة
271	أولاً: أهم النتائج
273	ثانياً: أهم التوصيات.....
275	المصادر والمراجع
289	الفهارس العامة
290	أولاً: فهرس الآيات القرآنية.....
329	ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.....
332	ثانياً: فهرس الأعلام المترجم لهم.....

المقدمة

الحمد لله الرحمن الرحيم، ذي السلطان العظيم، والمن القديم، والوجه الكريم، والكلمات التامات، والدعوات المستجابات، والمشينات النافذات، الذي لا يتم شيء من ذوي الإرادات إلا بإذنه وتيسيره، وإمداده بالحوول والقوة، فإنه لا حول ولا قوة إلا به.

والصلاة والسلام على أنبل باني حضارة عرفها التاريخ محمد بن عبد الله العربي الهاشمي الأمين، الذي أنزل عليه القرآن المبين، ومثله معه من وحي وتبيين، والرضى التام على أصحابه الكرام الذين بنوا صرح تلك الحضارة الشامخة بدمائهم وجهودهم فكان لهم الفضل على كل من نغم بخيراتها إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن مما يشهد بالقيمة الحضارية والثقافية لأمة ما، ما تحققه من مبادئ إنسانية زاهية، تتجاوز حدودها لتعم بإنسانيتها الآخرين، ولو خالفوا في الدين والجنس واللغة.

ونظراً لما يدور في هذا الزمان الحديث عن التطور والحضارة والرقى، وقد سلط أهل كل ملة الضوء على حضارته وجلسوا يخططون لحاضر ومستقبل أمتهم إلا نحن المسلمين تركنا التخطيط، في ظل غياب وحدة الأمة وفرقتها وضعفها؛ لذا فقد رأيت الباحثة أن تختار بحثها بعنوان: **المجتمع المسلم ودوره في الصعود الحضاري في ضوء القرآن الكريم (دراسة موضوعية)** وذلك في إطار دراسة تفسيرية موضوعية محكمة.

سائلةً ربي أن يلهمني الصواب والسداد، وأن يرزقني حسن النظر والاستدلال والاستنباط.

أولاً: أهمية الموضوع:

تظهر أهمية هذا الموضوع من خلال عدة أمور أذكر أهمها:

- 1- تعلق هذا البحث بأشرف الكتب الذي يعدُّ الاشتغال به عبادة تقربنا إلى الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: " **خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**" (1).
- 2- ارتباط موضوع البحث بواقع الأمة الإسلامية وبما تعانيه من تغول وظلم واستبداد ووصفها بالحضارة المتردية.

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب **خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**، ح(5027)، (192/6).

- 3- تُظهر الدراسة أهمية دور المبادرة في صعود المجتمع المسلم حضارياً، وتطبيقها في حياة النبي ﷺ وأصحابه الميامين ﷺ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
- 4- بيان المقصود بالمجتمع المثالي هو المجتمع الذي يسير وفق مبادئ وقيم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة التي تجمع بين الدين والدنيا.
- 5- توضح الدراسة أن الصعود الحضاري يكون نتيجة ارتقاء فكري لأفراد المجتمع يؤدي بدوره إلى تغيير اجتماعي عميق ينجم عنه تطور وصعود في كافة مناحي الحياة الاقتصادية والسياسية والفكرية.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

- من أهم الأسباب التي دفعت الباحثة لاختيار هذا الموضوع:
- 1- إبراز مكانة المجتمع المسلم ودوره في ترسيخ مفهوم المجتمع المثالي.
 - 2- حاجة الواقع الإسلامي الملحة لبعث الأمل في النفوس في ظل هيمنة الغرب على مقدراته، وما تعانيه الأمة من حالة التردّي الحضاري، والتشتت.
 - 3- كثرة النداءات التي تملأ الآفاق داعيةً بعودة النهضة الإسلامية.
 - 4- الرغبة في بيان أسباب الفساد الذي تعاني منه المجتمعات وبيان أسس قيامها كما يصورها القرآن الكريم .
 - 5- استجابةً لتوجيه أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور: صبحي رشيد اليازجي - حفظه الله - لدراسة هذا الموضوع .
 - 6- إثراء المكتبة العلمية ببحث علمي محكم يتناول هذا الموضوع بشكل مستفيض في إطار دراسة تفسيرية موضوعية.

ثالثاً: أهداف البحث وغاياته:

- لهذا البحث أهداف وغايات عديدة أذكر أهمها:
- 1- ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى، فهو أسمى ما أرجوه من كتابة هذا البحث المتواضع.
 - 2- إبراز معالم المجتمع المسلم في ضوء القرآن الكريم من خلال مشاهد حية من السلف الصالح.
 - 3- النهوض بمعنويات أبناء الأمة الإسلامية من خلال هذا الموضوع.

- 4- بيان أن القرآن الكريم هو حبل الله المتين، ودستوره الخالد، ولا سبيل للعودة إلا به.
- 5- إبراز دور القرآن الكريم في علاج القضايا المعاصرة والمستجدة، وإيجاد الحلول المناسبة لها.

رابعاً: الدراسات السابقة:

بعد التصفح في محركات البحث والمواقع عبر الشبكة العنكبوتية، والاتصال ببعض الجامعات، لم أجد رسالة علمية محكمة تحمل هذا العنوان، ولكنني وقفت على بعض الكتب التي تحدثت عن بعض جوانب البحث، وهي:

- 1- الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني دمشقي (المتوفى: 1425هـ)، دار القلم - دمشق، 1418هـ-1998م.
- 2- على عتبات الحضارة - بحث في السنن وعوامل التخلق والانهيار، بتول أحمد جندية، الناشر: دار الملتقى للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، 1432 هـ - 2011 م.
- 3- بناء المجتمع الإسلامي، د. نبيل السمالوطي، الناشر: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة: الثالثة 1418هـ-1998م.
- 4- عوامل استقرار وازدهار الحضارة الإسلامية، نظام الأسرة في الإسلام نموذجاً، د. جابر الوند، مدير عام الجمعية الكويتية للتواصل الحضاري، مجلة الفنون والعمارة، العدد التاسع، 2018م.
- 5- قوانين القرآن للحضارات دراسة قرآنية لأحداث التاريخ، خالد فائق العبيدي، دار الكتب العلمية، 2005م.

خامساً: منهج البحث:

اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي والاستنباطي، ودراسته دراسته موضوعية، وفق منهج التفسير الموضوعي، وذلك في الخطوات الآتية:

- 1- جمع الآيات القرآنية ذات الصلة بعنوان الدراسة.
- 2- كتابة الآيات مشكّلة بالرسم العثماني برواية حفص عن عاصم، مع عزو الآيات إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن.

- 3- توزيع الآيات القرآنية على فصول البحث ومباحثه ومطالبه.
- 4- الرجوع إلى أمهات كتب التفسير القديمة والحديثة، وتفسير الآيات المتعلقة بموضوع الدراسة.
- 5- وضع العناوين المناسبة للفصول والمباحث والمطالب.
- 7- تفسير الآيات القرآنية تفسيراً إجمالياً وفقاً لطبيعة البحث في التفسير الموضوعي، وربطها بالواقع المعاصر.
- 8- بيان معاني المفردات اللغوية بالرجوع إلى مصادرها الأساسية.
- 9- تخريج الأحاديث النبوية والآثار المتعلقة بالموضوع حسب الأصول، مع بيان حكم العلماء عليها إلا إذا كانت في الصحيحين.
- 10- الاستدلال بأقوال العلماء والمفسرين مع التوثيق في الحاشية حسب الأصول مع الاستعانة بمصادر ومراجع قديمة وحديثة مما له علاقة بالبحث.
- 11- الوقوف على اللطائف والإشارات والعبر والعظات، واستنباط الأحكام التي تخدم موضوع البحث، مع ربط الموضوع بواقعنا المعاصر بما فيه من مستجدات.
- 12- عمل تراجم للأعلام المغمورين من مظانها.
- 13- مراعاة الدقة والأمانة العلمية في التوثيق في المتن والحواشي، وإسناد الأقوال لأصحابها بكل أمانة ونزاهة علمية.
- 14- خدمة البحث بالفهارس اللازمة للآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأعلام والمصادر والمراجع والموضوعات وذلك؛ لتسهيل الانتفاع بهذه الدراسة.

سادساً: هيكلية الدراسة:

تحقيقاً لتلك الأهداف والغايات، فقد اشتملت خطة البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وفهارس كما يأتي:

المقدمة:

وتشتمل على:

- 1- أهمية الموضوع.
- 2- أسباب اختيار الموضوع.

3- أهداف البحث وغاياته.

4- الدراسات السابقة.

5- منهج البحث.

6- هيكلية الدراسة.

الفصل التمهيدي

عمارة الأرض وضرورة التجمعات البشرية وانعكاسهما على الحضارة

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: عمارة الأرض ضرورة حضارية

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم عمارة الأرض

المطلب الثاني: عمارة الأرض ضرورة حضارية

المطلب الثالث: الاستخلاف وعلاقته بعمارة الأرض

المطلب الرابع: أهمية الإصلاح في الأرض ووجوب النهي عن الإفساد فيها

المبحث الثاني: ضرورة التجمعات البشرية وانعكاسها على الحضارة.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الحتمية الضرورية من وجود التجمعات البشرية

المطلب الثاني: أواصر التجمعات البشرية وانعكاسها على الحضارة

الفصل الأول

المجتمع الإسلامي وأثره في بناء الحضارة الإسلامية، ومدى تمسكه بالثوابت
من منظور قرآني

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم المجتمع الإسلامي وقواعد بنائه وأثرها في رعاية الفرد.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم المجتمع الإسلامي.

المطلب الثاني: قواعد بناء المجتمع الإسلامي وأثرها على الفرد والمجتمع.

المطلب الثالث: المنهج القرآني وأثره في رعاية الفرد.

المبحث الثاني: أثر عناصر المجتمع الإسلامي في بناء الحضارة.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: مراحل تكوين المجتمع الإسلامي.

المطلب الثاني: عناصر المجتمع وأثرها في بناء الحضارة الإسلامية.

المبحث الثالث: مواطن الثبات والخلخلة في المجتمع الإسلامي.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: مواطن الثبات في المجتمع الإسلامي.

المطلب الثاني: مواطن الخلل في المجتمع الإسلامي.

الفصل الثاني

الصعود الحضاري للإسلام ومدى توافق بعض الحضارات المذكورة في القرآن للقوانين القرآنية

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: الصعود الحضاري للإسلام مفهومه ومميزاته وأثر عوامله في ازدهار الحضارة الإسلامية.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الصعود الحضاري.

المطلب الثاني: مميزات الحضارة الإسلامية.

المطلب الثالث: عوامل صعود الحضارة الإسلامية.

المبحث الثاني: قوانين الحضارات المذكورة في القرآن الكريم.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: قوانين قرآنية للحضارات.

المطلب الثاني: حضارات ذُكرت في القرآن.

الفصل الثالث

مظاهر الحضارة في المجتمع الإسلامي كما صورها القرآن (دراسة تطبيقية)

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: مظاهر الحضارة الفكرية في المجتمع الإسلامي.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: السبق العلمي في أغلب العلوم

المطلب الثاني: حرية الذات والرأي

المطلب الثالث: القيم السلوكية الحضارية التي تفرد بها القرآن الكريم

المبحث الثاني: مظاهر الحضارة المدنية في المجتمع الإسلامي.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأمن واستقرار الإدارة السياسية

المطلب الثاني: مظاهر حضارة الأنظمة الإدارية في المجتمع الإسلامي

المطلب الثالث: أبرز التطبيقات العملية لأنظمة المجتمع الإسلامي

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الباحثة.

الفهارس:

وتشتمل على:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية حسب ترتيبها في المصحف.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة والآثار.

ثالثاً: فهرس الأعلام المغمورين.

رابعاً: ثبت المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.

الفصل التمهيدي

عمارة الأرض وضرورة التجمعات البشرية
وانعكاسهما على الحضارة

المبحث الأول عمارة الأرض ضرورة حضارية

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول مفهوم عمارة الأرض

لقد عد القرآن الكريم موضوع عمارة الأرض مقصداً عاماً من مقاصد الشريعة الإسلامية؛ يهدف لحفظ نظام الأرض واستمرار صلاح المستخلفين فيها، فالذي لا يتم الواجب إلا به فهو واجب؛ لأن الوسائل لها أحكام المقاصد (1).

أولاً: تعريف عمارة الأرض لغةً واصطلاحاً

1- تعريف العمارة لغةً:

العمارة لفظ على وزن فعالة، مشتق من مادة عَمَر، (عمر): العَمْرُ والعُمْرُ والعُمُرُ الحياة، يقال قد طال عَمْرُهُ وعُمُرُهُ، ومنه الإعمار والتعمير وهو كل ما يبني على وجه الأرض من مبانٍ، يقال الشجرة العمرية هي العظيمة القديمة التي أتى عليها عمر طويل، ويقال: عَمَّرَ الله بك منزلك فهو يُعمره عمارة وأعمره جعله أهلاً، ومكان عامرٌ: ذو عمارة. (2)

وزاد مجمع اللغة العربية بالقاهرة: (العمارة) نقيض الخراب، والبنيان هو ما يُحفظ به المكان وشعبة من القبيلة، وعُمِّرَ المنزل بأهله كان مسكوناً بهم، فهو عامر، وعَمَّرَ الأرض: بنى عليها وأهلها، وفي التنزيل العزيز قال تعالى: ﴿هُوَ أَذْشَأْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: 61] و (فن العمارة) فن تشييد المنازل ونحوها وتزيينها وفق قواعد معينة، (العمران) البنيان وما يُعمر به البلد ويحسن حاله بوساطة الفلاحة والصناعة والتجارة وكثرة الأهالي ونجاح الأعمال والتمدن، وعلم العمران عند ابن خلدون علم الاجتماع. (3)

(1) انظر: تيسير أصول الفقه للمبتدئين، محمد حسن عبد الغفار، (2/ 14).

(2) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (4/ 601-604).

(3) انظر: المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، (2/ 627).

2-تعريف العمارة اصطلاحاً:

- عرفها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: " العمارة هي كل ما يُبنى على وجه الأرض بهدف التنمية العمرانية التي تسعى إلى خدمة الفرد والمجتمع، وتستجيب لكافة متطلباته، سكنية وإدارية وثقافية وغيرها ولا تتعارض مع العقيدة الإسلامية" (1)
- وخص الرازي عمارة الأرض الخربة بقوله: " إحياء الموات" (2) .
- وعُرفت: "عمارة الأرض: جعلها عامرة غير خلاء وذلك بالبناء والغرس والزرع" (3).
- وتُذكر في مجلة البيان: " عمارة الأرض كما يسميها ابن خلدون: هي إقامة الحضارة، وهي من مهمات الإنسان الأساسية الكبرى، وقد قام بها الإنسان جيلاً بعد جيل، وأمة بعد أمة، وكلما تعبت أمة تلتق الراية أمة فتية" (4).

والتعريف الذي توصلت إليه الباحثة أن (عمارة الأرض): (هي تعمير الأرض بالعمل الصالح المادي والمعنوي الذي يساهم بالانتفاع بخيراتها بلا إفساد ولا تخريب، وإشاعة الحياة والنماء فيها، ومحاولة استصلاح أحوالها بما ييسر للإنسان الحياة الطيبة، ويحقق مرضاة الله تعالى).

ثانياً: عمارة الأرض من المنظور القرآني

إن المتأمل في آيات الذكر الحكيم يدرك بأن الله ﷻ خلق الإنسان في هذا الكون؛ ليعيش فيه ويستمتع بما سخر له فيه من النعم، ثم يقوم بدور المرء الصالح الذي يحافظ على مقدرات البيئة ويحسن استخدامها ويعمر في الأرض ويتشارك فيها مع غيره، وقد توالى آيات القرآن الكريم في الحديث عن هذا الدور لبناء حضارة راقية، فقد وردت اشتقاقات مادة (ع م ر) في القرآن الكريم واحداً وعشرون موضعاً⁽⁵⁾، سأذكر منها ما يخص موضوع البحث.

(1) موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في مصر، (ص: 464).

(2) مفاتيح الغيب، الرازي، (7 / 9).

(3) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (21 / 57).

(4) العدد (238)، مجموعة من المؤلفين، (36 / 42).

(5) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، فؤاد عبد الباقي، (482-483).

أ- الآيات التي تتحدث عن (عمارة الأرض) مباشرة:

م	الكلمة	الآية التي وردت فيها	السورة	رقم الآية	مكية أو مدنية
1	يَعْمُرُوا	﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ ﴾	التوبة	17	مدنية
2	يَعْمُرُ	﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾	التوبة	18	مدنية
3	عِمَارَةٌ	﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾	التوبة	19	مدنية
4	وَأَسْتَعْمِرْكُمْ	﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾	هود	61	مكية
5	عَمَرُوهَا	﴿ وَأَنْزَلْنَا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾	الروم	9	مكية
6	نُعَمِّرْكُمْ	﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ ﴾	فاطر	37	مكية
7	الْمُعْمُورِ	﴿ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴾	الطور	4	مكية

ويلاحظ من الجدول السابق:

- عناية السور المكية بمفهوم عمارة الأرض أكثر من السور المدنية، حيث إن مجموع السور التي ذكرت المفهوم أربعة سور، في مقابل أن سورة مدنية واحدة مفهوم عمارة الأرض والتركيز على بناء المساجد بإعمارها بناءً وروحاً، وهذا له مدلول على أن استعمار الأرض وإصلاحها مطلوب عقدي، كما ويشمل جميع المخاطبين بالخطاب المكي المؤمن والكتابي والكافر على حد سواء، لكن المؤمن يتراأسهم من باب أولى.
- السور المكية عرضت مفهوم عمارة الأرض بالمعنى العام وهو عمارة الأرض بما يشمل جوانبه المتعددة من عمارة الأرض عقدياً وحضارياً ومادياً، أما سورة التوبة المدنية ذكرت مفهوم عمارة الأرض بمعنى خاص، وهو عمارة المساجد.

▪ لعل أبرز الآيات السابقة إيضاحاً لمقصود الله ﷻ في عمارة الأرض، قوله تعالى: ﴿وَأَلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: 61]، حيث حملت الآية عدة بصائر قرآنية منها:

- يلاحظ في دعوة صالح ﷺ قومه ثمود أن الله ﷻ قد ربط بين عبادته تعالى وبين وجوب استعمار الإنسان للأرض، "﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾" أي وجعلكم عمّاراً فيها، فكان المعنى فيه: أسكنكم فيها أيام حياتكم" (1).
- هذه الآية الكريمة خاطبت قوم صالح ﷺ، لكن بنزولها على النبي أصبحت خطاباً للبشرية جمعاء.
- الاستعمار هو طلب العمارة، وقوله تعالى ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ﴾ يدل على طلب العمران وقد قدركم على عمارتها وأمركم بها، قال القرطبي: "والطلب المطلق من الله تعالى يدل على الوجوب" (2)، وقال القاضي أبو بكر ابن العربي: "تأتي كلمة استعمل في لسان العرب على معان: منها، استعمل بمعنى طلب الفعل كقوله: استعملته أي طلبت منه حملاناً" (3).
- استعمار الأرض أي أمركم بعمارته، والعمارة تشمل كل عمل فيه صلاح الأرض وصلاحيتها المستدامة في تقديم ضروريات المعاش، والتمسك بعوامل البقاء من الحفاظ على الصحة والأمن وغير ذلك من الأمور التي لها دخل في البقاء والحياة.
- وللشيخ الشعراوي لطيفة جميلة حول هذا المعنى حيث يقول: ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ﴾ أي طلب التعمير، ومن الخطأ الشائع تسمية البلاد التي تحتل بلداً أخرى دول الاستعمار، أقول: "إن ذلك خطأ؛ لأنهم لو كانوا دول استعمار، فهذا يعني أنهم يرغبون في عمارة الأرض، ولكنهم في حقيقة الأمر كانوا يُخربون في الأرض؛ ولذلك كان يجب أن تسمى دول الاستخراب" (4).

(1) جامع البيان، الطبري، (15 / 368).

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (9 / 56).

(3) أحكام القرآن، ابن العربي، (3 / 18).

(4) الخواطر، الشعراوي، (11 / 6529).

ب- عمارة الأرض في قصة آدم ﷺ (غير مباشر):

لقد أشار القرآن الكريم إلى مفهوم عمارة الأرض حضارياً ومادياً في عرضه لقصة نشأة الخليفة الأول آدم ﷺ، وذلك انطلاقاً من منظور القرآن لوظيفة الإنسان في الاستخلاف، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]، "أي: خليفة الله في أرضه لإقامة أحكامه وتنفيذ وصاياه"⁽¹⁾، حيث لم يترك الله ﷻ آدم ﷺ على سجيته البشرية بل أهله بما يليق به كخليفة على الأرض؛ ليقوم بدوره على أكمل وجه من الزراعة والبناء وغيرها من صور إعمار الأرض.

فكان من حكمته تعالى أن يسكن آدم ﷺ وزوجه الجنة، باعتبارها مرحلة متقدمة وتأهيلية تؤهله للقيام بدور الخلافة وإعمار الأرض، قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: 35]، حيث أكرم الله ﷻ آدم ﷺ في الجنة بجزيل نعمه وتفضيله على باقي المخلوقات حيث أمر الملائكة بالسجود له قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة: 34]، قال الرازي: "اعلم أن هذا (السجود) هو النعمة الرابعة من النعم العامة على جميع البشر وهو أنه سبحانه وتعالى جعل أبانا مسجود الملائكة وذلك؛ لأنه تعالى ذكر تخصيص آدم بالخلافة أولاً ثم تخصيصه بالعلم الكثير ثانياً ثم بلوغه في العلم إلى أن صارت الملائكة عاجزين عن بلوغ درجته في العلم"⁽²⁾.

كما أعطى الله ﷻ آدم عليه مفاتيح التعامل؛ لكي ينجح في محنة الهبوط إلى الأرض، وزوده بأسماء مكونات الأرض جميعاً، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 31]، "وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس إنسان ودابة، وأرض وسهل وبحر وجبل وحمار، وأشبه ذلك من الأمم وغيرها"⁽³⁾، فيستطيع أن يقوم بدوره على الأرض بأكمل وجه.

وعلى ذلك فإن استخلاف الله ﷻ لآدم ﷺ في الأرض وعمارته هي وظيفة الخلافة، وأكبر وظائف الأنبياء، فمن مظاهر عمارة الأرض المحافظة على الإيمان والتحذير من الفساد والدعوة للتعايش والتعارف بين الناس، "وفي هذا إشارة لتفضيل آدم على الملائكة واصطفائه، بتعليمه ما لم تعلمه الملائكة، فلا يكون لهم فخر عليه"⁽⁴⁾.

(1) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (1/ 79).

(2) مفاتيح الغيب، الرازي، (2/ 427).

(3) جامع البيان، الطبري، (1/ 482).

(4) التفسير المنير، الزحيلي، (1/ 126).

المطلب الثاني

عمارة الأرض ضرورة حضارية

وضع الإسلام تصوراً كاملاً يهدف؛ لإقامة مجتمع فاضل، واستمرارية الوظيفة الإنسانية العامة للإنسان، وهذا التصور يتكون من شقين لا بد من انضباطهما معاً، الشق الأول يتعلق بصلاح المنهج، والشق الثاني يتعلق بإتقان العمل والبناء وبذل الوسع في؛ لأن الجانب التطبيقي ترجمة عملية وواقعية صحيحة للجانب المعياري مع استخدام كل معطيات الإنسان والزمان والمكان وعندها تكون الحضارة وتوجد، إذ إن الحضارة هي عمارة الأرض وترقية الحياة على ظهرها إنسانياً وخلقياً وعلمياً وأدبياً وفنياً واجتماعياً وفق منهج الله وشريعته (1)، فالنظام الأخلاقي والنظام العملي في الإسلام مترابطان تماماً (2).

وبنظرة سريعة لحضارات سابقة كحضارة الفرس والروم كيف انهارت بسرعة فائقة؛ لأنها لم تعتمد على منهج رباني مرتبط بتعاليم السماء، رغم توفر كافة الإمكانيات المادية، في المقابل كيف أقيمت المدينة الفاضلة في المدينة المنورة بالمنهج الرباني رغم ضعف المقومات المادية.

ولو رُجع بذاكرة التاريخ الإسلامي الممتد عبر القرون وفُورن بالعصر الحالي، لُعلم الفرق الشاسع والبون الواسع بين العهدين، وما نحن فيه الآن من تقصير، ولإلقاء الضوء على هذا الجانب تطرقت للنقاط التالية:

أولاً: مقاصد عمارة الأرض

إن مقاصد عمارة الأرض جزء لا يتجزأ من مقاصد الشريعة الكلية، ومقاصد الشريعة هي: "بيان قصد الشارع في وضع الشريعة، وهذه المقاصد تكون ضرورية، أو حاجية، أو تحسينية" (3)، وللتفصيل أكثر فإن مقاصد عمارة الأرض هي كالتالي:

1- تحقيق عبادة الله ﷻ

تعد عبادة الله المقصد الأساس لعمارة الأرض، فالله ﷻ خلق الإنسان لعبادته؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56].

(1) مجلة جامعة أم القرى، العدد 21، د.علي القرني، (6 / 277).

(2) الأساس في التفسير، سعيد حوى، (1 / 639).

(3) الموافقات، الشاطبي، (2 / 17).

كما أن تعليل العبادة بمنة الإنشاء والاستعمار في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: 61]، قال الزحيلي: " فأمرهم بعبادة الله وحده، وأقام لهم دليلين على التوحيد، الدليل الأول قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي: ابتداء خلقكم منها، إذ خلق منها أباكم آدم فهو أبو البشر.... والدليل الثاني قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أي جعلكم عماراً تعمرونها وتستغلونها بالزراعة والصناعة والبناء والتعدين، فكون الأرض قابلة للعمارة النافعة للإنسان، وكون الإنسان قادراً عليها، دليل على وجود الصانع الحكيم." (1)

2- تحقيق المقاصد الشرعية الضرورية:

المقاصد الضرورية: "هي المقاصد اللازمة التي لا بد من تحصيلها لكي يقوم صلاح الدين والدنيا؛ لأجل إسعاد الخلق في الدنيا والآخرة" (2).

وهي تجتمع في مصلحة كبرى ألا وهي عبادة الله ﷻ، يقول الشيخ عبد الله دراز رحمه الله: " هذه الشريعة المعصومة ليست تكاليفها موضوعة حيثما اتفق لمجرد إدخال الناس تحت سلطة الدين، بل وضعت لتحقيق مقاصد الشارع في قيام مصالحهم في الدين والدنيا معاً، ورُوعي في كل حكم منها حفظ شيء من الضروريات الخمس (الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال)، التي هي أسس العمران المرعية في كل ملة، والتي لولاها لم تجرِ مصالح الدنيا على استقامة، ولفاتت النجاة في الآخرة" (3)، وهذه المقاصد لازمة وحتمية لكل أمة وملة، فهي فلسفة التشريع، وتتمثل في النقاط التالية (4):

أ- **مقصد حفظ الدين:** وهو أكبر الكليات الخمس وأرقاها، وهي تثبيت أركان الدين وأحكامه في الوجود الإنساني والحياة الكونية.

ب- **مقصد حفظ النفس:** والمقصود به: مراعاة حق النفس في الحياة والسلامة والكرامة ومن أجل ذلك شرع الله ﷻ أحكاماً كثيرةً منها: منع القتل، وتشريع

(1) التفسير المنير، الزحيلي، (12/ 99).

(2) علم المقاصد الشرعية، نور الدين الخادمي، (ص: 79).

(3) الموافقات، الشاطبي، (ص: 5).

(4) انظر: الموافقات، الشاطبي، (2/ 17-23)، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، الزحيلي، (1/ 112).

القصاص، ومعاقبة المحاربين وقطاع الطرق والمستخفين من حرمة النفس البشرية.

ت- مقصد حفظ العقل: فقد اهتم الإسلام بالعقل وجعله شرطاً للتكليف، ومناطقاً في التعامل مع أحوال النفس والكون، ومن أجل ذلك حرم شرب الخمر والمخدرات التي تؤثر على العقل.

ث- مقصد حفظ النسل (العرض): وهو مقصد شرعي أقره الإسلام في نصوص وأحكام كثيرة، وأثبتته من خلال تشريعات عدة نذكر منها: الحث على الزواج والترغيب فيه، تحريم الزنا، وسد منافذه وذرائعه كالخلوة والتبرج، وغض البصر وغيره.

ج- مقصد حفظ المال: وحفظ المال هو: إنماؤه وإثراؤه وصيانتته من التلف والضياع، ولأجل ذلك حث الله ﷻ على العمل، والضرب في الأرض، والبحث عن الرزق، والنهي عن التبذير، وتحريم السرقة، والغضب والغش والرشوة والربا، وغيرها.

ويتبين من خلال العرض السابق للمقاصد الضرورية أنها تقوم بشكل أساسي على إقامة الحدود، فإذا أيقن القاتل أو السارق أو القاطع للطريق مصيره، فإنه لن يجرأ على التعدي على حقوق الآخرين.

3- تحقيق المقاصد الحاجية والتحسينية

تمثل المقاصد الحاجية والتحسينية الجانب الآخر لمقاصد عمارة الأرض، والمكملة للمصالح الضرورية، وإذا فُقدت هذه الأمور لا يختل نظام حياة الناس، بل يلحقهم الحرج والضييق، فهي حائمة حول الحمى، تكمل الضروريات، وتميل بهم إلى التوسط والاعتدال في الأمور⁽¹⁾، فجاءت الشريعة الإسلامية لتأمين هذه المصالح جميعاً، ونصت على مكانتها في تحقيق السعادة للإنسان، ثم شرعت الأحكام لتحقيقها.

أ- المقاصد الحاجية: " هي الأمور التي يحتاجها الناس؛ لتأمين شؤون الحياة ببسر وسهولة، وتدفع عنهم المشقة وتخفف عنهم التكليف، وتساعدهم على تحمل أعباء الحياة"⁽²⁾.

(1) الموافقات، الشاطبي، (2/ 32).

(2) الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، الزحيلي، (1/ 113).

ومن الأحكام التي شرعت لتحقيقها: مشروعية الرخص في العبادات مثل إباحة الفطر في رمضان لأصحاب الأعذار الشرعية، وشرع قصر الصلاة وجمعها للمسافر والحاج، كما وُشرع للحفاظ على الحاجيات الضمان في المال، والبطلان والفساد في العقود، وشرع البيوع والشركات والإجازة لتأمين التعامل الصحيح بين الناس وإرشادهم إلى القواعد السليمة والأسس العادلة في التبادل والأخذ والعطاء؛ لتأمين حاجيات الناس وجلب النفع لهم ودفع الضرر. (1)

ب- المقاصد التحسينية: " هي الأمور التي تطلبها المروءة والآداب، ويحتاج إليها الناس لتسيير شؤون الحياة على أحسن وجه وأكمل أسلوب، وأقوم منهج" (2).

ومن الأحكام التي شرعت لتحقيقها: التطوع بالصيام والصدقة، والحجاب، وتحريم الغش والتدليس والاحتكار، والإسراف والتقتير في الإنفاق، وتحريم قتل النساء والصبيان والرهبان في الحروب، ومنع قطع الشجر، ونهي عن الغدر والتمثيل بالقتلى، وطلب الإحسان في معاملة الأسرى، وعدم الإكراه في الدين. (3)

وعليه فإنه لا بد من مراعاة المقاصد الضرورية عند إعمار الأرض؛ حتى يقوم أمر الحياة ونظام الوجود على صلاح واستقرار وإسعاد في الدين والدنيا، فهي واجبة الحفظ والصيانة والمراعاة، وقد دل على أهميتها نصوص شرعية ثابتة في الكتاب والسنة والإجماع، كما تشكل مع المقاصد الحاجية التي تكون لرفع الحرج والمشقة، والمقاصد التحسينية الملائمة للذوق تمام نظام المعاش، وكمال صلاح المعاد.

ثانياً: صور عمارة الأرض

لقد حث الإسلام عموماً على الضرب في الأرض والسعي الحثيث في منابها، والتنقيب عن موارد الرزق في البر والبحر، والإنشاء والتعمير وتوفير أسباب المعيشة والتنافس المشروع في كسبها، والتسابق في الخيرات قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: 15]، قال الرازي وفي وصف الأرض بالذلول أقوالاً: (4)

(1) انظر: الموافقات، الشاطبي، (21 / 2)، علم المقاصد الشرعية، نور الدين الخادمي، (ص: 95).

(2) الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، الزحيلي، (114 / 1).

(3) انظر: الموافقات، الشاطبي، (22 / 2)، علم المقاصد الشرعية، نور الدين الخادمي، (ص: 95).

(4) مفاتيح الغيب، الرازي، (591 / 30).

أحدها: أنه تعالى ما جعلها صخرية خشنة بحيث يمتنع المشي عليها، كما يمتنع المشي على وجوه الصخرة الخشنة.

وثانيها: أنه تعالى جعلها لينة بحيث يمكن حفرها، وبناء الأبنية منها كما يراد، ولو كانت حجرية صلبة لتعذر ذلك؛ ولما تمكن الإنسان من استخراج الماء الذي هو أساس إحياء الخليقة جمعاً قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: 30].

وثالثها: أنها لو كانت حجرية، أو كانت مثل الذهب أو الحديد، لكانت تسخن جداً في الصيف، وكانت تبرد جداً في الشتاء، وكانت الزراعة فيها ممتعة، والغراسة فيها متعذرة، ولما كانت كفاتاً للأموات والأحياء.

ورابعها: أنه تعالى سخرها لنا بأن أمسكها في جو الهواء، ولو كانت متحركة على الاستقامة، أو على الاستدارة لم تكن منقادة لنا.

وقال الزمخشري: "المشي في مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاورته الغاية" (1).

وعليه فإن عمارة الأرض تأخذ صوراً شتى، فهذه العمارة تشمل كل ما فيه نفع وفائدة للفرد والمجتمع؛ فالمسلم كالغيث، أينما حلَّ نفع، والله ﷻ تعهد بأن يُورث أرضه لعباده الصالحين يعمرها بالعبادة والطاعة، قال تعالى: ﴿فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: 105]، ومن صور إعمار الأرض:

1- عمارة النفس البشرية:

حرص الإسلام على إنشاء الفرد الصالح القوي من كل الجوانب، فهذا لا يعد خصوصية حضارة دون أخرى، بل إرث إنساني مشترك، يقوم على تنمية النفس البشرية وإعدادها على أصول وتعاليم إسلامية وهذا ما يسمى بعلم التنمية البشرية في الإسلام، والذي يهدف لإعمار نفس المؤمن، ولقد اعتنى النبي ﷺ على هذا الهدف السامي، فعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: " الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ... " (2).

حيث استطاع النبي ﷺ بناء الإنسان وتعويدته السمع والطاعة والامتثال لأمر الله ﷻ، ثلاثة عشرة عاماً وهو يبني اللبنة السليمة في أهل مكة، حتى اختلط الإسلام بلحمهم وعظمهم لدرجة

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (4/ 580).

(2) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتقويض المقادير لله، ح (2664)، (4/ 2052).

أن المسلم إذا ارتكب خطيئة فإنه يسلم نفسه للعدالة دون أن تقبض عليه السلطات المعنية، وبذلك فإنه خلال بضع سنين استطاع النبي ﷺ بناء دولة الإسلام في قلوب البشر.

وتتبعث رؤية الإسلام لتنمية النفس البشرية على أساس قضية الاستخلاف وعلاقة الإنسان بمالك الكون ﷻ، فأعمار النفس البشرية يجمع بين التنمية الروحية والمادية للإنسان، ويُعلي من شأنها، والذي يُمكنها من أداء دورها في تعمير الكون وتحقيق العبودية الخالصة لله ﷻ، فالإسلام يريد من خلال عملية التنمية توفير الحياة الطيبة الكريمة لكل إنسان، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97].

وقد مثل السلف الصالح المعنى الصحيح للنفس العامرة التي تجمع بين حاجات النفس الروحية كالعبادة والطاعة وبين حاجات النفس المادية كالطعام والقوة الجسدية ومرونة الحركة.

2- عمارة بيوت الله:

إن عمارة بيوت الله ﷻ من أعظم العبادات وأجل القربات إليه تعالى، قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: 18]، أي: المصِّق بوحداية الله، المخلص له العبادة، والذي يصدق ببعث الله الموتى أحياءً من قبورهم يوم القيامة ويقوم الصلاة المكتوبة، بحدودها، ويؤدي الزكاة الواجبة عليه في ماله إلى من أوجبها الله له، ولم يرهب عقوبة شيء على معصيته إياه، سوى الله ﷻ، ﴿فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ أي: فخليق بأولئك الذين هذه صفتهم، أن يكونوا عند الله ممن قد هداه الله للحق وإصابة الصواب⁽¹⁾، "ودليل على أن الشهادة لعمّار المساجد بالإيمان صحيحة لأن الله سبحانه ربطه بها وأخبر عنه بملازمتها"⁽²⁾.

ومن ثم فإن الحديث عن دور عمارة المساجد في عمارة الأرض مقصد أصلي يتبعه الحديث عن أهمية الصلاة التي بها يتحقق الإعمار من خلال بناء الإنسان السوي السليم، الصالح المصلح في محيطه ومجتمعه، ومن خلاله يُبنى المجتمع القوي المتماسك، والمساجد بيوت الله ﷻ وأحب البقاع إليه وعمارته تكون من شقين هما:

(1) انظر: جامع البيان، الطبري، (14 / 167).

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (8 / 90).

■ **العمارة المعنوية للمساجد** بالصلاة فيها، وتلاوة كتاب الله ﷻ، والذكر، والدعاء، وإقامة دروس العلم وحضورها قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ [النور: 36-37].

■ **العمارة المادية** وتكون بتوقيف الأرض والبناء عليها والاهتمام بالمسجد ترميماً وتنظيفاً، قال أبو السعود: "إنما يعمرها مَنْ جمع هذه الكمالات العلمية والعملية والمراد بالعمارة ما يعم مَرَمَةً (1) ما استمرّ منها وتنظيفها وتزيينها بالفُرُش وتنويرها بالسُرُج وإدامة العبادة والذكر ودراسة العلوم فيها ونحو ذلك وصيانتها" (2).

3- عمارة الأرض بالعمل والإنتاج:

يقدم الإسلام أروع صورة لعمارة الأرض في ظل ثقافة العمل الجاد ومضاعفة الإنتاج، يقول د. علي صبح: "القيم الإسلامية لا تقبل مطلقاً من المسلم أن يحصل على المال بلا تعب ولا بذل، وينفر من تحصله عن طريق المسألة والتسول، لذلك كان العمل ومضاعفة الإنتاج هو السبيل الوحيد للحصول على المال، وهو الذي تحث عليه القيم الإسلامية، فالعمل في الإسلام هو الوسيلة الوحيدة لزيادة الإنتاج وبناء الاقتصاد الإسلامي بناءً قوياً وجاداً" (3).

ولا خلاف أن قصة يوسف عليه السلام خير دليل على زيادة الإنتاج وحسن التخزين وعدالة التوزيع، حيث تقدم لنا أبعاداً اقتصادية، باعتبارها أول خطة اقتصادية بعيدة الأجل ذكرها القرآن الكريم مثلاً يُحتذى به في مشكلات اقتصادية مشابهة (4).

فقد عالجت سورة يوسف عليه السلام أزمة اقتصادية تعلق بالأمّن الغذائي لأهل مصر من خلال تأويل النبي الكريم لرؤيا ملك مصر، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنَّ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ [يوسف: 43] ، " هذه الرؤيا من ملك مصر مما قدر الله تعالى أنها كانت

(1) مَرَمَةً: " رَمَمَ: الرَّمَّ: إِصْلَاحَ مَا فَسَدَ وَلَمْ مَا تَفَرَّقَ، أَي إِصْلَاحَ الشَّيْءِ الَّذِي فَسَدَ بَعْضُهُ مِنْ نَحْوِ حَبْلِ يَبْلَى فَتَرَمُّهُ أَوْ دَارٍ تَرَمُّ شَأْنُهَا مَرَمَةً"، (لسان العرب، ابن منظور، (12/ 251)، والمقصود هنا إصلاح المسجد بواسطة الترميم.

(2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (4/ 51).

(3) التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، د. علي صبح، (ص: 297).

(4) انظر: بحث بعنوان أبعاد اقتصادية في قصة النبي يوسف عليه السلام في ضوء القرآن الكريم، فيان صالح علي، (12).

سبباً لخروج يوسف عليه السلام ، من السجن معززاً مكرماً، وذلك أن الملك رأى هذه الرؤيا، فهالته وتعجب من أمرها، وما يكون تفسيرها" ⁽¹⁾، فلم يقف عند حدود تأويل رؤيا الملك، بل شمل التأويل تصوير الأزمة وكيفية مجاوزتها قال تعالى: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا حُصِّنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ ﴾ [يوسف: 47-49]، والمتأمل لهذه الآيات يجد أنها قد اشتملت على عدة عناصر لإدارة الأزمة الاقتصادية الحادثة والخروج منها بأقل الخسائر، وتمثلت في :

أ- **الاهتمام بالزراعة:** أمر يوسف عليه السلام المصريين بالزراعة، في قوله تعالى: ﴿ تَزْرَعُونَ ﴾ [يوسف: 47]، وذلك لتوافر كافة العوامل المناخية والبيئية والبشرية في مصر، لقيام زراعة ناجحة، مثل: اعتدال المناخ طوال العام، واستقرار الجو، ووفرة مصادر المياه طول العام.

ب- **زيادة الإنتاجية:** وجه يوسف عليه السلام الخطاب لكل عناصر المجتمع؛ ليشترك الجميع في عملية الزراعة، وتسخر الدولة كل إمكانياتها في إنقاذ كيانها من الأزمة، وذلك الأرض كلها بمحصول زراعي واحد، وهو القمح، ولمدة سبع سنوات متصلة، قال تعالى: ﴿ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ ﴾ [يوسف: 47]، واختار القمح؛ لأنه المحصول الاستراتيجي الأول، لمواجهة الكارثة الزراعية المتوقعة.

ت- **تقليل الفاقد (سلامة التخزين):** ركز يوسف عليه السلام على زيادة الإنتاج ومضاعفته، وعمل على المحافظة عليه باستخدام أفضل الطرق لضمان سلامته، فوضع القمح في سنابل مخصوصة لحفظه من العوامل الجوية الخارجية، قال تعالى: ﴿ فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ ﴾ [يوسف: 47].

ث- **ترشيد الاستهلاك و الفائض:** أشار يوسف عليه السلام عليهم بتقليل ما يأكلون في سنوات الخصب لادخار ما فضل عن ذلك لزمناً الشدة، فقال تعالى: ﴿ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴾ [يوسف: 47] ⁽²⁾.

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (4/ 392).

(2) انظر: بحث بعنوان إدارة الأزمات من وحي القرآن الكريم - دراسة موضوعية ، أ.د. صبحي رشيد اليازجي، (20-22).

وخلاصة تأويل الرؤيا: أي: " البقرات لسنين الزراعة؛ لأن البقرة تتخذ للإثمار، والسمن رمز للخصب، والعجف رمز للقحط، والسنبلات رمز للأقوات فالسنبلات الخضراء رمز لطعام ينتفع به، وكونها سبعة رمز للانتفاع به في السبع السنين، فكل سنبله رمز لطعام سنة، فذلك يقتاتونه في تلك السنين جديداً، والسنبلات اليابسات رمز لما يُدخر، وكونها سبعة رمز لادخارها في سبع سنين لأن البقرات العجاف أكلت البقرات السمان، وتأويل ذلك: أن سني الجذب أتت على ما أثمرته سنة الخصب" (1)، " هنا تجد يوسف عليه السلام لا يكتفى بتأويل الرؤيا تأويلاً مجرداً بل يؤولها تأويلاً صادقاً صحيحاً، ومعه النصح والإرشاد إلى ما يجب عمله في مثل هذه الأحوال" (2) .

وعليه فإن الأزمة الاقتصادية التي بلغت أربعة عشر عاماً من الاحتياجات المادية، تم تلبيتها من إنتاج سبع سنين، أي أن الحاجات ضعف الموارد المتوفرة، فزيادة الإنتاج وحسن التخزين وعدالة التوزيع، معادلة اقتصادية تمثل رأس الهرم الإنتاجي في الإسلام.

كما يجدر الإشارة بأنه لا يوجد في الإسلام دعوة إلى الرهينة أو نكران التمتع بالحلال، وإنما هو دعوة صريحة للعمل الذي يتحقق به الإعمار الذي يعود بالخير على العالمين، قال تعالى: ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [التوبة: 105]، حيث إن اقتران الإيمان بالعمل الصالح له مردود إيجابي على الفرد والمجتمع.

وعليه يتوجب على المسلم في طلب الرزق والسعي إليه أن يسلك كل الأساليب والطرق المشروعة من زراعة وتجارة وصناعة وما شابهها من حرف الكسب الحلال، فالكسب الحلال نهج الأنبياء والمرسلين، عن المقدم عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السلام ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ" (3).

وقال القرطبي: " إن تعلم أهل الفضل الصنائع، وأن التحرف بها لا ينقص من مناصبهم، بل ذلك زيادة في فضلهم وفضائلهم، إذ يحصل لهم التواضع في أنفسهم والاستغناء عن غيرهم، وكسب الحلال الخلي عن الامتتان" (4).

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (12/ 286).

(2) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي (7/ 370).

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، ح (2072)، (3/ 57).

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (14/ 267).

ومن صور العمل والكسب الحلال ما يلي:

أ- **الفلاحة:** هي أقدم وجوه المعاش وأنسبها إلى الطبيعة، وتُنسب إلى معلّمها الأول والقائم عليها آدم عليه السلام (1)، ونجد أن كثيراً من الحضارات المتقدمة للإسلام قد قامت على الزراعة، قال تعالى حكايةً عن مملكة سبأ: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ ﴾ [سبأ: 15]، كذلك قامت حضارة مصر على زراعة الأرض قال تعالى: ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الزخرف: 51].

وقد حث ديننا الحنيف على عمارة الأرض بالزراعة واعتبر ذلك العمل من قبيل العبادة التي تجلب الثواب لصاحبها، وصدقة جارية يصل ثوابها ويمتد إلى ما بعد الموت، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ " (2).

ب- **التعدين والصناعة:** وهو استخراج ما في باطن الأرض وظاهرها من كنوز وثروات المواد الخام الأولية في الطبيعة ومن ثم استخدامها في صناعة ما يحتاجه الإنسان لاستقامة حياته، ويصفها ابن خلدون بأنها " عملية مركبة وعلمية تُصرف فيها الأفكار والأنظار " (3). وقد كانت صناعة نبي الله داوود عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ [الأنبياء: 80]، أي: " علم الله ﷻ داودَ صَنْعَةَ الدروع فكان يصنعها أحكم صناعة لتكون وقاية من الحرب وسبب نجاة من العدو " (4).

ت- **التجارة:** عُرِفَتْ بأنها " تحيّلات في الحصول على ما بين القيمتين في الشراء والبيع لتحصل فائدة الكسب من تلك الفضة " (5)، وهي من وسائل الإعمار وسبله، ومن الكسب

(1) انظر: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون، (1/ 480).

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المزارعة، باب فَضْلِ الزَّرْعِ وَالغَرْسِ إِذَا أُكِلَ مِنْهُ، ح (2320)، (3/ 103)، صحيح مسلم، مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، حديث (1553)، (3/ 1189).

(3) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون، (1/ 480).

(4) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (4/ 93).

(5) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون، (1/ 480).

الطيب الذي حث عليه الإسلام وأمر به، قال الله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: 275]، وقد أتقن النبي ﷺ فنون التجارة، حيث تاجر مع عمه أبو طالب وتاجر لزوجته خديجة رضي الله عنها، وكان حريصاً أشد الحرص على العمل، فهو كشاب يملك من العفة والرجولة رفض أن يبقى عائلة على المجتمع، وحاشاه أن يكون كذلك⁽¹⁾.

(1) انظر: الرحيق المختوم، المباركفوري، (ص:50).

المطلب الثالث

مفهوم الاستخلاف وعلاقته بعمارة الأرض

أولاً: مفهوم الاستخلاف لغةً واصطلاحاً:

1- تعريف الاستخلاف لغةً:

الاستخلاف لفظ مشتق من مادة (خلف)، قال ابن فارس: "الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة: أحدها أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه ومنها قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [الأعراف: 169] ، وإنما سميت الخلافة خلافة؛ لأن الثاني يجيء بعد الأول قائماً مقامه، والأصل الثاني خلاف قدام"⁽¹⁾، والأصل الثالث التغير فقولهم خلف فوه، إذا تغير، وأخلف⁽²⁾.

وعليه فإن الأصول الثلاثة تدور حول معنى التعاقب والنيابة والتداول.

2- تعريف الاستخلاف اصطلاحاً:

إن تعريف الاستخلاف في الاصطلاح لا يخرج عن المعنى اللغوي، فهو النيابة والوكالة أي القيام مقام الوكيل في تنفيذ أمره.

والاستخلاف ينقسم لنوعين هما:

▪ **الاستخلاف العام:** هو استخلاف الجماعة، أي إنابة وتوكيل الله تعالى للإنسان في الأرض لعمارتها وتنفيذ مراده سبحانه، ونلمس ذلك من خلال تأملنا قصة بداية الخلق في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]، وهذا استخلاف تكليفي مضمونه إظهار الإنسان لربوبية الله سبحانه وتعالى وألوهيته في الأرض، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: " **إِنَّ الدُّنْيَا خُلُوةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ** " ⁽³⁾.

(1) لسان العرب، ابن منظور، (9/ 82).

(2) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، (2/ 212-210).

(3) صحيح مسلم، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء،

حديث (2742)، (4/ 2098)

▪ **الاستخلاف الخاص:** هو استخلاف فرد معين وتوكيله للقيام بعمارة الأرض ضمن نطاق بلده وهذا ما يسمى بالإمامة أو الخلافة وقد عرّفها أبو الأعلى الماوردي " الإمامة: موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا" (1)، وقال محمد رشيد رضا: "الخلافة، والإمامة العظمى، وإمارة المؤمنين، ثلاث كلمات معناها واحد، وهو رئاسة الحكومة الإسلامية الجامعة لمصالح الدين والدنيا" (2).

وبناءً على ذلك فإن موضوع الدراسة في هذا المطلب هو النوع الأول (الاستخلاف العام).

ثانياً: الاستخلاف من المنظور القرآني

لقد وردت اشتقاقات لفظ الاستخلاف في القرآن الكريم في ستة عشر موضعاً (3)، وإليك بيانها في الجدول الآتي:

م	الكلمة	الآية التي وردت فيها	السورة	رقم الآية	مكية أو مدنية
-1	خَلِيفَةً	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	البقرة	30	مدنية
		﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾	ص	26	مكية
-2	خَلَائِفَ	﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾	الأنعام	165	مكية
		﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾	يونس	14	مكية
		﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾	يونس	73	مكية
-4	وَيَسْتَخْلِفُ	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾	فاطر	39	مكية
		﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ...﴾	الأنعام	133	مكية
		﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا...﴾	هود	57	مكية
		﴿وَإِذْ كُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾	الأعراف	69	مدنية

(1) الأحكام السلطانية، الماوردي، (ص: 15).

(2) الخلافة، محمد رشيد رضا، (ص: 17).

(3) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، فؤاد عبد الباقي، (238-241).

م	الكلمة	الآية التي وردت فيها	السورة	رقم الآية	مكية أو مدنية
5-	خُلَفَاءَ	﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾	الأعراف	74	مكية
		﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ﴾	النمل	62	مكية
6-	وَيَسْتَخْلِفُكُمْ	﴿وَيَسْتَخْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾	الأعراف	129	مكية
7-	اخْلُفَنِي	﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾	الأعراف	142	مكية
8-	لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ	﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾	النور	55	مدنية
9-	اسْتَخْلَفَ	﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾	النور	55	مدنية
10-	مُسْتَخْلَفِينَ	﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلْنَاكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾	الحديد	7	مدنية

ويلاحظ من الجدول السابق ما يلي:

أ- تبين أن الآيات المكية أكثر ذكراً لاشتقاقات اللفظ، حيث بلغ عدد الآيات المكية أحد عشر آية، بينما الآيات المدنية بلغت خمس آيات، وهذا يدل على عناية القرآن المكي بترسيخ مفهوم الاستخلاف وضرورته الشرعية في قلوب المؤمنين الأوائل باعتبارهم خلايف رسول الله ﷺ، وتمهيداً لقيام الدولة.

ب- من الخصائص المميزة لمفهوم الاستخلاف وروده في سياق القصص القرآني، وخاصة قصص الأنبياء مع أقوامهم مثل قوم عاد وقوم نوح ﷺ، وفيه إشارة إلى أهمية الاعتبار بأن الله يبذل الأرض أقواماً صالحاً بعد الأقوام المفسدة، وهذه سنة كونية، قال تعالى: ﴿فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: 105].

ثالثاً: العلاقة بين عمارة الأرض وأمانة الاستخلاف

لقد أعلى الله ﷻ مكانة الإنسان وجعله مناط المسؤولية والتكليف، كما وأعلن كرامة الجنس البشري بدعوة الملائكة السجود لآدم ﷺ في أكثر من نص قرآني أولها ترتيباً في المصحف الشريف قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 34]، فالإنسان في الإسلام خليفة الله ﷻ على الأرض،

والمستخلف يتصرف في مقدرات الكون بما يقرره مالك الكون، فهو الأمر والناهي⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 54].

والاستخلاف أساس عمارة الأرض، فهو مهمة وأمانة اختارها الله ﷻ للإنسان بشكل عام والإنسان المسلم بشكل خاص قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: 55]، فكان هذا الوعد الكريم العظيم من الله ﷻ ثمن لعبادته على الوجه الأكمل والالتزام بشرائعه التزاماً كاملاً يبدأ من فراش الزوجية وينتهي بالعلاقات الدولية، يقول الطاهر بن عاشور: " وهذه التكاليف التي جعلها الله قواماً لصالح أمور الأمة ووعد عليها بإعطاء الخلافة والتمكين والأمن صارت بترتيب تلك الموعدة عليها أسباباً لها " (2) .

فحقيق على المؤمن أن يحقق مبدأ الاستخلاف وفاءً بالأمانة التي تحمّلها وهي عمارة الأرض بالخيرات والأعمال الصالحات إذ الإيمان الصادق لا ينتج إلا العمل الصالح، فيقتضي لقيامه بمهمة الاستخلاف على أكمل وجه أن ينفع الخلق ويُرضي الخالق؛ لأن الإنسان مرتبط بعهد الاستخلاف وشرطه. (3)

وعمارة الأرض تكون بالطاعات والخيرات عن طريق استثمار ما سخره الله لنا من نعم في السماوات والأرض، فإذا شعر المخاطب أنه اختير لما استخلف فيه، لأن قلبه وانجذبت نفسه نحو القيام بعمل الصالحات. (4)

والخلاصة إن الاستخلاف أساس العمارة والتسخير أساس الاستخلاف، فهذه المفاهيم مترتبة على بعضها البعض، قال تعالى: ﴿فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: 105].

(1) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (2/ 209).

(2) التحرير والتتوير، الطاهر ابن عاشور، (18 / 284).

(3) انظر: الأساس في التفسير، سعيد حوى، (1 / 639).

(4) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث، (مجموعة من العلماء)، (4 / 62).

المطلب الرابع

أهمية الإصلاح في الأرض ووجوب النهي عن الإفساد فيها

لقد تشرفَّ الإصلاح بأن كان ابتداءً من الله ﷻ، فمن سننه ﷻ في البشر أن أوجد فيهم المصلحين والمفسدين، وجعل الصراع دائراً بينهم حتى يوم الدين، وقد تتابعت شرائع المصلحين في الأرض؛ لمحو فساد المفسدين فيها، وقد ترأس قائمة الإصلاح الأنبياء عليهم السلام، حتى اجتمعت كلمتهم لأقوامهم على نهج واحد متمثلاً بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف: 56].

والله استخلف البشر في الأرض بقصد عمارة الكون وإنمائه واستغلال كنوزه وثرواته، والناس في ذلك شركاء، والمسلمون ينفذون أمر الله ومقاصده⁽¹⁾.

ولأهمية موضوع الإصلاح في الأرض والنهي عن الإفساد فيها، لا بد من تجليته من خلال العناصر التالية:

أولاً: أهمية الإصلاح في الأرض

تبرز أهمية الإصلاح في الأرض من خلال علاقته بعمارة الأرض مادياً وحضارياً، فالإصلاح في الأرض أساس عمارتها، حيث إن المقصد العام للشريعة الإسلامية إصلاح الأرض وتهيئتها لمعاش الناس، وتحقيق التمكين عليها، وتعبيد الفعل البشري لله سبحانه، وإقامة العدل والإحسان إلى الخلق والحفاظ على استمرار الجنس البشري والتعارف بين الشعوب بمنطق الحب والإيمان، حيث وضع الشارع الحكيم للإصلاح منهجاً قوياً، لو طبّق الإصلاح وفق هذا المنهج؛ لانتشر العدل والأمن والرخاء والطمأنينة والسكينة في المجتمع.

والنظرة القرآنية للإصلاح واسعة تعم الوجود كله⁽²⁾، فهي لا تقتصر على الفرد فقط بل تمتد لكل المجتمع، وسائر الموجودات، حيث يأتي الإصلاح في اتجاهين هما:

1- الإصلاح الفردي: أي إصلاح الإنسان إصلاحاً شاملاً لكل ذاته قولاً وفعلاً وفكراً، يهدف؛ لإنشاء فرد صالح في نفسه مصلح لغيره.

(1) انظر: الفقه الإسلامي وأدلته، الزحيلي، (8/ 6387).

(2) للتوسع انظر: رسالة ماجستير بعنوان الإصلاح وأثره على الفرد والمجتمع دراسة قرآنية موضوعية، الباحث فايز حسان سليمان أبو عمرة، إشراف د. رياض قاسم، الجامعة الإسلامية غزة.

ومن رحمة الله ﷻ بالإنسان أن خلق له عقلاً يميز به بين الحق والباطل، وبين الصلاح والفساد قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: 10]، " قال ابن مسعود رضي الله عنه: النجدين هما سبيل الخير وسبيل الشر" (1)، كما ركز الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم على إصلاح الفرد إصلاحاً عقدياً ابتداءً وإصلاحه أخلاقياً وتربوياً، من أجل أن يعيش الإنسان حياة طيبة في الدنيا وسعيدة خالدة في الآخرة قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97]، وقوله تعالى: ﴿حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ جاءت نكرة حيث أفادت تنوع المعاني، فقد ذكر المفسرون فيها عدة أقوال منها القناعة وقيل الرزق الحلال و قيل السعادة، وقيل الطاعة وحلاوة العبادة، وقيل العافية والكفاية وقيل الرضى بالقضاء (2)، وكلها في مضمونها دليل على طيب المعاش.

2- الإصلاح الجماعي: " هو الإصلاح العام للحياة والمجتمع الذي يعود صلاحه على كل فرد وكل جماعة فيه" (3).

حيث يبدأ الإصلاح من ذات الإنسان، ثم تتسع الدائرة لتشمل الأسرة، ثم تتسع لتشمل كل المجتمع في جوانبه المختلفة الأخلاقية والدعوية والاجتماعية والسياسية والفكرية و الاقتصادية، حيث قدم القرآن المنهج الأمثل لإحياء المجتمع على أسس سليمة ونظام دقيق، منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح بين المتخاصمين ونشر روح المحبة والتعاون والألفة بين أفراد المجتمع، وسن القوانين والتشريعات وفرض الحدود قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [أنفال: 1]، أي: " فاتقوا الله وكونوا مجتمعين على ما أمر الله ورسوله به" (4)، وقيل: " وأصلحوا ذات بينكم الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم أمره إلى الله والرسول" (5).

(1) تفسير القرآن، السمعاني، (6/ 228)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (5/ 484).

(2) انظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، (2/ 582).

(3) في ظلال القرآن، سيد قطب، (4/ 1921).

(4) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (1/ 629).

(5) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (3/ 49).

وخلاصة القول إن إصلاح المجتمع يهدف لحمايته من الانحراف والانحلال، وحفظه من التلف والتصدع، ووقايته من سموم الغزو الفكري.

ثانياً: نماذج من العمارة الإيجابية في الأرض:

ومن أبرز نتائج الإصلاح في الأرض العمارة الإيجابية التي يترأسها المصلحون وهم أنبياء الله ﷺ ويتبعهم أوليائه المؤمنين، وقد ذكر القرآن الكريم نماذج رائعة في عمارة الأرض إصلاحاً وإعماراً لها، وذكرت الباحثة أنموذجاً نبوياً وآخر من عباد الله الصالحين كالتالي:

1- العمارة الإيجابية في عهد سليمان ﷺ :

ورث سليمان ﷺ النبوة والملك والعلم من أبيه داوود ﷺ (1)، قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ [النمل: 16]، حيث أتى الله ﷻ كلا النبيين الكريمين مؤهلات القيادة وأولها العلم الوفير قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: 15]، وخص الله ﷻ سليمان ﷺ بالملك العظيم الذي لم ينبغ لأحد غيره، وسخر له أسباب القوة والمنعة، وطوّع له الأرض بما فيها ومن عليها من مكونات بشرية ومادية، وأيده بخوارق الأمور وعلمه منطق الطير، وسخر له الجن والريح والخيول الصافنات (2) تأتمر بأمره، وألان له الحديد مثل والده داوود ﷺ، قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ يُأْذِنُ رَّبِّهِ﴾ [سبأ: 12]، كما جيش لمملكته الجيوش الجرارة المكونة من البشر والجن والطيور قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: 17].

ولقد أحسن سليمان ﷺ استخدام هذه الفضائل الربانية فاستطاع أن يبني أعرق سيادة عرفها التاريخ، وأقوى إمبراطورية حكمت الأرض في الذاكرة الإنسانية.

والمتمأمل في تعامل سليمان ﷺ مع المعطيات المحيطة به يستخلص مدى الإبداع والتميز في إعمارها للنفس والأرض ومن أمثلة ذلك:

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (19/ 437)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (4/ 253).

(2) هي الخيل القائمة على ثلاث قوائم، وقد أقامت اليد الأخرى على طرف الحافر من يد كان أو رجل، انظر: غريب القرآن، ابن قتيبة، (ص: 327).

أ- اهتمامه بالصناعة والبناء: قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ [سبأ: 13]، ﴿مَحَارِبٍ﴾ هي " قصور حصينة ومساكن شريفة سُميت بذلك لأنها يُذَّب عنها ويُحارب عليها" (1)، ﴿وَتَمَاثِيلَ﴾ هي " جمع تماثل وهو الصورة الممثلة، أي المجسمة مثل شيء من الأجسام فكان النحاتون يعملون لسليمان صوراً مختلفة كصور موهومة للملائكة وللحيوان مثل الأسود" (2)، وقد كان جائزاً في شريعتهم، وأما قوله تعالى: ﴿وَجِفَانٍ﴾ فهي جمع جفنة، وهي القصعة العظيمة التي يجفن فيها الماء وشبهت الجفان في عظمتها وسعتها بالجوابي وهي أحواض واسعة عميقة يُجمع فيه الماء لسقي الأشجار والزرع (3) ﴿قُدُورٍ﴾ أي: " قدور ثابتات لا يَحْرُكَن عن أماكنهن، ولا تحول لعظْمهن" (4) .

ب- إحياءه للنفس بالرحمة والرفق: قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتِ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: 18-19]، في هذه الآية دار حوار بين نملة فصيحة حكيمة مسؤولة وبين ملك الأرض العادل والرفيق في تعامله مع الضعفاء، فعلى رغم قوته وسعة ملكه إلا أنه رأف بمستعمرة النمل لنداء نملة واحدة، فما كان منه سوى الاستجابة مع التبسم ثم أردف ذلك بشكر الله ﷻ على جزيل فضله عليه، يقول الشعراوي: "لأنه إن شكر الله بالحمد شكره الله بالزيادة ... وهذا ثمن النعمة أن أؤدي خدمات الصلاح في المجتمع لأكون مُؤتمناً على النعمة أهلاً للمزيد منها، والحق تبارك وتعالى يريد منّا أن نُوسِّع دائرة الصلاح ودائرة المعروف في المجتمع" (5) .

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (7 / 125).

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (22 / 162).

(3) انظر: جامع البيان، الطبري، (20 / 366)، المرجع السابق، (22 / 162).

(4) جامع البيان، الطبري، (20 / 367).

(5) الخواطر، الشعراوي، (17 / 10762).

2- العمارة الإيجابية في عهد ذي القرنين:

مثّلت قصة ذي القرنين⁽¹⁾ تجربة ناجحة وفريدة من نوعها في عمارة الأرض وبناءها، فقد كان ملكاً مسلماً عادلاً، جمع في حكمه بين العلم والعمل والقوة والرحمة واستخدم القوة التي يسرها الله ﷻ له في التعمير والإصلاح، ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: 84]، أي " يسرنا له أسباب الملك والسلطان والفتح والعمران، وأعطيناه كل ما يحتاج إليه للوصول إلى غرضه من أسباب العلم والقدرة والنصر"⁽²⁾.

فحرص ذو القرنين على نشر أصول الحضارة والمدنية بين الناس في الشرق والغرب، بما آتاه الله ﷻ من وسائل البناء والعمران، وكثرة الجند، حيث قام بنشر العدالة والحضارة في فتوحاته الممتدة عبر أطراف الأرض وهي كالتالي:

أ- فتوحات المغرب: حيث ابتدأ فتوحاته غرب الأرض وقام بإنفاذ شريعة الله في مجتمعات الغرب، وإقامة العدل، ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: 87-88]، هكذا الحاكم الصالح في كل زمان ومكان الظالمون المعتدون يجدون منه كل شدة ترددهم وتزجرهم وتوقفهم عند حدودهم، والمؤمنون والمصلحون يجدون منه كل تكريم وإحسان واحترام وقول طيب⁽³⁾.

ب- فتوحات المشرق: ثم عاد بعد هذا التمكين لتوسيع مملكته من جهة الشرق، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: 90]، " القوم هم الزنج ولم يكن لهم يومئذ ثياب يلبسونها ولا منازل يسكنونها وإنما

(1) اختلفت في شأنه أقوال المفسرين اختلافاً كبيراً، لعل أقربها إلى الصواب ما أشار إليه النسفي: " هو عبد صالح ملكه الله الأرض وأعطاه العلم والحكمة وسخر له النور والظلمة فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه، انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (2/ 316)، وزاد الزحيلي محققاً: " والأصح أنه رجل صالح حكم الدنيا غير الإسكندر، وهو على التحقيق الملك الفارسي الصالح (قورش)؛ ولذلك سمي ذا القرنين، أو لأنه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها، وقيل: كان له قرنان، أي ضفيريّتان، وقيل: كان لتاجه قرنان، ويحتمل أنه لقب بذلك لشجاعته، ومع الاتفاق على إيمانه وصلاحه، وأنه لم يكن على الأصح نبياً، انظر: (التفسير المنير، الزحيلي، (16/ 20)).

(2) صفوة التفاسير، الصابوني، (2/ 187).

(3) انظر: التفسير الوسيط، سيد لطنطاوي، (8/ 572).

لهم أسراب في الأرض يدخلون فيها" (1)، فقد كانوا قوماً بدائيين ليس لهم أي حضارة إنسانية، بل هم على البداوة الأولى، فأصلح ذي القرنين المشرق كما أصلح المغرب، وهكذا يهب الله البشرية في بعض الأزمان رجالاً صالحاً ينشر العدل والإصلاح ويمنع الفساد (2) .

ت- **بناء السد:** أكمل ذو القرنين مسيره وجنوده، حتى بلغوا بين السدين، فوجد عندهما قوم لا يتكلمون بلسانهم لكن طلبوا مساعدة ذي القرنين وجنوده لحمايتهم من خطر يأجوج

ومأجوج ، حيث كانوا يؤذونهم ويعتدون عليهم؛ لذلك عرضوا عليه أن يجعلوا له أجراً وخراجاً يدفعونه إليه مقابل أن يسدّ لهم هذه الفجوة، ولما كان ذو القرنين ممكناً في الأرض، وفي يده الكثير من الخيرات والأموال، لم يكن ينقصه سوى الطاقة البشرية العاملة والقوية قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: 95]، فبنى لهم ردماً امتاز بالصلاية والمتانة لآلاف السنين وهما الحديد المنصهر مع النحاس، هكذا حارب المصلح في الأرض قوم يأجوج ومأجوج المفسدين وعزلهم؛ ليعم الأمن والبركة (3) .

ويبدو لي أن الإصلاح لا يقتصر على دعوة الآخرين إلى الخير بل إنما يبدأ المرء المؤمن بنفسه، فحسن استقامته لأوامر الله ﷻ هي في ذاتها صلاح وإصلاح في الأرض، قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطَّعُوا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: 112]

ثالثاً: النهي عن الفساد في الأرض

يبقى الإصلاح ومحاربة الفساد، عنواناً عاماً للأنبياء عليهم السلام، فقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز على لسان موسى ﷺ: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 142] "أي: لا تطع من عصى الله ولا توافقه على أمره" (4)، والمفسدون هم الذين يُعظّمون المادّة ويجعلونها قبلة لحياتهم فيعبدونها ويغفلون عن عبادة الله ﷻ.

(1) أيسر التفاسير، الجزائري (3/ 281).

(2) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، (9/ 4583).

(3) انظر: الخواطر، الشعراوي (14/ 8988-8992).

(4) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (3/ 275).

ولقد نهى القرآن الكريم عن الإفساد في الأرض قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: 85]، قال ابن القيم: "إن عبادة غير الله والدعوة إلى غيره والشرك به هو أعظم فساد في الأرض، بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو بالشرك به ومخالفة أمره" (1).

وحيثما قرر الباري ﷻ أن يجعل الإنسان خليفة له على الأرض طرحت الملائكة قضية الإفساد في الأرض قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30]، ومنذ ذلك الحين تكلف الصالحون من العباد مهمة الإصلاح بشتى صورها وعلى رأسهم الأنبياء صلوات الله عليهم قال تعالى على لسان شعيب عليها السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88]، وقد ذكر القرآن عدة صور للفساد في الأرض وهي كالتالي: (2)

1- فساد النية والاعتقاد، وهو خلل يصيب قلب المرء فيفسد عليه دينه وعمله فيحيد عن الرشاد وعن مهمته في هذا الكون، ويشمل فساد النية عدة جوانب منها فساد الإيمان قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤]، وفساد التصور والمعايير قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: 11].

2- فساد المعاملات، وهو فساد يطرأ على المعاملات البشرية وتشمل عدة جوانب منها:
أ- نقض العهد والميثاق، وقطع ما أمر الله به أن يوصل، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: 25].

ب- عدم الوفاء بالكيل والميزان وبخس الأشياء، قال تعالى: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 85].

(1) التفسير القيم، ابن القيم، (ص: 263).

(2) ينظر بتصرف: الفساد والمفسدون دراسة قرآنية موضوعية، رسالة ماجستير للباحث ضيائي نعمان السوسي، إشراف أ. د عبد السلام حمدان اللوح، الجامعة الإسلامية _ غزة، 2006م، (75-113).

ت-السحر، فالسحرة يفسدون على الناس حياتهم ويوقعون بينهم التفريق والوقيعه وتعكير صفوهم، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: 81] .

ث-إهلاك الحرث والنسل، كالحراية والسرقه وسفك الدماء وقهر الشعوب قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ [البقرة: 205].

3- فساد الشهوات والرغبات، وهو بعض الأعمال الفاسدة التي يمارسها بعض الناس جرياً وراء شهواتهم، وإشباعاً لرغباتهم ومنها:

أ- الإسراف في المباحات: من المأكل والمشرب والمسكن والشرى وترف الحياة، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ [الشعراء: 150 - 152].

ب- شذوذ الشهوة الجنسية: حيث انتشر في قوم لوط عليه السلام اللواط وهو شذوذ وانحراف عن الفطرة البشرية وفساد عميق في نفوسهم، قال تعالى: ﴿أَيْتَكُمْ لَكَاتُونَ الرِّجَالِ وَتَقَطَّعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [العنكبوت: 29-30].

رابعاً: نماذج من العمارة الفاسدة في الأرض:

من الجدير القول بأنه قد يكون مع الإفساد في الأرض عمران مادي هائل لكن لا عبرة به، قال تعالى حكاية عن أحوال الأمم السابقة: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [الروم: 9] ، يقول الزحيلي معقباً: "الاعتماد على قوة الجسد وسعة المال، ووفرة الثروة والأولاد خطأ محض، فإن كل الأموال والمدنيات وتقدم الحضارات لا تعني أصحابها شيئاً يوم القيامة" (1) .

ولقد ظهرت حضارات عديدة وألوان عمرانية متنوعة لكن الله تعالى دمرهم جميعاً لطغيانهم وكفرهم، ومن الأمثلة على ذلك:

(1) التفسير المنير، الزحيلي، (21/56).

1- العمارة الفاسدة في عهد فرعون

إن الحضارة الفرعونية من أقدم وأشهر الحضارات، وتعد من أكثر الحضارات التي أورثت البشرية إنجازات مادية في مجال الطب والاقتصاد والفن والزراعة وغيرها من العلوم والفنون، لكن على الرغم من قوة الفراعنة إلا أن مملكتهم انقرضت إلى الأبد، وهذا يرجع لسياسة الإفساد التي اتبعتها فرعون والتي كان بدايتها قلب الحقائق، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ الْأَهْتَكُمُ﴾ [الأعراف: 127]، فقد استكبر فرعون وملؤه وعامتهم المتبعون لهم عن آيات الله ﷻ، وجحدوا بها ظلماً وعلواً، وقالوا مهيجين للإيقاع بموسى ﷺ، وزاعمين أن ما جاء به من الدعوة إلى الله ﷻ، والإصلاح في الأرض فساد وبطلان على حد زعمهم⁽¹⁾.

ثم علا فرعون في الأرض وطغى، واستخف بقومه وفرقهم شيعاً وألحق بهم أبشع صور الأذى والتقتيل قال تعالى: ﴿قَالَ سَنُقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: 127] أي: " قال فرعون مجيباً للملأ: سنقتل أبناء قومه تقتيلاً كلما تناسلوا ونستحي نساءهم أحياء كما كنا نفعل قبل ولادته حتى ينقضوا ويعلموا أنا على ما كنا عليه من القهر والغلبة " ⁽²⁾، وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 4]. وانتهت قصة حضارة فرعون بالخسران والدمار، حيث أراهم الله من آياته العظام قال تعالى: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: 137]، أي: خربنا ودمرنا القصور والعمارات والدور التي كان يشيدها فرعون وجماعته وما كانوا يعرشون من الجنات والمزارع والبساتين⁽³⁾.

2- العمارة الفاسدة في عهد قارون

قارون هو أحد أغنياء قوم موسى ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ [القصص: 76] وكان رجلاً ثرياً ومترفاً، آتاه الله ﷻ مالاً كثيراً حيث يحدثنا القرآن عن كنوزه بتصوير معبر، قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: 300).

(2) تفسير المراغي، المراغي، (9/ 37).

(3) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، (1/ 434)، التفسير الواضح، محمود حجازي، (1/ 758).

القُوَّةُ ﴿ [القصص:76] ، أي: "أعطيناه من الأموال الوفيرة، والكنوز الكثيرة ما يتقل على الجماعة أصحاب القوة حمل مفاتيح خزائنه لكثرتها وثقلها فضلاً عن حمل الخزائن والأموال" (1) لكنه بغى وتجبر وكفر بما جاء به موسى ﷺ ، قال تعالى: ﴿ فَبَغَى عَلَيْهِمْ ﴾ ، فنهاه قومه عن الإفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: 77]، لكنه أبى وأخذته العزة بالإثم، وأعجب بنفسه، فحسف الله ﷻ به الأرض، ودمّر دوره وممتلكاته، قال تعالى: ﴿ فَحَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ [القصص: 81] ، فكان هذا المصير المشؤوم نصيبه ونصيب كل من أراد البغي والفساد في الأرض (2) .

والملاحظ: أن فرعون وقارون نموذجان مكرران للمفسدين في الأرض من زعماء عصرنا، فالتاريخ يعيد نفسه، فكم من الناس من يظن أن ماله وسلطانه وحدهما سبب قوته وعزته، ونحن الآن نرى بشكل كبير أمثال هاتين الشخصيتين، متمثلة في زعماء عصرنا من القيادات والزعامات التي تبحث عن المناصب والمراكز، غير مهتمة لحال رعاياها، أو إعمار بلادها، كل ما يشغلها كيف تجمع المال، كأنهم في سباق من يجمع مالاً أكثر؟ ومن يتجبر ويفسد أكثر؟

يقول الشعراوي: إن عمارة الكفار والمفسدين في الأرض وتمكينهم للحضارة لا يدوم مطلقاً، سرعان ما تنزل بهم النكبات، وتتقلب عليهم حضارتهم، وشواهد التاريخ كثيرة، وما نحن نرى نكبات الأمم المتقدمة وما تعانيه من أمراض اجتماعية مستعصية وارتفاع كبير في نسبة الانتحار، فليست عمارة الأرض اقتصاداً وطعاماً وشراباً وترفاً، فالله ﷻ خلق الإنسان مستصلاً للدارين لا مفسداً لهما (3) .

والخلاصة: إن الجنس البشري على وجه العموم مطالب بإعمار هذه الأرض، والمسلم على وجه الخصوص بل واجب عليه ذلك؛ من الناحية الإيمانية، ومن الناحية الإنسانية، فنفخ المسلم يتعداه إلى غيره من الناس جميعاً، على اختلاف مللهم ونحلهم، ولقد استخدم الإمام علي كرم الله وجهه لفظ العمارة للدلالة على التنمية في خطابه لواليه في مصر حيث جاء فيه: "وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب خراجها؛ لأن ذلك لا يُدرك إلا بالعمارة" (4) .

(1) صفوة التفاسير، الصابوني، (409/2).

(2) انظر: جامع البيان، الطبري، (625/19 - 638).

(3) الخواطر، الشعراوي، (9667 / 16).

(4) نهج البلاغة، خطب الإمام علي كرم الله وجهه، شرح الإمام محمد عبده، (96/3).

المبحث الثاني

ضرورة التجمعات البشرية وانعكاسها على الحضارة

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول

الحتمية الضرورية من وجود التجمعات البشرية

لما خلق الله ﷻ آدم ﷺ إنسياً وحيداً في الجنة، يحيط به عالم من الملائكة والجن، خلق له حواء لتونس وحدته وتتمتع بنعيم الجنة مثله، ثم ليسكن إليها، ومن نسلها تكون البشرية وتعمر الأرض، فكانت أول امرأة خلقها الله وثاني خلقه بعد آدم ﷺ لذلك تعتبر أم البشر، فهذا يعد أول مشهد للتجمع البشري المكون من الأبوين الأوائل قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: 27]، ولتعليل هذه الحتمية الضرورية يلزم توضيح ما يلي:

أولاً: ضرورة التجمع البشري

إن التجمع البشري أمر فطري يلزم النفس البشرية، فالإنسان مدنيّ بالطبع أي لا بدّ له من الاجتماع، قال الرازي: "واعلم أن الإنسان خلق مدنياً بالطبع، لأن الإنسان الواحد لا ينتظم مصالحه إلا عند وجود مدينة تامة حتى إن هذا يحرث، وذلك يطحن، وذلك يخبز، وذلك ينسج، وهذا يخيظ، وبالجملة فيكون كل واحدة منهم مشغولاً بمهمة، وينتظم من أعمال الجميع مصالح الجميع" (1)، وهذا ما أكده ابن خلدون في أول كلامه في الباب الأول من الكتاب الأول عن العمران البشري (2)، فالإنسان يسعى إلى التآنس والتعايش مع الآخرين؛ لأنه لا يسهل على الأفراد أن يعيشوا في هذه الحياة الدنيا إلا مجتمعين يعاون بعضهم بعضاً.

ولذلك حث الإسلام على الألفة والمخالطة وكره العزلة والانفراد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [النور: 27]، (تَسْتَأْذِنُوا): أي: "تجدوا إيناساً، والإنسان سمي بذلك لأنه خلق خلقة لا قوام له إلا بإنس بعضهم ببعض، ولهذا قيل: الإنسان مدنيّ بالطبع، من حيث لا قوام لبعضهم إلا ببعض" (3)،

(1) مفاتيح الغيب، الرازي، (26/ 386).

(2) انظر: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، الشهير بتاريخ ابن خلدون (1/ 54).

(3) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، (ص: 94).

فكل بني آدم يتشاركون في مصالحهم، وهذه المصالح لا تتم إلا بالاجتماع والتعاون والتناصر؛ لأجل جلب المنافع ودفع المضار⁽¹⁾، ولتتم السعادة الإنسانية فالكل بالطبع وبالضرورة يحتاج إلى غيره وبالتالي فالإنسان مضطر إلى مصافاة الناس ومعاشرتهم العشرة الجميلة؛ لأنهم يكملون ذاته ويتممون إنسانيته⁽²⁾، فالفرد والمجتمع يجمع بينهما حاجات وعلاقات متبادلة.

ثانياً: موجز للتجمعات البشرية في التاريخ منذ عهد آدم ﷺ

لم يذكر التاريخ أن إنساناً عاش بمفرده بل عاشوا جماعات حتى يوم القيامة يُساق أهل الجنة إلى الجنة زُمرًا، يقول الرازي في تفسير (السوق) في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: 73]، وأما أهل الثواب فإذا أمروا بالذهاب إلى موضع الكرامة والراحة والسعادة، فأى حاجة فيه إلى السوق؟، فيجيب في أحد المعاني: أن المحبة والصدقة باقية بين المتقين يوم القيامة، فإذا قيل لأحدهم اذهب إلى الجنة فيقول: لا أدخلها حتى يدخلها أحبائي وأصدقائي فيتأخرون لهذا السبب، فحينئذ يحتاجون إلى أن يساقوا إلى الجنة⁽³⁾، وهذا الأمر إن دل فإنه يدل على عدم استغناء الكائن الحي عن الآخرين مطلقاً.

وعلى ذلك فقد تكاثرت الأمم والشعوب وتعددت حيث بدأ التجمع الأول منذ عهد آدم ﷺ، بإنجاب أول ابنين لآدم ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 33 - 34]، " أي: ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض، وقيل بعضها من بعض في الدين " ⁽⁴⁾، وقد تزامن بعثة الأنبياء الكثير من التجمعات البشرية التي شكلت الحضارات المختلفة، حيث كانت الحضارة الفرعونية في مصر وحضارة بلاد الرافدين أول وأقدم الحضارات على مسرح التاريخ، ثم تلتها حضارات العالم القديم، ثم هاجرت التجمعات البشرية وتوزعوا على شكل تجمعات متفرقة على السواحل الشامية مكونة حضارات بلاد الشام، هكذا حتى امتدت التجمع البشري إلي شبه الجزيرة العربية مكوناً قبائل بدوية صغيرة متفرقة في الصحاري لم يُعرف لها حضارة أو نهضة حتى بزغ فجر الإسلام عليها، حيث حرّرها من عبودية الجهل والظلم والاستعباد، فنشأت حضارة ليس لها مثيل، امتدت ولازالت مستمرة حتى العصر الحالي وإن طرأ عليها دول وممالك متعددة أو ضُعفت في آخر مراحلها، لكن يجمعها رابط الدين الواحد وقيم الإسلام العظيم⁽⁵⁾.

(1) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (62 / 28).

(2) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، (ص: 38).

(3) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (479 / 27).

(4) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (13 / 2).

(5) ينظر بتوسع: موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم ﷺ (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر،

أحمد معمور العسيري.

المطلب الثاني

أواصر التجمعات البشرية وانعكاسها على الحضارة

خلق الله ﷻ الإنسان وجعله مفطوراً على حب الاجتماع، يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ، فحب الاجتماع خاصية إنسانية؛ ولهذا نجد علماء الاجتماع يُعرفون الإنسان بأنه كائن اجتماعي، والاجتماع البشري لا بد أن ينشأ عنه اختلاف في الأهواء والرغبات، وتعارض في المصالح، (1)، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: 118]، أي "على دين واحد، لكن لا يزالون على أديان شتى من بين يهودي ونصراني، ومجوسي، ومشرك" (2)، وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: "الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ" (3).

وفي وسط هذا الاجتماع البشري المزدهم بالمتناقضات، يتبين أن التجمعات البشرية ترتبط مع بعضها بأواصر وروابط متنوعة وهي:

أولاً: أواصر القطيع: وهي أواصر عسيرة التغيير مفروضة على الإنسان فرضاً لا إرادة له فيها ولا اختيار مثل اللغة والنسب والأرض والجنس واللون، فهي روابط تجمع بين البشر لا حيلة للإنسان فيها فهو لا يملك تغيير نسبه الذي نمّاه، ولا الجنس الذي تسلسل منه ولا اللون الذي وُلد به؛ لذلك لم يجعلها الإسلام أساساً في بناء دولته وحضارته العريقة (4).

ثانياً: أواصر اقتصادية: قامت أغلب التجمعات البشرية على روابط اقتصادية باعتبار المال محرك قوي للتجمعات البشرية، قال تعالى: ﴿إِيْلَافٍ قُرَيْشٍ * إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: 1 - 4] أي: "إن لم تعبدوني من أجل نعمي التي لا تحصى، فاعبدوني من أجل أنني جعلتكم تآلفون هاتين الرحلتين النافعتين في أمان واطمئنان، وأنى جمعت شملكم، وألفت بينكم" (5)، وهذا يدل على أن الأمان الاقتصادي مدخل للأمان الاجتماعي، وسبيل لنهضة المجتمع وتحضره.

(1) انظر: الوحي والإنسان قراءة معرفية، محمد السيد الجليند، (ص: 204).

(2) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (4/ 206).

(3) صحيح مسلم، الإمام مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنود مجندة، حديث (2638)، (4/ 2031).

(4) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (3/ 1561).

(5) التفسير الوسيط، سيد طنطاوي، (15/ 515).

فكان تجمع قريش قبل الإسلام تجمع اقتصادي قام على أساس الأمن والإطعام استجابة لدعاء إبراهيم عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [البقرة: 126]، فأغدق الله ﷻ مكة بالأمن والتوسعة بما يُجلب لها عبر التجارة؛ لأنها بلد لا زرع ولا غرس فيه، فلولا الأمن والإطعام؛ لتعذر العيش فيها⁽¹⁾.

وباستقراء سريع للتاريخ القديم والحديث نجد أن امبراطوريات عظمى وحضارات كبرى قامت على هذا الأساس، مثل امبراطورية الروم والدولة الفارسية والتي تزامنت مع دعوة النبي صل الله عليه وسلم، ولكن تلك الحضارات العمرانية لم تقم على قواعد إنسانية بل قامت على أساس الطبقة المجتمعية؛ لذلك لم تتمكن من تنمية الإنسان والنهوض به واكتفت بالمطالب الأساسية له من الطعام والشراب والجنس.

ثالثاً: أصرة العقيدة: أصرة العقيدة كما يصفها سيد قطب هي أصرة حرة يملك الفرد الإنساني اختيارها بمحض إرادته، ويستطيع أن يقرر التجمع الذي يريد الانتماء إليه، وخاصة إذا وُصفت العقيدة بالإسلامية، فستكون النتائج باهرة وواقعية إذ سيصبح المجتمع المسلم مجتمعاً مفتوحاً لجميع الأجناس والألوان واللغات، بلا عائق⁽²⁾.

وقد شهد التاريخ القديم والحديث كثيراً من التجمعات البشرية التي قامت على أساس رابطة عقيدة البشر، لكن لم يتحقق لها البقاء والاستمرار، أما التجمع الإسلامي الأول اجتمع فيه العربي والفارسي، الشامى والمصري، الصينى والتركي، الأبيض والأسود، الغني والفقير، جمعتهم الأخوة والمحبة قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: 10]، " أي: إنما المؤمنون إخوة في الدين والعقيدة، يجمعهم أصل واحد وهو الإيمان، كما يجمع الإخوة أصل واحد وهو النسب، وكما أن أخوة النسب داعية إلى التواصل والتراحم والتناصر في جلب الخير، ودفع الشر، فكذلك الأخوة في الدين تدعوكم إلى التعاطف والتصالح، وإلى تقوى الله وخشيته"⁽³⁾.

(1) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (4/ 48).

(2) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (3/ 1562).

(3) التفسير الوسيط، سيد طنطاوي، (13/ 309).

وبذلك يثبت أنّ أصرة العقيدة والدين والمنهج القويم أعظم أوامر التجمعات البشرية، ولهذا قامت الباحثة بذكرها في نهاية المطب لجعلها مقدمة بين يدي الفصل الأول للدراسة حيث إن العقيدة هي المحرك الأساس لنشوء التجمعات الحضارية.

الخلاصة لا حضارة بدون اجتماع، ولا اجتماع بدون حضارة، فالاجتماع هو الأساس، والمسلمون اجتمعوا كلهم على قدم المساواة، وبأصرة الحب التي تتبع من قلب العقيدة الإسلامية، فاستمر وجودهم وسيستمر حتى قيام الساعة؛ ولذلك ينبغي دراسة المجتمع المسلم دراسة تفصيلية من أجل بيان علاقته بالحضارة، قال سيد قطب: " " لقد تفرد الإسلام بمنهجه الرباني في إبراز خصائص الإنسان وتنميتها وإعلائها في بناء المجتمع الإنساني " (1).

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (1563/3).

الفصل الأول

المجتمع الإسلامي وأثره في بناء الحضارة
الإسلامية، ومدى تمسكه بالثوابت من
منظور قرآني

المبحث الأول

مفهوم المجتمع الإسلامي وقواعد بنائه وأثرها في رعاية الفرد

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

مفهوم المجتمع الإسلامي

إن دراسة المجتمع الإنساني علم جمّ الفوائد شريف الغاية إذ يوفقنا للجمع بين صلاح أحوال الدّين والدّنيا، فكيف إذا كانت الدراسة متعلقة بالمجتمع الإسلامي الذي كتب عنه التاريخ صور المجد والعزة والرفعة.

ولأهمية هذا الطرح كان لا بد من وقفة تعريفية بماهية المجتمع وكيف أضاف تقييده بوصف الإسلام من معاني ومفاهيم تحتاج لدراسة وبحث.

أولاً: مفهوم المجتمع من المنظور اللغوي والاصطلاحي والقرآني

1. تعريف المجتمع لغةً:

المُجْتَمَع مصطلح على وزن مُفْتَعَل، مشتق من الفعل جَمَعَ، (جمع) " الجيم والميم والعين أصل واحد، يدل على تضام الشيء، يُقال جمعتُ الشيء جمعاً" (1).

الجمع: ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض، يقال جمع واجتمع الشيء عن تفرقة فهو يجمعه جمعاً ومنها قوله تعالى: ﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ [القيامة: 9]، ومضارعه تجمع واستجمع، وتجمع القوم أي اجتمعوا ومتجمع البيداء: معظمها ومحتفلها، والجميع: ضد المتفرق، وَجَمَعْتُهُ بالتثنية وبالجمع، والمُجْتَمَع، موضع الاجتماع والجماعة من الناس، وجمع مكة سُمي لاجتماع الناس به وكذلك يوم الجمعة (2).

(1) مقاييس اللغة، ابن فارس، (1/ 479).

(2) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (8/ 53)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (1/ 136)، المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، (ص: 201)، مجمل اللغة، ابن فارس، (ص: 198)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، (1/ 108)، مختار الصحاح، الرازي، (ص: 60)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني، (2/ 1171).

2. تعريف المجتمع اصطلاحاً:

يُعد لفظ المجتمع لفظاً حديثاً ظهر كمصطلح يدل على الانتماء إلى مكان معين أو فكر معين، وهناك عدة تعريفات للمجتمع من المنظور السياسي، والمنظور الاجتماعي، والمنظور النفسي، وغيرها، حيث اختلفت التعريفات تبعاً لاختلاف وجهات النظر، وفي مقام هذا البحث تطرقت لتعريف المجتمع من المنظور الاجتماعي.

أ- "المجتمع البشري والأمة عبارة عن مجموعة من الناس، وهي كل ملتئم من أجزاء هي الأفراد" (1).

ب- وفي علم الاجتماع: "تجمع كتل سكانية في موقع معين، يتفق أفرادها على عادات وثقافات معينة" (2).

ت- "مجموعة من الناس تحمل رسالة حضارية نافعة للإنسانية، وتعيش طبقاً لمبادئ هذه الرسالة، وتظل تحمل صفة الأمة ما دامت تحمل هذه الصفات" (3).

ومن التعريفات السابقة يمكن القول أن المجتمع هو: (تجمع بشري على بقعة جغرافية معينة، تربطهم روابط محددة مثل اللغة والدين والتاريخ، وتجمعهم مصالح مشتركة للبقاء، ويتشاركون في العادات والتقاليد يحملون رسالة حضارية للإنسانية).

3. نظائر لفظ المجتمع في القرآن الكريم

لم يرد لفظ المجتمع في القرآني الكريم؛ لأنه لفظ مستحدث، لكن له نظائر قرآنية عبرت عن المصطلح بشكل كامل ومنها ما هو بشكل جزئي وهي (الأمة-القوم-الحزب- الطائفة- الشعب-القبيلة)، وبيانها في الآتي:

أ- أمة : لفظ مشتق من (أم)، يقال أم الشيء أي : قصده وتوجه إليه (4)، واستعمل لفظ (الأمة) في القرآن أربعة استعمالات (5):

(1) المجتمع والأسرة في الإسلام، محمد طاهر الجوابي، (ص: 14).

(2) مقال بعنوان: تعريف المجتمع في علم الاجتماع، بواسطة: عبد الله عبيد - (١٤:٠٧)، ٦ نوفمبر، ٢٠١٩.

<https://sotor.com>

(3) الأمة الإسلامية مفهومها ومقوماتها، ماجد عرسان الكيلاني، (147).

(4) انظر: تاج العروس، الزبيدي، (31 / 227)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، (1 / 23).

(5) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، (2 / 173).

- الاستعمال الأول: البرهنة من الزمن، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَخْرَجَنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ [هود: 8].
 - الاستعمال الثاني: الرجل المقتدى به، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: 120].
 - الاستعمال الثالث: الشريعة والطريقة، ومنه قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 22].
 - الاستعمال الرابع: الجماعة من الناس، وهي تلك الجماعة التي تربطهم رابطة اجتماع يُعتبرون بها واحداً⁽¹⁾، وهو الاستعمال الغالب في القرآن الكريم، وقد عُني بلفظ (الأمة) في القرآن الكريم تبعاً للاستعمال الرابع عدة أصناف من الجماعات وهي كالتالي:
- الصف الأول: الخلق عموماً، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَزَّظْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: 38].
- الصف الثاني: الأمم السابقة لأمة الإسلام، ومنها قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَآلُكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 134].
- الصف الثالث: الأمة الإسلامية، وهذا المعنى الخاص هو موضوع البحث؛ لذلك ذكرت الآيات المتعلقة بموضوع البحث مع التعليق عليها كالتالي:

الكلمة	الآية التي وردت فيها	السورة	الآية	مكية أو مدنية
أُمَّة	﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾	البقرة	128	مدنية
	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾	البقرة	143	مدنية
	﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾	آل عمران	104	مدنية

(1) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (2/ 220).

الكلمة	الآية التي وردت فيها	السورة	الآية	مكية أو مدنية
	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾	آل عمران	110	مدنية
	﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾	الأعراف	181	مكية

ملاحظات على الجدول السابق:

1. تبين أن لفظ (الأمة) بالمعنى الخاص (الأمة الإسلامية) تكرر ذكرها في الآيات المدنية أربع مرات وهي أكثر من الآيات المكية حيث ذكرت مرة واحدة فقط، وهذا له مدلول: أن القرآن المدني ركز على بناء دعائم المجتمع الإسلامي من خلال أوصاف المجتمع الجديد التي تحملها الآيات.

2. يمكن الاستنتاج أن التصور القرآني لفظ (الأمة) بالمعنى الخاص يُعنى بوضع تصور كامل لحقيقة الجماعة المتفقة على دين الإسلام، وبناءً على ذلك فإن المجتمع يصبح محددًا ومعروفًا بالطريقة والمنهج المتبع؛ لأن تكوين أي جماعة جديدة منظمة تكون الوحدة فيها قائمة على الإيمان بالعتيدة، فالمؤمنون يجتمعون ويتوالون حول الهدف الأساس لوجودهم؛ وهو إقامة دولة إسلامية قائمة على أساس العتيدة الإسلامية؛ لتحقيق الوصاية لهذه الأمة على الأرض (1).

ب- قوم: " القاف والواو والميم أصلان صحيحان، يدل أحدهما على جماعة ناس، وربما استُعير في غيرهم، والقوم: جمع امرئ، أما الأصل الآخر يدل على انتصاب أو عزم" (2).

وما يهم من هذا الجذر اللغوي هو الأصل الأول الذي جاء عليه أكثر الاشتقاقات، حيث ورد هذا اللفظ في أكثر من سياق قرآني كالتالي:

▪ **سياق الخطاب (يا قوم):** ففي قصص الأنبياء نجد أن كثيراً من الأنبياء خاطبوا أقوامهم بكلمة (يا قوم) خلال دعوتهم إلى عبادة الله ﷻ، وقوم الرجل " هم أهله وخاصته الذين يجتمعون معه في جد واحد، وقد يقيم الرجل بين الأجنبي، فيسميهم قومه على سبيل المجاز للمجاورة" (3)، ومن هؤلاء الأنبياء الذين جرى الخطاب على لسانهم:

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (1675/2).

(2) مقاييس اللغة، ابن فارس، (43/5).

(3) التفسير الوسيط، الطنطاوي، (110/15).

- نوح عليه السلام: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [الأعراف: 59].
- هود عليه السلام: ﴿وَالِىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ [هود: 50].
- ويلاحظ من الأمثلة السابقة: استخدام لفظ (يا قوم) في سياق خطاب الأنبياء لأقوامهم، دلالة على التلطف في دعوتهم والتقرب في النصح لهم رغم شدة إعراضهم عن الدعوة، فاستخدام النداء في الدعوة (يا قوم) يكون أملاً في لفت أنظارهم إليه، واستجابتهم له، فإن النداء من شأنه التنبيه للمنادى، فقوله (يا قوم) أي: يا أهلي وعشيرتي الذين يسرنى ما يسرهم ويؤلمنى ما يؤلمهم، وهذا أدهى؛ لإثارة حماسهم في دعوته، وتمهيداً لقبول نصحه إذ لا يريد الرجل لقومه إلا ما يريد لنفسه⁽¹⁾، وهذا ديدن الأنبياء ودرج الدعاة المصلحين في المجتمعات.
- **سياق الوصف:** جاء لفظ (القوم) في القرآن الكريم يحمل صفاتاً للقوم المذكورين في الآيات، وهي كالاتي:
- **القوم الكافرين:** اقترنت صفة الكفر بلفظ القوم في عشرة مواضع في القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 250].
- **القوم الظالمين:** اقترنت صفة الظلم بلفظ القوم في عشرين موضع في القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 258].
- **القوم الفاسقين:** اقترنت صفة الفسق بلفظ القوم في تسعة مواضع في القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿فَأَفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: 25].
- **لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا:** قال تعالى: ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: 78].
- **القوم الصالحين:** قال تعالى: ﴿وَتَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ [المائدة: 84].
- **الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا:** قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 45].
- **القوم الضالين:** قال تعالى: ﴿قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [الأنعام: 77].

(1) انظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي (15/ 111)، التحرير والتتوير، ابن عاشور، (29/ 188).

- القوم المجرمين: اقترنت صفة الإجرام بلفظ (القوم) في القرآن الكريم في أربعة مواضع، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: 147].
 - القوم الخاسرون: قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: 99].
 - الْقَوْمِ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ: قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: 137].
 - الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا: اقترنت صفة الكذب بلفظ (القوم) في أربعة مواضع في القرآن الكريم ومنها قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأعراف: 176].
 - القوم المفسدين: قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: 30] (1).
- ويلاحظ من الأمثلة السابقة ما يلي:

1. أن لفظ (قوم) ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالصفات الذميمة وخص ذكره بأقوام الأنبياء عليهم السلام حيث اتصفوا بصفات الكبر والإعراض عن عبادة الله ﷻ، وهذه الصفات: (الكفر - الفسق - الظلم - الكذب - الإجرام - الخسران - الضلال - استضعاف الآخرين - الإفساد)، واقترن مرة واحدة فقط بصفة الصلاح في قوله تعالى ﴿وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ " فالقوم الذين وصفوا بأنهم عرفوا الحق هم الذين بعثهم النجاشي ليروا النبي ﷺ ويسمعوا ما عنده " (2).

2. لفظ (القوم) معنى أخص من معنى المجتمع، فهو بمعنى طائفة أو مجموعة من المجتمع الكلي، وتُطلق على الأهل والعشيرة للأنبياء عليهم السلام أو طائفة من مجموع الأمة، و(القوم) مؤنث مجازي التأنيث، ويصغر قومية، وقيل: (القوم) مذكر، وأنث؛ لأنه في معنى الأمة والجماعة (3).

3. إن القرآن المكي والمدني على حد سواء عني بتصنيف الأقسام المكونين للمجتمعات تبعاً لما اتصفوا به من صفات، فُصنفت المجتمعات بناءً على مبدأ الاهتداء إلى الدين أو الإعراض عنه، حيث إن الإسلام فرّق بين أنواع الجماعات المكونة للمجتمع الجديد،

(1) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، عبد الباقي، (582-583).

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (2/ 227).

(3) انظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، (8/ 175).

والجماعة الإسلامية التي ستتحمل في المستقبل مسئولية بناء الدولة الإسلامية في المدينة المنورة⁽¹⁾.

4. يرى د. أحمد غلوش⁽²⁾: أن الآيات المكية ركزت على إعداد جيل قادر على قيادة العالم رغم مرارة الظروف التي تحيط به، ومجابهة العقائد الفاسدة، والشرائع الباطلة؛ لذلك كانت الآيات المكية صريحة وقوية في تحديد صفات وطبيعة الأفراد الذين ينتمون للمجتمع الجاهلي، والذي يتوجب عليهم أن ينفذوا عنهم غبار الجاهلية؛ ليشرق فجر المجتمع الإسلامي الجديد⁽³⁾.

5. أما الآيات المدنية فعنيت بتأسيس المجتمع الإسلامي، وتمكين الدعوة الإسلامية؛ لذلك كانت صريحة في التحذير والتنبيه من صفات أفراد مجتمع الجاهلية.

6. إن صفة الفسق للفظ (القوم) ذكرت تسع مرات، ثماني مرات في الآيات المدنية، ومرة واحدة في آية مكية، وهذا له مدلول: أن الفسق ظهر في العهد المدني "والفسق هو الخروج من حظيرة الطاعة"⁽⁴⁾، أي الخروج عن تعاليم المجتمع الإسلامي؛ وعليه فإن طوائف المجتمع المدني أكثر تشعباً من طوائف المجتمع المكي.

7. إن سورة الأعراف أكثر السور القرآنية ذكراً للصفات الذميمة للأقوام المذكورين فيها، وهذا يدل على مقصد رئيسي من مقاصدها وهو "إنذار من أعرض عما دعا إليه الكتاب في السور الماضية من التوحيد والاجتماع على الخير"⁽⁵⁾.

ت- حزب: الحاء والزاي والباء، أصل واحد، وهو تجمع الشيء، ويأتي بمعنى الجماعة والطائفة من الناس، وحزب الرجل جماعته التي تعينه، فيقوى أمره بهم⁽⁶⁾، "وأصل الحزب القوم يجتمعون لأمر حزبه"⁽⁷⁾.

(1) انظر: الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها، د. رؤوف شلبي، (ص: 518).

(2) أحمد غلوش: علم من أعلام الدعوة الإسلامية بجمهورية مصر العربية، حصل على درجة العالمية الدكتوراه في موضوع: "الدعوة الإسلامية لتحقيق السعادة ونشر السلام، ووسائلها في القرآن الكريم، انظر:

أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، محمد البيومي، (ص: 301).

(3) انظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، أحمد غلوش، (ص: 39).

(4) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (10/ 469).

(5) مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، (2/ 130).

(6) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (2/ 55).

(7) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (1/ 456).

الحزب: هو الطائفة التي تتحزب أي تصير حزباً، لكن يختلف تبعاً لطبيعة اجتماع أفرادها وهو في القرآن الكريم نوعان (1):

النوع الأول: حزب الله، وهم المجتمعون على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة:56] الغالبون هم: حزب الله الذين يدينون بدينه ويطيعونه في نصرهم، ويُطلق عليهم جند الله، و أولياء الله، وشيعة الله، وأنصار الله (2).

النوع الثاني: حزب الشيطان، وهم من زادوا على ما أمر الله به، أو أنقصوا مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل والإعراض عن من لم يدخل في حزبهم سواء كان على الحق والباطل، قَالَ تَعَالَى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة:19] ، وحزب الشيطان هو " الشيطان وجماعته المتجمعون على الإثم والعدوان" (3).

يلاحظ أن لفظ الحزب أخص من لفظ المجتمع؛ لأن المجتمع قد يشتمل على أكثر من حزب في آن واحد، والحزب الأكثر قوة وغلبة هو الحاكم في المجتمع.

ث- **طائفة:** " الطاء والواو والفاء أصل واحد صحيح يدل على دوران الشيء على الشيء، وأن يحف به" (4)، وطاف حول الشيء طوفاناً، ومنها تطوف واستطاف، والطائفة: الفرقة من الناس بمعنى الجماعة وأقلها ثلاثة (5).

واستخدم القرآن لفظ الطائفة استخداماً لغوياً، أي بمعنى الجماعة من الناس اجتمعوا على أمر معين، ويأتي المدح أو الذم بناءً على طبيعة الاجتماع، ويمكن إجمال الاستخدام القرآني للفظ الطائفة على أربعة معاني:

المعنى الأول: طائفة المؤمنين، لقد أطلق القرآن الكريم لفظ الطائفة على جماعات المؤمنين المكونة للمجتمع، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ

(1) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (11 / 92).

(2) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (12 / 387).

(3) التفسير الواضح، محمد الحجازي، (3 / 640).

(4) مقاييس اللغة، ابن فارس، (3 / 432).

(5) انظر: مختار الصحاح، الرازي، (ص: 193).

لِيَتَّقَهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ ﴿التوبة: 122﴾، وفيه إشارة للعلاقة التكاملية بين طوائف المجتمع المسلم.

وقد تكاثرت أقوال العلماء في نعت الطائفة المنصورة، وهي إحدى طوائف وفرق المجتمع المسلم، فعن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»⁽¹⁾، ولعل أقوى الأقوال ما اختاره الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ وتناقله العلماء من بعده، حيث قال: "ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين، منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، وأمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض" ⁽²⁾.

المعنى الثاني: طائفة أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آل عمران: 69]، طائفة يعني جماعة من أهل الكتاب، وهم أهل التوراة من اليهود، وأهل الإنجيل من النصارى، تمنوا أنهم لو يصدونكم أيها المؤمنون عن الإسلام، ويردونكم عنه إلى ما هم عليه من الكفر، فيهلكونكم بذلك ⁽³⁾.

المعنى الثالث: طائفة الكافرين للمجتمع، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف: 87]، تتحدث الآية عن اختلاف الأديان، قال البغوي: "إن اختلفتم في رسالتي فصرتم فرقتين مكذابين ومصدين، فاصبروا حتى يحكم الله بتعذيب المكذابين وإنجاء المصدقين" ⁽⁴⁾.

المعنى الرابع: طائفة المنافقين، للمجتمع، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ [النساء: 81]، أي "خص طائفة من جملة المنافقين بالتبويت" ⁽⁵⁾.

(1) صحيح مسلم، الإمام مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم)، ح(1920)، (3/ 1523).

(2) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، (13/ 67).

(3) انظر: جامع البيان، الطبري، (6/ 500)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (2/ 53).

(4) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (3/ 257).

(5) مفاتيح الغيب، الرازي، (10/ 150).

ويلاحظ أن لفظ الطائفة أخص من لفظ المجتمع، فالمجتمع عبارة عن عدة طوائف، فقد اشتمل المجتمع الإسلامي على أهل الكتاب والمنافقين مع طائفة المؤمنين، كذلك طائفة المؤمنين تشتمل على عدة جماعات وفرق تختلف فكرياً أو سياسياً وغير ذلك من التوجهات.

ج- شعوب: الشين والعين والباء أصلان مختلفان، أحدهما يدل على الافتراق، والآخر على الاجتماع، وليس ذلك من الأضداد، إنما هي لغة القوم، والشعب: ما تشعب من قبائل العرب والعجم، والجمع شعوب، ويقال الشعب: الحي العظيم⁽¹⁾.

وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13]، "شُعُوبًا جمع شعب: وهم الجماعة من الناس التي لها وطن خاص، أو من أصل واحد كربيعة ومضر، وهو يجمع القبائل وأعم منها"⁽²⁾.

ح- قبائل: جمع قبيلة "والقبيلة: الجماعة تكون من الثلاثة فصاعداً من قوم شتى مثل الروم والزنج والعرب"⁽³⁾.

ورود هذا اللفظ في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13]، وقبائل "جمع قبيلة وهي الجماعة التي يربطها حسب أو نسب، وهي أخص من الشعب؛ لأن الشعب الجمع العظيم المنتسبون إلى أصل واحد، فالشعب يجمع القبيلة، والقبيلة تجمع البطون والأفخاذ"⁽⁴⁾.

وترى الباحثة من خلال النظائر القرآنية السابقة الذكر (الأمة-القوم-الحزب-الطائفة-الشعب-القبيلة) التالي:

- أن لفظ الأمة والشعب هما أقرب المعاني لكلمة مجتمع، أما باقي النظائر (القوم-الحزب-الطائفة-القبيلة) اشتملت على معنى جزئي للمجتمع.
- أن كل الألفاظ السابقة تأتي بمعنى التجمع والتكتل والقوة، إما في حق وإما باطل.

(1) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، (3/ 190).

(2) التفسير المنير، الزحيلي، (26/ 248).

(3) مختار الصحاح، الرازي، (ص: 247).

(4) صفوة التفسير، الصابوني، (3/ 219).

ثانياً: تعريف المجتمع الإسلامي

لقد ذكر العلماء عدة تعريفات للمجتمع الإسلامي، منها:

- 1- عرفه سيد قطب: " هو المجتمع الذي يطبق فيه الإسلام عقيدة وعبادة وشريعة ونظاماً، وخلقاً وسلوكاً" (1).
- 2- هو مجتمع الأسرة الكبيرة الذي يسوده التراحم والسعادة والاطمئنان، لا أحقاد فيه ولا صراعات ولا حسد ولا بغض ولا كراهية بين الفقراء والأغنياء (2) .
- 3- " هو تلك الأسرة الكبيرة التي تربطها أواصر المحبة والتكافل والتعاون والرحمة، وهو مجتمع رباني إنساني أخلاقي متوازن؛ يتعايش أفراده بمكارم الأخلاق، ويتعاملون بالعدل والشورى" (3).
- 4- " الأمة الإسلامية هو الجماعة الذين تجمعهم العقيدة الإسلامية على مدار التاريخ، فالذين اتبعوا أنبياءهم من عهد آدم عليه السلام وإلى محمد صلى الله عليه وسلم ومن سيسير على هديه إلى يوم القيامة، فيؤمن بربه، ويصدق الرسل، هم جميعاً الأمة الإسلامية، فالرابطة الأصلية هي العقيدة، وليست اللغة أو التاريخ أو المكان أو الأصل أو غيره" (4).
- 5- " عدد هائل من الأفراد المسلمين، جمعت بينهم مصالح، وعاشوا معاً في أرض واحدة، واتبعوا الإسلام عقيدة، ومنهج حياة" (5).
- 6- "المجتمع الإسلامي مجتمع متفرد بنظامه الخاص، الذي لا يتفق في شيء مع النظم الاجتماعية الأخرى التي عرفت البشرية وهو مجتمع رباني، يقوم على شريعة محكمة من عند الله، قوامها كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم" (6).

(1) خصائص المجتمع الإسلامي، سيد قطب، (ص: 12).

(2) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (4/ 86).

(3) المؤاخاة في المجتمع المسلم أهميتها ومكانتها، أ.د. راغب السرجاني، موقع قصة الإسلام، تاريخ (2010-

12-5)، <https://mawdoo3.com>

(4) موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم إلى عصرنا الحاضر، أحمد محمود العسيري، (ص: 11).

(5) المجتمع والأسرة في الإسلام، محمد ظاهر الجوابي، (ص: 14).

(6) مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، على أحمد مذكور، (ص: 107).

ويتضح من التعريفات السابقة أنها متقاربة في المفهوم وخلاصتها:

- المجتمع الإسلامي يشترك أفراده بعقيدة واحدة، ويتوجهوا إلى قبلة واحدة برغم تعدد الأجناس والأعراق والأقوام، واختلاف اللغات والأعراف.
 - المجتمع المسلم يقوم على قاعدة التجمع والتعاون، " فالله ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف ونهيا عن التفرقة والاختلاف وأمرا بالتعاون على البر والتقوى ونهيا عن التعاون على الإثم والعدوان " (1).
 - المجتمع الإسلامي هو ذلك المجتمع الذي يتميز عن المجتمعات الأخرى بقوانينه، ونظامه المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.
- والتعريف الشامل للمجتمع الإسلامي هو (جماعة الأفراد الذين اعتنقوا الإسلام ديناً والقرآن الكريم دستوراً، واجتمعوا على أصرة العقيدة والأخلاق الإسلامية المستمدة من تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية).

(1) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (11 - 92).

المطلب الثاني

قواعد بناء المجتمع الإسلامي وأثرها على الفرد والمجتمع

ساد جزيرة العرب قبل بعثة النبي ﷺ حالة عارمة من الفوضى والفلتان، إذ لا قانون ولا نظام يحكم المجتمع الجاهلي، وبين هذا الفساد الشامل وُلد الرجل الذي وحدَّ العالم أجمع على أسس وقواعد متينة، يقوم عليها بناء المجتمع الإسلامي وهي (1):

أولاً: قاعدة البناء العقدي

إن أول لبنة وضعها النبي ﷺ في بناء المجتمع الإسلامي أن رسَّخ العقيدة الإسلامية الصافية في نفوس أصحابه ﷺ، فقد ظلَّ الحبيب ﷺ ثلاث عشرة عاماً في مكة يربي الفرد المسلم على العقيدة الإسلامية الصحيحة.

والعقيدة الإسلامية: " هي الإيمان الجازم بربوبية الله تعالى وألوهيته وأسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما ثبت من أمور الغيب، وأصول الدين، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم التام لله تعالى في الأمر، والحكم، والطاعة، والاتباع لرسوله ﷺ " (2).

وتتبع أهمية العقيدة الإسلامية من أهمية مصدرها الأول القرآن الكريم، حيث جاءت آيات القرآن الكريم تركِّز على الجانب العقدي للفرد في أكثر من آية قرآنية قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 162-163]، ولسان حال المسلم يقول: أنا متجرد تجرداً كاملاً لخالقي ورازقي بكل خالجة في القلب، وبكل حكمة في هذه الحياة.... وبذلك العمل الخالص أمرت وأنا أول المسلمين الممتثلين لأوامر الله والمنتهين عن نواهيه من هذه الأمة (3).

كذلك يبين القرآن الكريم لنا أن أساس المجتمع الفاضل عقيدة صالحة ترفع عن العقول لوثة الجاهلية وانحرافات الفكرية، وتطهر المجتمع من الزيغ وعبادة الأوثان وتدعوه لعبادة الواحد القهار (4).

(1) انظر: نحو مجتمع إسلامي، سيد قطب، (6).

(2) الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، عبد الله الأثري، (1/ 24).

(3) انظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي، (5/ 231).

(4) انظر: المجتمع المتكافل في الإسلام، عبد العزيز الخياط، (11).

ركائز العقيدة الإسلامية:

الركيزة الأولى: عقيدة التوحيد:

وهي متمثلة في قول "لا إله إلا الله"؛ لأنها أساس البناء الإسلامي، والركيزة الكبرى لإقامة المجتمع المسلم⁽¹⁾، وهذا ما جاء به الأنبياء من لدن آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم، حيث بدأ كل نبي بتأسيس مجتمعه على العقيدة السمحة من توحيد الله تعالى، وإفراده بالعبادة والوحدانية **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ﴾ [النحل: 36]**، أي: "في كل جماعة رسولاً كما بعثناك إلى أهل مكة أن وحدوا الله، وأطيعوه وتركوا عبادة الطاغوت، وهو الشيطان، والكاهن، والصنم"⁽²⁾.

وما يلحق عبادة التوحيد الخالص لله عزوجل من الإيمان بباقي الأركان، قال تعالى: **﴿أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285]**، والآية الكريمة تبين الأصل الأول من أصول الإيمان، وهو الإيمان بما جاء به وما نزل عليه صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه على ذلك، حيث يشمل الإيمان بالتوحيد المطلق للذات العلية وبكل ما اشتمل عليه القرآن من غيبيات وتكليفات سواء تعلقت بالعبادات أو المعاملات⁽³⁾.

الركيزة الثانية: عقيدة الولاء والبراء

الولاء والبراء مبدأ أصيل من مبادئ الإسلام ومقتضيات (لا إله إلا الله)، وعقيدة إيمانية لا يصح إيمان أحد إلا إذا والى أولياء الله، وعادى أعداء الله⁽⁴⁾، قال تعالى: **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31]**، حيث إن هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله والولاء له على الطريقة المحمدية، أن يتبع الشرع في جميع أقواله وأحواله؛ لينال الرضا والمغفرة⁽⁵⁾.

(1) انظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، أحمد غلوش، (ص: 205).

(2) بحر العلوم، السمرقندي، (2/ 273).

(3) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، (2/ 1086).

(4) عقيدة الولاء والبراء، محمد المقدم، (1/ 1).

(5) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (2/ 32).

في المقابل أمر المولى عز و جل بقطع الموالاة شرعاً لكل من عادى مسلماً سواء من أهل الكتاب أو المنافقين الذين آمنوا بظاهريهم، وكانوا يوالون المشركين ويخبرونهم بأسرار المسلمين (1)، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: 51].

ومعنى الولاء والبراء هو " حُبُّ الله تعالى ورسوله ودين الإسلام وأتباعه المسلمين، ونُصْرَةُ الله تعالى ورسوله ودين الإسلام وأتباعه المسلمين، وبُغْضُ الطواغيت التي تُعْبَدُ من دون الله تعالى (من الأصنام الماديّة والمعنويّة: كالأهواء والآراء)، وبُغْضُ الكفر (بجميع ملله) وأتباعه الكافرين، ومعاداة ذلك كُلِّهِ" (2).

الركيزة الثالثة: الدعاء سلاح المؤمن

الدعاء قاعدة اعتقادية عملية راسخة في قلوب أهل الإيمان، وهي باب الاتصال المباشر بالله ﷻ من غير واسطة، وهو باب الرحمة الكبرى، وبه يكون التعامل مع الله سبحانه وتعالى بتحقيق ما يعجز الإنسان عن تحقيقه وقضاء ما يعجز الإنسان عن قضاءه، قال ابن القيم: " الدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدفعه، ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن" (3).

وهو من لطف الله بعباده، ونعمته العظيمة، حيث دعاهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وأمرهم بدعائه، دعاء العبادة، ودعاء المسألة (4)، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: 60]، يقول الرازي: إن من لوازم الدعاء الفرع والانقطاع إلى الله ﷻ واللجوء إليه، دون أن يبقى في قلبه ذرة من الاعتماد على ماله وجاهه وأقاربه وأصدقائه وجده واجتهاده (5).

الركيزة الرابعة: الجهاد في السبيل الله

الجهاد في سبيل الله تجارة رابحة، وعقيدة أساسية في الدين الإسلامي؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولما اتصفت رسالة النبي ﷺ بالعالمية مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَمَا

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (6/ 216).

(2) الولاء والبراء في الإسلام، شعبان البركاتي، (ص: 4).

(3) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي الداء والدواء، ابن القيم، (ص: 10).

(4) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 740).

(5) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (27/ 527).

أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿[الأنبياء : 107]؛ لأن ما بُعث به نبينا محمد ﷺ كان سبباً لإسعادهم، وموجباً لصلاح معاشهم ومعادهم⁽¹⁾.

فلا غرو أن يكون الجهاد في سبيل الله سبيلاً لذلك، وقد حُفَّت بمنظومة من القيم والأخلاق التي تنزهه عن كونه حرباً مجردة؛ لأن العقيدة التي من أجلها جُرِدَت سيوف الجهاد هي ذاتها تتسم بالصفاء عن كل الشوائب الوضعية، كما فُرض الجهاد؛ لمنع الظلم، فما داموا قد ظلموا هذا الظلم العظيم لا بُدَّ أن يوجد تأديب لهم، هذا التأديب لا لإرغامهم على الإيمان، إنما التأديب أن نجهر بدعوتنا، وأن نعلي كلمة الحق، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليظلم على حاله⁽²⁾.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت : 69]، أي: "جهادٌ خالصٌ لوجه الله تعالى، فأطلق المجاهدة ليعمَّ جهادَ الأعداء الظاهرة والباطنة"⁽³⁾، "وقيل: المجاهدة صدق الافتقار الى الله بالانقطاع عن كل ما سواه، أو المجاهدة: علم أدب الخدمة فإن أدب الخدمة أعز من الخدمة"⁽⁴⁾.

إذن فالجهاد في سبيل الله جهاد عقيدة ودعوة إلى رفع راية الحق، فعن أبي موسى، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ الرَّجُلُ: يُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِيَتَكُونَ كَلِمَةً لِلَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»⁽⁵⁾.

أثر ركائز البناء العقدي على الفرد والمجتمع:

ما كان لعقيدة أن تصمد أمام صناديد قريش المنافحين عن أصنامهم بالنفس والمال والأهل، إلا عقيدة أسرت القلوب والعقول، وهيمنت على الحياة بكل تفاصيلها، فهي عقيدة التوحيد الأسمى والأكثر شمولاً وسمواً وكمالاً، تجمع بين متطلبات العقل والروح والجسد، لا إفراط ولا تفريط فيها، تعمل على تحقيق مصلحة الفرد ضمن مصلحة الأمة ككل، وتهتم

(1) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (17 / 143).

(2) الخواطر، الشعراوي، (18 / 11279).

(3) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (7 / 48).

(4) روح البيان، المولى أبو الفداء، (6 / 497).

(5) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، بابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ سَبَّحْتَ كَلِمَتَنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾، ح (7458)،

(9 / 136).

بمصلحة الأمة ضمن الإطار الإنساني العام، من غير محو لخصائص الأمم الأخرى أو القضاء على كرامتها (1)، ومن أبرز آثار العقيدة الإسلامية على الفرد والمجتمع:

1- الإيمان بأن الدين الإسلامي هو الموجه للحياة، وأن الحاكمية فيه لله عزوجل (2)، قال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: 70] "وَالْحُكْمُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْقَضَاءُ وَالْفَصْلُ فِي الْأُمُورِ" (3).

2- تحقق الطمأنينة والسكينة في حياة الفرد، وتسبب انشراح الصدر والشعور بالرضا، مما يعكس حالة من الاستقرار المجتمعي، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28]، "والاطمئنان سكون القلب واستقراره وأنسه إلى عقيدة لا تطفو إلى العقل ليناقضها من جديد" (4).

3- تغرس معنى التوكل على الله في نفس العباد، فإن تحقيق التوحيد في القلب يخضع العبد للاستسلام والانقياد لله تعالى، وحسن التوكل عليه قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: 3]، "أي: من وثق به فيما ناله كفاه الله ما أهمه" (5).

4- العقيدة تصنع إنساناً حراً عزيزاً ونفساً أبية، حيث تشعر الفرد بالقوة والثبات على الحق، وتحرره من الخوف، وتثبت في نفسه معنى اللجوء والسمع والطاعة لله وحده، قال تعالى: ﴿أَيُّتَّغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: 139]، والعزة هي الغلبة والقوة والقدرة (6)، وقال الطبري: "وأصل العزة الشدة، ومنه قيل للأرض الصلبة الشديدة عزاز" (7).

5- تجرد العقيدة المجتمعات من الهوى وحظّ الشيطان فيه، وتساعد على ضرورة الإسراع للتوبة والبعد عن المعصية، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201]، والطائف ما يطوف حول الإنسان من اللمة

(1) انظر: من روائع حضارتنا، مصطفى السباعي، (10).

(2) انظر: المجتمع المتكافل في الإسلام، عبد العزيز الخياط، (13).

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (4/ 296).

(4) الخواطر، الشعراوي، (12/ 7318).

(5) مفاتيح الغيب، الرازي، (30/ 562).

(6) معالم التنزيل، البغوي، (2/ 300).

(7) جامع البيان، الطبري، (9/ 319).

والوسوسة والخطرة من الشيطان، المعنى: إذا جرأهم الشيطان على ما لا يحل، تذكروا غضب الله فأمسكوا، فإذا هم مبصرون لمواضع الخطأ بالتفكر⁽¹⁾.

6- تعد العقيدة الإسلامية ضماناً قوياً لنجاح المجتمعات، فهي تحقق للمجتمع الأمن والمحبة، فيصبح كل فرد آمناً على نفسه وماله وعرضه، وأفراده كالجسد الواحد في توادهم وتراحمهم، قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال، الآية: 63]، أي: جمع الله بين قلوبهم، وألف بينها بالإيمان، حتى قاتل الرجل أباه وأخاه بسبب الدين، وكان تأليف القلوب رغم العصبية الشديدة التي سادت في العرب من آيات النبي ﷺ ومعجزاته؛ لأن أحدهم كان يُطمم اللطمة فيقاتل عنها حتى يستقيدها⁽²⁾.

7- تنشر القيم السامية والأخلاق الكريمة، وتبني المواطن المسلم الصالح الذي ينهض بأتمته.

ثانياً: قاعدة البناء الدعوي والأخلاقي

إن الدعوة إلى الإسلام بالأخلاق الحميدة، مبدأ إسلامي أصيل، فالله تعالى يقول: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]، والخطاب في الآية الكريمة للنبي محمد ﷺ، أي: ادعُ يا محمد قومك إلى شريعة ربك التي شرعها لخلقهم، وهو الإسلام، بالوحي المنزل إليك وبالعبر الجميلة والقول اللين الرقيق من غير غلظة ولا تعنيف، وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها وأن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى⁽³⁾.

وعلى ذلك فإن قاعدة الدعوة إلى الإسلام، قاعدة عظيمة وأساسية تهدف إلى بناء المجتمع الإسلامي بناءً قوياً، فلا يتحقق الصلاح للأمة الإسلامية ولا تقوم قائمتها إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: 41]، وهم المهاجرون

(1) انظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، (2/ 181).

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (8/ 42).

(3) انظر: جامع البيان، الطبري، (17/ 321).

والأنصار والتابعون بإحسان، فهؤلاء الذين يستحقون نصرته الله والتمكين في الأرض؛ لأنهم حافظوا على الصلاة وأداء الزكاة ودعوا إلى الخير ونهوا عن الشر⁽¹⁾.

فكان من الواجب على أهل العلم والإيمان، وعلى خلفاء رسول الله ﷺ أن يقوموا بهذا الواجب، وأن يتكاتفوا فيه، وأن يبلغوا رسالة الله إلى عباده، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104] أي: ولتكن منكم أمة منتصبة لهذا الأمر العظيم، تدعو إلى الله، وتنتشر دينه، وتبلغ أمره، فقد قام رسول الله ﷺ بأمر الله في مكة وبعد الهجرة حسب طاقته، وخلفه الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم بذلك حسب طاقتهم، وخلفهم التابعون على طريق الدعوة حتى عصرنا الحالي⁽²⁾.

ولابد لممارسة الدعوة إلى الإسلام على أصولها من أخلاق منضبطة، تمثل القواعد المنظمة للسلوك الإنساني، والتي يحددها الوحي؛ لتنظيم حياة الإنسان المسلم على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على الوجه الأكمل والأتم⁽³⁾.

ورأس مكارم الأخلاق وزينتها وما يتميز به الإسلام من فضائل هو خلق الحياء: وهو صفة نفسانية إيمانية تعني انقباض النفس من شيء وتركه حذراً عن اللوم فيه بحيث تحمل النفس على فعل ما يُحمد وترك ما يُذم عليه ويُعاب خوفاً من الله تعالى⁽⁴⁾، فعن ابن عباس ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل دين خلقاً، وإن خلق الإسلام الحياء»⁽⁵⁾، وما يندرج تحت خلق الحياء من مكارم وفضائل الأخلاق من الجلم والأمانة والصبر والمروءة والشجاعة وغيرها...

حيث مثلت قاعدة الأخلاق والآداب السلوكية ضرورة اجتماعية لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات، ومتى فقدت الأخلاق فقد الوسيط الذي لا بد منه لانسجام الإنسان مع أخيه، وبالتالي يتفكك أفراد المجتمع، ويتصارعوا، وعلى ذلك إذا كانت الأخلاق ضرورة في نظر

(1) انظر: صفوة التفسير، الصابوني، (2/ 268).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (2/ 91).

(3) انظر: الأخلاق في الإسلام، وزارة الأوقاف السعودية، (ص: 1).

(4) انظر: التعريفات، الجرجاني، (ص: 94).

(5) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الحياء، حديث (4182)، (2/ 1399)، وحسنه الألباني.

المذاهب والفلسفات الأخرى فهي في نظر الإسلام أكثر ضرورة وأهمية، ولهذا فقد جعلها مناط الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة، فهو يعاقب الناس بالهلاك في الدنيا لفساد أخلاقهم⁽¹⁾.

آثار الدعوة والأخلاق الإسلامية على الفرد والمجتمع:

1. متابعة الأنبياء، والافتداء بهم، واقتفاء أثرهم، والسير في ركابهم في طريق آمن غير موحش، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: 108]⁽²⁾.

2. مساعدة المجتمع على مواجهة التغيرات التي تحدث فيه، وحفظ كيانه، وكذلك تساهم في استمراره وبقائه، ودوام مجده، فقد تعرضت عدة أمم سابقة لسخط الله تعالى، وحل عليها عذابه؛ بسبب ما كانت عليه من سوء الخلق، وشاهد ذلك في القرآن الكريم، قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: 16]، والفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان، فدلّت الآية على وجوب الطاعة والتحلي بالأخلاق الكريمة من طريق المقابلة⁽³⁾.

3. الدعوة الإسلامية بأصولها المنضبطة تعمل على صلاح الفرد والمجتمع وتقويم اعوجاجهما، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70-71].

يقول طنطاوي في تفسير الآية: "القول السديد هو القول الصادق الصحيح الخالي من كل انحراف عن الحق والصواب، والمعنى يا أيها المؤمنون اتقوا الله وراقبوه في كل ما تأتون وما تدرّون، وفي كل ما تقولون وما تفعلون، وقولوا قولاً كله الصدق والصواب، فإنكم إن فعلتم ذلك يُصلح الله أعمالكم بأن يجعلها مقبولة عنده (وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) التي فرطت منكم، بأن يمحوها عنكم ببركة استقامتكم في أقوالكم وأفعالكم"⁽⁴⁾.

4. بث الطمأنينة في نفس الفرد المسلم، وتخليص المجتمع من ظاهرة القلق والاضرابات، ونلمس ذلك من وصف القرآن حال المسلمين يوم الحديبية، قال تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ

(1) انظر: الأخلاق في الإسلام، وزارة الأوقاف السعودية، (ص: 12).

(2) من ثمار الدعوة، عبد الملك القاسم، (ص: 5).

(3) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (3/ 251).

(4) التفسير الوسيط، الطنطاوي، (11/ 252).

سَكِينَتُهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴿ [الفتح: 26]، أي: لم يحملهم الغضب من شروط صلح الحديبية على مقابلة المشركين بما قابلوهم به، بل صبروا لحكم الله، والتزموا الشروط، حيث أنزل الله عليهم الطمأنينة، وثبتهم على الرضا والتسليم، ولم يبالوا بقول القائلين، ولا لوم اللائمين، فهم أحق بذلك وأجدر به وأهل له، إذ هم أهل الخير والصلاح والخلق القويم (1).

5. تمكين الأواصر الإنسانية، بالود والرحمة والأخوة، مما يعمل على ربط أجزاء المجتمع بعضها ببعض؛ إذ جعلها تبدو متناسقة ومتجانسة، كما تعطي الأخلاق النظام المجتمعي أساساً إيمانياً وعقلياً⁽²⁾، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: 103].

6. مساعدة المسلم على ضبط شهواته وهواه ومطامع نفسه، والشهوات عبارة عن أحاسيس فطرية موجودة في كل إنسان على هذه الأرض، فهذبها القرآن الكريم بتعاليمه السمحة، حيث جعل تصرفات المسلم متسقة على ضوء ما يتحلى به من الأخلاق الحسنة، فسمت بالإنسان فوق الماديات المحسوسة، ووضعت بين يديه ما هو خير من الدنيا وما فيها من شهوات، قال تعالى: ﴿قُلْ أُوْتِيتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِّدِينٍ اتَّقُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 15]، يقول ابن عطية: في هذه الآية تسلية عن الدنيا وتقوية لنفوس تاركها، فقد جاء الإنباء بما هو خير من الشهوات الدنيوية المزيفة بلفظ هازٍ للنفوس وجامع لها ليعلم هذا النبأ المستغرب النافع كل من عقل (3).

ثالثاً: قاعدة البناء الاجتماعي

يرسم الدين الإسلامي مجتمعاً يتسم بالقوة والتعاون والتكامل، ويسعى لتمييز أعضائه بالشخصية السوية القادرة على العمل البناء والإنتاج، وعلى الحب والعطاء، وتكوين علاقات

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 795)، التفسير المنير، الزحيلي، (26 / 195).

(2) انظر: الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها، عبد الله الرحيلي، (ص: 99).

(3) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (1 / 410).

مرضية مع الذات والآخرين (1)، حيث قام على عدد من الدعائم الأساسية التي بُني عليها المجتمع اجتماعياً (2)، والتي تؤثر في كل خلاياه وجزئياته الداخلية وهي كالتالي:

الدعامة الأولى: العلم:

رفع القرآن الكريم شعار العلم ابتداءً بأول كلمة نزلت منه قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 1]، وفي هذا الافتتاح براعة استهلال للقرآن، وذلك لما جاء فيه من التأسيس لافتتاحية تلك الرسالة العظيمة، حيث كان الآيات الخمس الأوائل من سورة العلق على الرأي الصحيح أول ما نزل من القرآن الكريم، فكانت بحق افتتاحية الوحي (3)، وهذا الأمر يحمل بين طياته دعوة ربانية للقراءة والتعلم.

والإنسان خليفة الله في الأرض استخلفه فيها؛ ليعمرها ويرقيها وفق منهج الله، وهذا المنهج يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعلم؛ لأن عمارة الأرض وبناء المجتمعات لا يكون إلا بالعلم، ولما أراد الله أن يعد الإنسان لحمل أمانة تنفيذ منهجه في الأرض، هياها لها بالعلم قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 31]، والحكمة في التعليم والعرض تشريف آدم واصطفائه بإظهار الأسرار والعلوم المكنونة في غيب علمه تعالى على لسان الخليفة الأول على الأرض (4).

وقد وجّه القرآن الكريم العقل المسلم اتجاه البحث العلمي في آيات الكون، لتفتيح بصيرة المسلم نحو غاية وجوده في الحياة قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعُونَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: 53]، أي: سنطلع الناس على دلائل وحدانيتنا وقدرتنا في أقطار السموات والأرض، وعلى صحة دين الإسلام من خلال مظاهر قدرتنا في الكون، وفي أنفسهم وذلك بما أودعنا فيهم من حواس وقوى، وعقل، وروح (5).

وخلصت الباحثة: إلى أن وظيفة العلم هي عمارة المجتمع الإنساني وترقيته، وعلى ذلك قام المجتمع الإسلامي المتحضر الذي بناه الرسول ﷺ حيث اتخذ من العلم وسيلة للحفاظ على

(1) انظر: بناء المجتمع الإسلامي، نبيل السمالوطي، (ص: 21).

(2) انظر: مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، علي أحمد مذكور، (ص: 109).

(3) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، (9/ 12-13).

(4) انظر: تفسير المراغي، المراغي، (1/ 83).

(5) انظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي، (12/ 366).

فطرة الله في الإنسان وتنمية قدرات أفرادها على المساهمة بإيجابية وفاعلية في عمارة الأرض وترقيتها وفق منهج الله.

الدعامة الثانية: العدل:

هو " عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، أي الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عما هو محظور دينياً، والميل إلى الحق"⁽¹⁾.

وهو القاعدة الثانية من قواعد بناء المجتمع اجتماعياً، وقد حث الشارع الحكيم على العدل في الأمور كلها قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: 90]، "أي: فعل كل مفروض من عقائد وشرائع وسير مع الناس في أداء الأمانات، وترك الظلم، والإنصاف وإعطاء الحق"⁽²⁾، ويقول السعدي: "العدل الذي أمر الله به يشمل العدل في حقه وفي حق عباده، فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفرة بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منهما في حقه وحق عباده، ويعامل الخلق بالعدل التام"⁽³⁾.

وينظر الإسلام لأفراد المجتمع نظرة واحدة، يقول د. صلاح الدين جوهر: لا فارق بين سيد ومسود ونبيل ووضيع، ولا يعرف الإسلام ميزاناً يتفاضل به الناس إلا العمل الصالح.... كما حرص الإسلام على تحقيق المساواة في الحقوق والواجبات⁽⁴⁾، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13]، "أي: أكثرهم طاعة وانكفافاً عن المعاصي، لا أكثرهم قرابة وقوماً، ولا أشرفهم نسباً"⁽⁵⁾.

وقال ﷺ: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: 181]، قال ابن كثير: "إن المراد بهذه الأمة المذكورة في الآية، هي الأمة المحمدية"⁽⁶⁾، وقد ورد في الأثر أن النبي ﷺ قال: هذه لكم، وقد أُعطي القوم بين أيديكم مثلها: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: 159].

(1) التعريفات، الجرجاني، (ص: 147).

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (3/ 416).

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: 447).

(4) إدارة المؤسسات الاجتماعية أسسها ومفاهيمها، صلاح الدين جوهر، (16).

(5) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: 802).

(6) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (3/ 516).

ومفهوم العدل له معنى واسع يندرج تحته معاني خاصة تؤثر في بناء المجتمع منها ما يلي:

أ- **العدل الإلهي:** وصف المولى ﷺ نفسه بالعدل والعدل؛ لأنه عدل عن الجور إلى العدل والقصد في أحكامه وقضاياه⁽¹⁾، فهو يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة بعدله وقسطه، لا يظلم مثقال ذرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: 40] ، وهو العدل في تدبيره وتقديره، وأفعاله جارية على سنن العدل والاستقامة، ولا تخرج عن مقتضى الحكمة والفضل والرحمة، ليس فيها شائبة جور مطلقاً⁽²⁾، ومظاهر العدل الإلهي للبشرية أكثر من أن تحصى، منها ما يلي:

1- **خلق الإنسان بأحسن صورة:** وذلك من العدل الإلهي؛ ليمكن الإنسان من القيام بمسؤولياته وتكاليفه الشرعية، قال ﷺ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4] ، أي: "أحسن تقويم شامل لخلق الإنسان حساً ومعنى وشكلاً وصورة وإنسانية"⁽³⁾.

2- **تسخير الكون للإنسان:** سخر الله ﷻ الكون وما فيه للإنسان؛ لمنفعته وتمكينه من الدور الذي خلق لأجله، ألا وهو عبادة الله تعالى وتعمير الأرض، وهذا من مطلق عدله، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [الجاثية: 13] ، أي: "سخر لكم جميع ما خلقه في سمواته وأرضه مما تتعلق به مصالحكم، وتقوم به معاشكم"⁽⁴⁾.

3- **إرسال الرسل وإنزال الشرائع:** وذلك لإقامة العدل الإلهي على الأرض، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: 25]، أي: "أرسلنا الرسل وأنزلنا الكتاب وشرعنا العدل؛ ليقوم الناس بنشر ما يؤدي إلى صلاح بهم، واستقامة أحوالهم، عن طريق التزامهم بالحق والقسط في كل أمورهم"⁽⁵⁾.

(1) تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج، (ص: 44).

(2) انظر: شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، القحطاني، (ص: 141).

(3) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، (9 / 5).

(4) تفسير المراغي، المراغي، (25 / 147).

(5) التفسير الوسيط، الطنطاوي، (14 / 227).

4- **توزيع الأرزاق بين الخلق:** ومن مظاهر عدل الله ﷻ في خلقه أن قسم الأرزاق بينهم في الدنيا، ولم يترك تقسيمها لأحد منهم قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف:32] ، وكان هذا التقسيم على أساس حركة الفرد في المجتمع، ونوعيتها، وعلاقتها بغيره من الأفراد، فالفرد في المجتمع إما أن يكون مرفوع فيما يجيد وفيما يحسن، أو مرفوع عليه غيره فيما لا يجيده ولا يحسنه، فكل فرد فاضل في جهة ومفضول عليه في جهة أخرى، وهذا من حكمة الله في الكون وعدله⁽¹⁾.

فالناس متفاوتون في القدرات، فقد رفع الله بعضهم فوق بعض درجات في الدنيا، منهم الغني والفقير، وهذا مخدوم، وذاك خادم، والحكمة الإلهية من التفاوت البشري؛ لكي يستخدم بعضهم بعضاً في حوائجهم، ومصالحهم، وبذلك تنتظم الحياة، وينهض العمران، ويعم الخير بين الناس، ولو كان الأمر بيدهم؛ لتهاجروا وتقاتلوا، وعمّ الخراب في الأرض، فالحرص والطمع من طبيعة بني البشر⁽²⁾.

5- **معاقبة المذنب وإثابة الطائع:** ومن العدل الإلهي العقاب والثواب بناء على عمل الإنسان، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة 7 - 8].

6- **عدم تحمل الإنسان ذنب غيره:** قال تعالى: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ [المدثر:28]، قال ابن عباس ؓ: "مأخوذة بعملها"⁽³⁾، وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام:164]، أي: "لا يؤاخذ أحد بذنب غيره"⁽⁴⁾.

ب- **العدل الأسري:** إن العدل الأسري يمثل ركناً رئيسياً من أسس بناء الكيان الاجتماعي صوتاً له وحفاظاً عليه، ويساهم بقدر كبير في خلق مناخ الاستقرار المجتمعي، ويمكن تحقيق العدل الأسري من جانبين هما:

(1) مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، علي أحمد مذکور، (ص: 115).

(2) انظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي، (13 / 77).

(3) جامع البيان، الطبري، (24 / 35).

(4) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (2 / 179).

الجانب الأول: العدل مع الزوجة: وذلك بإعطائها حقوقها؛ لأن الأصل في العلاقات الزوجية هو المودة والرحمة؛ لذلك فرض الله ﷻ للزوجة حقوقاً تجب على الزوج، وهي:

1- **الصدّاق:** ﴿وَأْتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: 4] أي أعطوا النساء مهورهن عطية عن طيب نفس منكم؛ لأن هذه المهور قد فرضها الله لهن، فلا يجوز أن يطمع فيها طامع، أو يغتالها مغتال، والخطاب للأزواج⁽¹⁾.

2- **المعاشرة الطيبة:** قال تعالى: ﴿وَعَايِشُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: 19]، أي: "صاحبوهن وعاملوهن بالمعروف، بما حض عليه الشرع وارتضاه العقل من الأفعال الحميدة، والأقوال الحسنة"⁽²⁾.

3- **النفقة والكسوة:** قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: 233]، أي: "على الأب نفقتها وكسوتها، وهي الأجرة للرضاع، ودل هذا، على أنها إذا كانت في حباله، لا يجب لها أجرة، غير النفقة والكسوة، وكل بحسب حاله"⁽³⁾.

والزوج المسلم العادل مع زوجته هو الذي يعطيها حقوقها الشرعية كاملة على قدر إمكانياته ولا يظلمها، قال ابن كثير ناصحاً الأزواج: "طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها"⁽⁴⁾.

4- **العدل بين الزوجات:** أباح الله ﷻ للرجل المسلم نكاح ما طاب من النساء البوالغ، وأباح له منهن أربعاً، قال تعالى: قال تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء: 3]، ثم دله على ما يتخلص به من الجور والظلم في حال عدم التسوية بينهم في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: 3]؛ لأنه من حق الزوجة على زوجها العدل والتسوية بينها وبين غيرها من زوجاته، في المبيت والنفقة والكسوة⁽⁵⁾.

(1) التفسير الوسيط، الطنطاوي، (3/ 36).

(2) المرجع السابق، (3/ 92).

(3) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 104).

(4) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (2/ 242).

(5) انظر: التفسير القيم، ابن القيم، (ص: 224).

أما إذا كان له ميل قلبي فقط إلى إحداهن، فهذا لا يدخل في عدم العدل، قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء: 129] أي: " لن تطيقوا أيها الرجال، أن تسووا بين نسائكم وأزواجكم في حبهن بقلوبكم حتى تعدلوا بينهن في ذلك، فلا يكون في قلوبكم لبعضهن من المحبة إلا مثل ما لصاحبها، لأن ذلك مما لا تملكونه"⁽¹⁾.

الجانب الثاني: العدل مع الأبناء:

الأبناء نعمة من الله تبارك وتعالى؛ إذ يقول جلَّ في علاه ممتناً على عباده، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [النحل: 72]؛ لذلك شرع ديننا الحنيف بالتوجيه الشديد على البناء الصحيح للأبناء، والأمر بالتسوية بينهم في الرعاية والعطية وسائر الشؤون، وفق وصية الله لعباده؛ إذ يقول سبحانه: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: 11]، " والوصاية هي الأمر بما فيه نفع المأمور وفيه اهتمام الأمر لشدة صلاحه"⁽²⁾.

وجاء من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " فَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ"⁽³⁾.

ت- العدل الاجتماعي: وذلك برعاية حقوق أفرادها، وكف الأذى والإساءة عنهم، وسياستهم بكرم الأخلاق، وحسن المداراة وحب الخير لهم، والعطف على بؤسائهم ومعوزيهم، ومن محققات العدل الاجتماعي ما يلي:

1- العدل في القول: المسلم لا يقول إلا حقاً، ولا يشهد بالباطل، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: 152]، " يأمر تعالى بالعدل في الفعال والمقال، على القريب والبعيد، والله تعالى يأمر بالعدل لكل أحد، في كل وقت، وفي كل حال"⁽⁴⁾.

(1) جامع البيان، الطبري، (9/ 284).

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (4/ 256).

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب الإشهاد في الهبة، ح(2587)، (3/ 158).

(4) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (3/ 365).

2- العدل في الكيل والميزان: قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ [الأنعام من الآية:152]، أي "بالاعتدال في الأخذ والعطاء عند البيع والشراء"⁽¹⁾.

3- العدل مع غير المسلمين: إن من أسس العلاقات الاجتماعية الصالحة، أن يكون المسلم عادلاً مع جميع الناس سواء أكانوا مسلمين أو غير مسلمين، أصدقاء أو أعداء، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 8] أي: شهداء بالحق والعدل بلا محاباة ولا جور؛ لأنه متى وقع الجور في أمة انتشرت المفسد فيما بينها، كما ولا يحملنكم بغض قوم وعداوتهم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في معاملتكم مع كل أحد، صديقاً كان أو عدواً؛ لأن العدل في معاملة الأعداء أقرب إلى اتقاء المعاصي⁽²⁾.

ومن ثمرات العدل ترغيب أعداء الإسلام بالدخول فيه، والإيمان بأنه هو الدين الحق⁽³⁾.

الدعامة الثالثة: العمل:

هو الدعامة الثالثة من دعائم بناء المجتمع اجتماعياً وعمارة الحياة وترقيتها؛ لكي يكون المسلم في مجتمعه منتجاً فاعلاً، بدل أن يكون عالماً على المجتمع، ويساهم ذلك في توفير حياة كريمة له ولأهله، ويزيد المجتمع الإسلامي قوةً وازدهاراً، ولقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية العمل والسعي في الأرض في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَآكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: 15]، فإن في الآية أمرٌ صريحٌ من الله سبحانه وتعالى للناس في طلب الرزق، والسعي لذلك بالعمل وعدم الجلوس حيث إنه سهل لهم التمكن من الزرع والغرس وشق العيون والأنهار وحفر الآبار⁽⁴⁾.

والعمل الجاد الذي تعمر به الحياة وترقى، هو أن ينصر كل فرد في المجتمع الإسلام في ميدان تخصصه بالإنجاز فيه والإنتاج والإبداع، يقول الشيخ محمد الغزالي: "من المستحيل إقامة مجتمع ناجح الرسالة إذا كان أصحابه جهالاً بالدنيا عجرة عن الحياة"⁽⁵⁾.

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (7/ 136).

(2) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (6/ 118).

(3) انظر: الأخلاق الإسلامية، عبد الرحمن حبنكة الميداني، (1/ 581).

(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (18/ 215).

(5) مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، الغزالي، (36).

وأخلص بالقول أن العمل يعمل على تماسك المجتمع وتقوية روابطه ويساهم في بناء المجتمع وتطوره، كما أنه وسيلة لتنظيم حياة الأفراد وينعكس ذلك على المجتمع بأكمله، ويساهم بشكل أساسي في رفع الاقتصاد وتحسين المستوى الاقتصادي للمجتمع.

كما أن للعمل دوراً في ملء الفراغ الذي يعيشه الإنسان، ويترتب على ذلك الوقاية من ضياع الوقت في أمور غير مجدية، والعمل على تحقيق الأهداف.

الدعامة الرابعة: الحرية المنضبطة بقواعد منهج الله:

الحرية مبدأ من مبادئ الإسلام، ولا تقوم حياة الأفراد الدينية والشخصية إلا به، وهو "الخروج عن رق الكائنات وقطع جميع العلائق والأغيار"⁽¹⁾، وقد نهج القرآن الكريم منهجاً واضحاً في بث الحرية في نفوس أفراد الأمة، ولذلك جعل القرآن التوحيد هو الصورة المثلى للحرر، لما قالت امرأة عمران: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا...﴾ [آل عمران: 35]، أي: "جعلت ما في بطني خالصاً لوجهك، محرراً لخدمتك وخدمة بيتك"⁽²⁾.

ولقد خلق الله ﷻ الإنسان حراً؛ لأنه مسئول، فالحرية تستتبع المسؤولية، والمسئولية تستلزم الحرية⁽³⁾، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: 115]، أي: "لعباً وباطلاً لغير شيء"⁽⁴⁾، وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: 36]، أي: "مهماً لا يؤمر، ولا يُنهى، ولا يُكلف في الدنيا ولا يُحاسب بعمله في الآخرة"⁽⁵⁾.

والحرية فطرة فطر الله الإنسان عليها، وحق مكفول لجميع الناس، ولا يعنى إقرار الإسلام للحرية أنه أطلقها دون أي قيد أو ضابط؛ لأن الحرية بهذا الشكل أقرب ما تكون إلى الفوضى، التي تثيرها الأهواء والشهوات، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: 50]، أي: "من أضل عن طريق الرشاد وسبيل السداد، ممن سار متبعاً لهوى بغير بيان من الله وعهد منه بما ينزله على رسله بوجي منه"⁽⁶⁾.

(1) التعريفات، الجرجاني، (ص: 86).

(2) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 129).

(3) انظر: مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، علي مذكور، (ص: 118).

(4) بحر العلوم، السمرقندي، (2/ 492).

(5) مفاتيح الغيب، الرازي، (30/ 737).

(6) تفسير المراغي، المراغي، (20/ 69).

يقول د. غالب عواجي: " الحرية في الإسلام هي أن تتصرف في كل أمر مشروع لك وليس فيه تعد على حقوق الآخرين، ويكون داخلاً ضمن عبوديتك لربك وامتنالك لأمره ونهيه، وما دام الإنسان لم يخرج عن إطار الشريعة الربانية فهو يعيش الحرية بتمامها" (1)، سواء أكانت تلك الحرية فيما يتعلّق بنفسه أو جسمه أو ماله أو عرضه أو في علاقته مع غيره.

وعلى ذلك يمكن القول بأن الحرية في الإسلام لا بد بأن تنقيد وتنضبط بعدم التعارض مع تعاليم الدين الإسلامي، وعدم الإضرار بمصالح المجتمع وحقوق الغير؛ لأن التعارض والإضرار بهما يؤدي إلى تفكك المجتمع وانهياره، قال تعالى: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: 71].

يقول الشعراوي في تشبيه جميل للمسألة السابقة: "إن المسائل لا تسير على هوى المخلوق، بل على مراد الخالق؛ لأن الخالق سبحانه هو صانع الكون، وكل صانع يغاز على صنّعته، وهذا مُشاهد حتى في صنعة البشر، ولك أن تتصوّر ماذا يحدث لو أفسدت على صانع ما صنّعه... فالإنسان لو سار في حركة حياته على وفق هواه لأخذ ما ليس له، ولقبّل الرشوة، ومال إلى الفسق والانحراف؛ لأنه نظر إلى متعة زائلة موقوتة، ونسي تبعه ثقيلة لن يقدر عليها فيما بعد، وعلى ذلك فاتباع الأهواء يُفسد الأرض، وحركة الحياة فيها" (2).

آثار قاعدة البناء الاجتماعي على المجتمع

1. يظهر الأثر الأعظم لقاعدة البناء الاجتماعي للمجتمع في تحقيق النهضة المجتمعية وازدهار البلاد، وانخفاض نسبة الجريمة والمشاكل المجتمعية (3).
2. تعزيز التعاون بين أفراد المجتمع، بالإضافة لنشر القيم السامية كالتكافل والاندماج والأخلاق الحسنة وحب الخير، وانتشار الأمن والأمان في البلاد، وشعور الأفراد بالاستقرار المجتمعي والطمأنينة النفسية، ومتانة العلاقات الاجتماعية (4).
3. التفاؤل والقدرة على العطاء والإنتاج في المجتمع.

(1) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، غالب عواجي، (2/ 1188).

(2) الخواطر، الشعراوي، (16/ 10093).

(3) انظر: على مائدة القرآن دين ودولة، أحمد محمد جمال، (239).

(4) انظر: المجتمع المتكافل في الإسلام، عبد العزيز الخياط، (23).

المطلب الثالث

المنهج القرآني وأثره في رعاية الفرد

يعد القرآن الكريم هو المصدر الأساس الذي اعتمد عليه في هذه النقلة النوعية، ولإبراز أهمية الموضوع تطرقت للنقاط التالية:

أولاً: تعريف المنهج القرآني:

1- المنهج لغةً واصطلاحاً:

أ- لغةً: الطريق الواضح، يقال نهجت الطريق أي: أثبتته وأوضحته، وهو مستقيم المنهاج، وفي التنزيل: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48]، ومنه النهج أي: الطريق المستقيم، يقال نهج بين واضح، والجمع مناهج (1).

ب- اصطلاحاً: " الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة " (2).

2- القرآن لغةً واصطلاحاً:

أ- لغةً: القرآن مصدر على وزن فعلان بالضم كالغفران والشكران، ويرجع المعنى لاشتقاقين (3):

- مشتق من مادة قرأ قراءةً وقرآنًا، بمعنى: ألقى وأظهر أي تلا، والقرآن مقروء أي متلو، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: 17-18]، أي: قراءته وتلاوته.

- مشتق من القرء بمعنى: الجمع، ومنه قرأت الماء في الحوض إذا جمعته، والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، وسُمي القرآن بذلك؛ لأنه جُمع فيه القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض، وقيل؛ لكونه جامعاً لثمرات العلوم، قال تعالى: ﴿تبييناً لكل شيء﴾ [النحل: 89].

(1) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (2/ 383)، مقاييس اللغة، ابن فارس، (5/ 361).

(2) تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (1/ 315).

(3) انظر: مختار الصحاح، الرازي، (ص: 249)، لسان العرب، ابن منظور، (1/ 129)، المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، (ص: 668).

ب- اصطلاحاً: " هو كلام الله تعالى المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، المعجز بلفظه ومعناه، المكتوب في المصاحف المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس " (1).

3- المنهج القرآني:

أ- ذكر العلواني عدة تعريفات منها:

- "طريقة القرآن الكريم في إفادة تصور الأمور والأشياء".
 - " وسيلة إلى قيادة العقل الإنساني إلى الحقيقة، أو إلى ما يغلب على الظن أنه حقيقة".
 - " ضابط صارم يحدد للعقل مساره بمنتهى الصرامة، سواء أمارس العقل التحرك في الكون، أو في نصوص الوحي بحثاً عن الحقيقة".
 - " وسيلة وأداة لبناء قواعد التفكير، وإرساء دعائم وضوابط البحث المعرفي، التي من شأنها أن تعصم الذهن من الوقوع في الخطأ في الفكر والبحث " (2).
- ب- عرفه عبد الكريم الحميد: " اتباع العقل وعدم اللجوء إلى التقليد الأعمى أو اتباع ما كان يفعله الآباء والأجداد وهو ما استرشد به العلم وسار عليه في تحليل الأمور " (3).
- ت- وعبر فهد الرومي عنه بقوله: " الاقتناع العقلي للإيمان " (4).

ويلاحظ من خلال التعريفات السابقة أنها ركزت على إبراز دور العقل وضرورة إعماله في التفكير والتدبر للنصوص القرآنية من أجل استنباط الهدايات القرآنية وجمع الحقائق وتفسيرها وفهمها وتطبيقها منهجاً للحياة.

وعليه فإن المنهج القرآني كما تراه الباحثة هو: (الأسلوب الإقناعي والطريق العلمي الذي سلكه القرآن الكريم، من خلال آياته الشريفة؛ لنقل أفراد المجتمع من ظلمة الجاهلية إلى نور الإسلام من خلال إقرار جملة من الحقوق والواجبات، وتعزيز دور العقل في ذلك).

(1) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، (1/ 19)، وانظر: النبأ العظيم، عبد الله دراز، (ص: 43).

(2) معالم في المنهج القرآني، طه العلواني، (ص: 16).

(3) الفرقان في بيان إعجاز القرآن، عبد الكريم الحميد، (ص: 381).

(4) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد الرومي، (2/ 709).

ثانياً: خصائص المنهج القرآني:

الخاصية الأولى: ربانية المصدر وإنسانية الغاية

الربانية مصدر صناعي على غير قياس معناه الانتساب للرب سبحانه وتعالى، ويقصد بربانية المصدر أن المنهج الذي رسمه الإسلام للوصول إلى أهدافه وغاياته، منهج رباني خالص؛ لأن مصدره وحي الله تعالى إلى خاتم رسله محمد ﷺ، غير مخلوط بأوهام البشر وأغلاطهم⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: 3-4]، أي: "أن الرسول ﷺ لا يصدر نطقه فيما يأتيكم به عن هوى نفسه ورأيه، وإنما الذي ينطق به هو وحي من الله تعالى أوحاه إليه على سبيل الحقيقة التي لا يحوم حولها شك أو ريب"⁽²⁾.

ويترتب على كون المنهج القرآني رباني المصدر عصمته من التناقض، فهو كلام الله، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَبِيرًا﴾ [النساء: 82] قال ابن عطية: "وهذا أمر بالنظر والاستدلال، ثم عرف تعالى بمواقع الحجة"⁽³⁾، ومواقع الحجة في الآية الكريمة تتمثل في خلوه من الاختلاف الذي لا يخرج عن ثلاث هي التناقض والكذب وتفاوت الكلام من جهة بليغ الكلام ومرذوله، وليس في القرآن إلا كلام ثابت صادق بليغ⁽⁴⁾.

ولا تنافي بين الربانية والإنسانية، فالمنهج القرآني وإن كان رباني المصدر فهو إنساني الغاية والوجهة، والمقصود بذلك هو أن هدفه تحرير الإنسان وإسعاده، وتكريمه فوق كل المخلوقات وتسخير الكون لخدمته قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: 70]، "أي: بتسليطنا إياهم على غيرهم من الخلق، وتسخيرنا سائر الخلق لهم"⁽⁵⁾.

(1) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، (35).

(2) التفسير الوسيط، الطنطاوي، (14/ 59).

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (2/ 83).

(4) انظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، (1/ 438).

(5) جامع البيان، الطبري، (17/ 501).

الخاصية الثانية: التوازن بين مثالية المبادئ وواقعية التطبيق

1- مثالية المبادئ والأهداف في المنهج القرآني:

وهي التي قام عليها المجتمع، حيث حرص حرصاً تاماً على " إبلاغ الإنسان الكمال المقدور له، وذلك بجعل تصرفاته وأقواله وأفعاله وتروكه وقصوده وأفكاره وميوله وفق المناهج والأوضاع والكيفيات التي جاء بها الإسلام"⁽¹⁾.

وقد رسمت آيات الكتاب الكريم مبادئ وقيماً مثالية مثلت خط الاستقامة الذي يتوجب السير عليه للارتقاء في معارج التقدم والنهضة والحضارة إطاره قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: 83]، أي أن تلك الدار العالية الرفيعة التي سمعت خبرها، وبلغك وصفها هي دار النعيم الخالد السرمدى، نجعلها للمتقين الذين لا يريدون التكبر والطغيان، ولا الظلم والعدوان في هذه الحياة الدنيا، والعاقبة المحمودة للذين يخشون الله ويراقبونه، ويبتغون رضوانه ويحذرون عقابه⁽²⁾.

وقوام المثالية في القرآن التوازن والاعتدال، ويقصد بالاعتدال: " عدم الإفراط والتفريط في أي شيء، وإعطاء كل ذي حق حقه"⁽³⁾، حيث إن من أبرز أهداف المنهج القرآني إنشاء المجتمع المثالي، والمواطن المثالي وهو الإنسان الذي يؤمن بالله تعالى ويعمل صالحاً، ومن هنا يتضح أن المثالية تعني الصلاح والخيرية مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: 7]، أي: " أولئك السعداء المقبولون عند الله هم خير البرية وأحسن الخليقة"⁽⁴⁾، وقال أبو السعود: " هم " المنعوتون بما هو في القاصية من الشرف والفضيلة من الإيمان والطاعة"⁽⁵⁾.

وقد ربى القرآن الفرد والمجتمع على إحياء الوازع الديني الإنساني رقيباً على أعمال المرء، فلا يفعل منفرداً ما يخل من فعله مع الجماعة، فإذا حيي الوازع الديني وقويت شوكته أصبح الإنسان رقيب نفسه⁽⁶⁾، وصاحب الشخصية المتيقظة هو صاحب النفس المطمئنة كما

(1) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، (ص: 71).

(2) انظر: صفوة التقاسير، الصابوني، (2/ 411).

(3) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، (ص: 71).

(4) الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية، الشيخ علوان، (2/ 523).

(5) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (9/ 186).

(6) انظر: من بلاغة القرآن، أحمد البدوي، (ص: 249).

وصفه تعالى في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّاتٍ﴾ [الفجر:30].

2- واقعية في المنهج القرآني:

تتمثل في مراعاة واقع الإنسان وحياته وظروفه، وواقعية خلقه وفطرته البشرية، فالإنسان كما يقول د.القرضاوي: " مخلوق مزدوج الطبيعة، فهو نفخة من روح الله في غلاف من الطين، ففيه العنصر السماوي والعنصر الأرضي" (1)، وبالتالي لم يغفل القرآن الكريم عن طبيعة الإنسان وتفاوت الناس في مدى استعدادهم لبلوغ المستوى الرفيع الذي رسمه لهم؛ لأن الشارع الحكيم هو الذي شرع الأحكام وسن القوانين وأرسى المبادئ، فهو أعلم بخلقهم ما يصلح لهم، وما لا يصلح، قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [المك: 14]، أي: " أن من خلق شيئاً لا بد وأن يكون عالماً بمخلوقاته" (2)؛ لأن " الخلق إيجاد وإيجاد الذوات على نظام مخصوص دال على إرادة ما أودع فيه من النظام وما ينشأ عن قوى ذلك النظام" (3).

وعلى تلك المقدمات يمكن الجزم بأن واقعية المنهج القرآني بهذا المعنى لا تتناقض مع مثاليته مطلقاً؛ لأنه في ضوء النظرية المثالية الواقعية للقرآن الكريم نجد مستويان؛ لأداء مهام العبادات والمعاملات، وهما:

أ- **المستوى الإلزامي الواجب:** وهو مستوى أدنى من الكمال لا يجوز الهبوط عنه؛ لأنه ضروري لتكوين شخصية المسلم على نحو معقول، وهو أقل ما يمكن قبوله من المسلم؛ ليكون في عداد المسلمين ويتمثل بالفرائض والمحرمات حيث جعلتا بقدر طاقة أقل الناس استعداداً لفعل الخير، وابتعاداً عن الشر.

ب- **المستوى الرفيع العالي:** وهو مستوى أرفع من سابقه وأوسع منه، حيث حبيب القرآن إلى الناس بلوغه دون إلزام؛ لأن إلزامهم به إرهاب لهم وخرج شديد، والخرج في شرعنا يخالف نظرة الإسلام الواقعية، ويشمل هذا المستوى المنذوبات التي ترغب الشريعة في القيام بها، والمكروهات التي ترغب الشريعة في ترك المسلم لها (4).

(1) الخصائص العامة للإسلام، القرضاوي، (148).

(2) مفاتيح الغيب، الرازي، (30/589).

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (29/31).

(4) انظر: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، (ص: 74).

إذن المنهج القرآني جمع بين مثالية المبادئ وواقعية التطبيق، حيث راعى الطاقات البشرية المختلفة، فاعترف بالضعف الإنساني وحاجات البشرية، ولم يُحمل الفرد فوق طاقته قال تعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: 152].

الخاصية الثالثة: ثبات الأسس ومرونة الوسائل

1- ثبات الأسس:

قام المنهج القرآني على أسس ثابتة لم تخضع لأي تعديل أو تغيير أو حذف أو تكميل؛ لأنه يستقي محتواه الثابت من الشارع الحكيم، وهذه الخاصية تنبثق من الخاصية الأساس (الربانية) حيث قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، ومن الضروري أن يجد الإنسان ميزاناً ثابتاً من القواعد والمنطلقات يرجع إليه فيما يُعرض له من تصورات وحوادث، تعالج أمور حياته اليومية؛ ليعرف مدى قربها أو بعدها عن الصواب⁽¹⁾.

لكن الله ﷻ حينما أودع في كتابه عنصر الثبات والخلود في الأهداف والغايات والأصول والكليات، ضمنه بعنصر المرونة والتطور في الوسائل والأساليب والفروع والجزئيات⁽²⁾؛ ليتناسب مع كل زمان ومكان وهذا ينطلق من رسالته الشاملة الخالدة، فحينما يتصف المنهج القرآني بعنصري الثبات والمرونة في آن واحد فإنه يعكس مردوداً كبيراً في رعاية الفرد والمجتمع.

2- مرونة الوسائل:

لم يتقيد المنهج القرآني بأسلوب واحد، بل تميز بالمرونة وتعدد الوسائل والأساليب المتبعة فيه، حيث أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بالدعوة إلى الدين الإسلامي بوسائل ثلاث، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]، "وهي الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالطريق الأحسن"⁽³⁾.

ومن الأمثلة أيضاً على تعدد وسائل القرآن في الدعوة إلى التوحيد ضرب المثل للدلالة على بطلان الشرك، من ذلك قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: 31].

(1) انظر: خصائص التصور الإسلامي، سيد قطب، (80).

(2) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، (204-205).

(3) التفسير الوسيط، الزحيلي، (14/ 269).

فالجمع بين الثبات والمرونة أمرٌ ليس بالسهل، يصعب على البشر صنيعه، وهذا لا يكون إلا في منهج خالد خالي من الإفراط والتقريط مصدره الأساس خالق الكون بأسره.

الخاصية الرابعة: الشمول والتكامل والوضوح

تميز المنهج القرآني بالشمول والتكامل والوضوح وخصوصاً في رعاية المجتمع المسلم؛ لتأصيل العقيدة الصحيحة وتأسيس الفكر السليم، وكشف الزيوف والشبهات التي تحيط بأفكار أفراد المجتمع (1).

حيث يبرز الشمول والتكامل في جميع شئون الحياة وسلوك الإنسان، ومن مظاهر شموله أحكام القرآن المتعلقة بالأخلاق وعلاقات الناس فيما بينهم، وهذه الأحكام تكوّن كل مجموعة منها نظاماً شاملاً في موضع خاص، مثل نظام الأخلاق ونظام الأسرة، وهكذا (2)، وكل نظام يعطي صورة تكاملية للموضوع.

ويبرز وضوحه كون المنهج القرآني لم يأخذ أسلوب الجدل العقيم، أو الفلسفة الباطلة، أو الاستدلال بأدلة يستعصي على العقول فهمها، بل جاء سهلاً واضحاً يفهمه البدوي في الصحراء، كما يفهمه أهل الحضارة والثقافة في أرجاء الأرض، ويتذوقه من عاصر الوحي، وغيره (3).

والخلاصة أن اجتماع تلك الخصائص أضفى على المنهج القرآني لمسات من الإيجابية المطلقة، فالمنهج القرآني رباني المصدر وإنساني الغاية، متوازن شامل متكامل ثابت على الأصول ثبات النواميس الكونية مرناً في التعامل، وهذا دليل على خلوه وصلاحه لكل زمان ومكان.

ثالثاً: جوانب الرعاية القرآنية للفرد

إن الحديث عن رعاية الفرد في القرآن الكريم هو ببساطة حديث عن أفضل استثمار في مستقبل الأمة الإسلامية، فهو صناعة الإنسان النبيل، حيث عُني به القرآن الكريم بشكل أساسي، باعتبار الإنسان ثروة الأمة الإسلامية في الماضي والحاضر والمستقبل.

(1) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، (77 / 342).

(2) انظر: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، (ص: 77).

(3) انظر: منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، د. حمود الرحيلي، (1 / 335).

ولقد منح الله ﷻ الإنسان جملة من الحقوق وأقر عليه جملة أخرى من الواجبات؛ لكي يبني في الإنسان المسلم شخصية قوية صلبة لا تزعزعه الخطوب ولا ينكسر أمام الحوادث، حيث شملت الجانب المادي والمعنوي بدرجة عالية من الاعتدال والتوازن، فقد راعى مراحلها العمرية المختلفة رضيعاً وطفلاً ومراهقاً وبالغاً شديداً وكهلاً شيخاً؛ لذلك وجب على المسلم الحق الواعي الحصيف الموازنة بين جسمه وعقله وروحه، فيعطي لكل حقه، ولا يغالي في جانب على حساب الآخر، وهذا الاتزان لا يصح إلا بهدي القرآن فمنه ننطلق وإليه ننتهي، و ما صلح به الجيل القرآني النبوي الأول تصلح به الأجيال إلى يوم القيامة (1).

ومن أبرز جوانب الرعاية القرآنية للمراحل العمرية في حياة الإنسان ما يلي:

المرحلة الأولى: رعاية الطفولة

لقد أقر المنهج القرآني جملة من القواعد الهامة لإحكام رعاية الطفولة بشكل راقٍ وهي:

1- رعاية الطفولة قبل التكوين والولادة: عني القرآن الكريم بالطفل قبل تكوينه وولادته؛ حتى ينشأ نشأة سليمة تساهم في إعداده للحياة الجديدة، ومن أبرز جوانب الرعاية في هذه المرحلة، إيجاد الحاضنة الأسرية المناسبة: والحاضنة اسم فاعل مشتق من الفعل حضن وهو " حفظ الشيء وصيانته" (2)، والحاضن والحاضنة " الموكلان بالصبي يحفظانه ويربانه" (3)، وذلك من خلال الخطوات العملية التالية:

أ- الزواج الشرعي الصحيح: القائم على المودة والمحبة والسكينة؛ للحفاظ على نسب الطفل وصحته النفسية ومكانته في المجتمع (4)، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: 72].

ب- أهمية اختيار الزوجين الصالحين، حيث كان من الجدير الحث على حسن اختيارهما، فالأب الصالح يمثل ربان السفينة والمسؤول الأول عن الطفل، وأول مسؤولياته اختيار الأم الصالحة التي تمثل الأرض الطيبة التي تثبت نباتاً طيباً (5).

(1) انظر: شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، الدكتور محمد علي الهاشمي، (ص: 34).

(2) مقاييس اللغة، ابن فارس، (2 / 73).

(3) لسان العرب، ابن منظور، (13 / 123).

(4) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (14 / 217).

(5) انظر: حقوق الإنسان في القرآن والسنة وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية، أ.د. محمد الصالح، (198).

قال تعالى: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَالْأُمَّةُ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ...﴾ [البقرة: 221]، ويرى المراغي أن الأمة المؤمنة أو العبد المؤمن ولو كان بهما خسارة الرق وقلة الخطر، خير من المشركة والمشرك الحران، ولو أعجبتم بجمالهما وما يوجب الرغبة فيهما؛ لأن بالإيمان يكون كمال الدين، وبالمال والجاه يكون كمال الدنيا، ورعاية الدين أولى من رعاية الدنيا إن لم يستطع المسلم أن يجمع بينهما، فالاجتماع على الدين سبب لحصول المحبة والتآلف، فتكمل المنافع الدنيوية من حسن العشرة وحفظ الغيب وضبط الأموال والقيام على الأولاد بتنشئتهم تنشئة قويمه، وتهذيب أخلاقهم حتى يكونوا قدوة لسواهم⁽¹⁾.

كما أن صلاح الآباء سبب في صلاح الأبناء، قال ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: 82]، "فيه دليل على أن الرجل الصالح يُحفظ في ذريته، وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا، والآخرة بشفاعته فيهم ورفع درجاتهم إلى أعلى درجة في الجنة؛ لتقر عينه بهم"⁽²⁾، أما الأم فهي الحاضنة الطبيعية للطفل كما أرادها الحق، وهي أول خطوة في مشروع صلاح الأبناء حيث إن للأمم دور كبير في تربية أبنائها على الطريقة الإسلامية الصحيحة فهي الحضان الدافئ لهم، ينهلون من روحها ويتطبعون بطبعها.

ت- الدعاء للطفل بالصلاح قبل ولادته، قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: 128]، وفي موضع آخر، قال تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم: 40]، في هذين الموضعين دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام لذريته بالصلاح والهداية، وأن يُسلموا وجوههم لله تعالى ويخضعوا لعظمته، وأن يمن عليهم بالتوبة والمغفرة الواسعة، فاستجاب الله الدعاء ببعثة السراج المنير محمد صلى الله عليه وسلم⁽³⁾.

وفي سورة الأحقاف قال تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: 15]، "أي أن يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له كأنه قال: هب لي

(1) انظر: تفسير المراغي، المراغي، (2/ 152).

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (5/ 186).

(3) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، (1/ 83).

الصلاح في ذريتي وأوقعه فيهم" (1)، وقال البيضاوي: "واجعل لي الصلاح سارياً في ذريتي راسخاً فيهم" (2).

2- رعاية الطفولة بعد الولادة: تعهد المنهج القرآني الطفولة بعد الولادة بالتنشئة والرعاية الأكبر؛ لتعدد متطلبات المرحلة وشدة أثرها على شخصية الطفل، فهي بمثابة الأساس لما بعدها، وأقرت الرعاية القرآنية لهذه المرحلة جملةً من الحقوق منها:

أ- **حق الطفل في الحياة:** كرم الله سبحانه وتعالى الإنسان وميزه بالحقوق التي تضمن عدم إهانته، وتجعل من بقاءه وحياته ضرورة وواجب شرعي يجب الحفاظ عليها، وأولها حقه في الحياة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 31]، روى البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: "أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك)، قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي؟ قال: «وأن تقتل ولدك ولداً ولدك تخاف أن يطعم معك»، قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك» (3)(4).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: 8، 9]، والموءودة هن البنات اللواتي كانت طوائف العرب تقتلن، حيث تأتي يوم القيامة تطالب بدمائها، وتسأل قاتلها بأي ذنب قتلوها؟ (5).

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (4/ 302).

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (5/ 114).

(3) (نداً) شريكاً والند المثل والنظير، (أن يطعم معك) أن يأكل معك وهو عنوان شدة البخل المتنافي مع الإيمان إلى جانب الإخلال باعتقاد أن الله تعالى هو الرزاق مع فظاعة قتل النفس بغير حق وكلها آثام تستحق العقاب الشديد، (تزاني) تزني فيها برضاها وهذا يدل على أنه سلك معها مسالك الخداع حتى أغراها به وأفسد على زوجها فراشه واستقراره، (حليلة) زوجة سميت بذلك لأنها تحل له، انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، (18/ 86).

(4) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 22]، حديث رقم (4477)، (6/ 18).

(5) انظر: جامع البيان، الطبري، (24/ 247).

ويقول الرازي في تفسيره تعليقاً على المسألة عدة وجوه (1):

أحدها: إنما وجب بر الآباء؛ مكافأة على ما صدر منهم من أنواع البر بالأولاد وفي المقابل وجب البر بالأولاد؛ لأنهم في غاية الضعف ولا كافل لهم غير الوالدين.

وثانيها: أن امتناع الأولاد من البر بالآباء يوجب خراب العالم، وفي المقابل يثبت أن عمارة العالم إنما تحصل إذا حصلت المبرة بين الآباء والأولاد من الجانبين.

وثالثها: أن قتل الأولاد إن كان لخوف الفقر فهو سوء ظن بالله، وإن كان لأجل الغيرة على البنات فهو سعي في تخريب العالم، فالأول ضد التعظيم لأمر الله تعالى، والثاني ضد الشفقة على خلق الله تعالى وكلاهما مذموم.

ب- حق الطفل في الرضاعة: عندما تضع الأم وليدها حياً يُرزق ، تبدأ مسؤولية الأبوين في الرعاية والإنفاق والتربية؛ حتى يبلغ رشده، وهذه المرحلة الطويلة تحتاج لمطالب مادية أولها الرضاعة⁽²⁾، وأولى بها الأم، فهي عليه أعظم عوناً، وأشدّ عطفًا وحنانًا، وأقرب رعاية وحفظًا فقد جعل الله ﷻ للمولود حقاً على أمه أن ترضعه حولين كاملين على الأكثر؛ لأنها المدة المثلى من جميع الجوانب الصحية والنفسية؛ لكي ينمو فيها جسده نموًا طبيعيًا وكاملًا بما يتناسب مع كبر عمره يومًا بعد يوم⁽³⁾، قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: 233]، قال البغوي: " وهذا منتهى الرضاعة وليس فيها دون ذلك حد محدود وإنما هو على مقدار صلاح الصبي وما يعيش به" (4).

وأكدت الدراسات الدينية، والطبية، والنفسية، " أن الرضاعة الطبيعية لها قيمة لدى الطفل، حيث يشعر الطفل من خلالها بالدفء والحب والحنان؛ لأن لبن الأم أقوى غذاء جسمي، وأشهى غذاء نفسي، فالطفل حين يرضع من أمه، لا يملأ معدته فحسب، ولكنه يملأ نفسه سروراً واطمئناناً وأمنًا" (5).

(1) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (20 / 331-330).

(2) نحو تربية إسلامية، د. حسن الشراقوي، (ص: 84).

(3) التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، علي صبح، (ص: 220).

(4) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (1 / 277).

(5) مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، (33 / 293).

ت- **حق الطفل في النفقة والكسوة:** جعل الإسلام للطفل حق النفقة والكسوة على الأب، ويورث هذا الحق، فيجب على الورثة في حال وفاة الأب، قال تعالى: ﴿وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف﴾ [البقرة: 233]، وقوله تعالى: ﴿وعلى المولود له﴾ أي: على الأب، والرزق في هذا الحكم الطعام الكافي، وفي هذا دليل على وجوب نفقة الولد على الوالد لضعفه وعجزه، والكسوة أي اللباس، وكل ذلك من غير تفريط ولا إفراط (1).

ث- **حق الطفل في التربية والتوجيه:** الأبناء أمانة ومسئولية؛ لذلك حث الله ﷻ على حُسن نشأتهم على امتثال أوامر الله و اجتناب ما نهى الله عنه ويُدربوا على ذلك، فيرتبطوا منذ صغرهم بأحكام الشريعة طريقاً ومنهاجاً، يقول أبو حامد الغزالي: " اعْلَمْ أَنَّ الطَّرِيقَ فِي رِيَاضَةِ الصِّبْيَانِ مِنْ أَهَمِّ الْأُمُورِ وَأَوْكَدِهَا، وَالصَّبِي أَمَانَةٌ عِنْدَ وَالِدِيهِ وَقَلْبُهُ الطَّاهِرُ جَوْهَرَةٌ نَفِيسَةٌ سَادَجَةٌ خَالِيَةٌ عَنْ كُلِّ نَقْشٍ وَصُورَةٍ، وَهُوَ قَابِلٌ لِكُلِّ مَا نُقِشَ وَمَائِلٌ إِلَى كُلِّ مَا يَمَالُ بِهِ إِلَيْهِ، فَإِنْ عُوِّدَ الْخَيْرَ وَعَلِمَهُ نَشَأَ عَلَيْهِ وَسَعِدَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَشَارَكَهُ فِي ثَوَابِهِ أَبُوهُ وَكُلُّ مَعْلَمٍ لَهُ وَمُؤَدِّبٍ وَإِنْ عُوِّدَ الشَّرَّ وَأُهْمِلَ إِهْمَالِ الْبَهَائِمِ شَقِيَ وَهَلَكَ وَكَانَ الْوِزْرُ فِي رِقْبَةٍ الْقِيَمِ عَلَيْهِ وَالْوَالِي لَهُ " (2).

ولذلك أمر المولى ﷻ باتباع منهج التربية الوقائية ابتداءً المتمثل في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: 6]، أي: من الوقاية بحفظ أنفسكم وأهليكم الذين في حفظكم وحضانتكم من أزواجكم وأولادكم عن الوقوع في المهالك والفتن وأنواع الآثام الموجبة للخذلان والحرمان (3).

وتتمثل التربية الوقائية في الخطوات العملية التالية:

▪ **ضرورة اللعب للأطفال:** فاللعب ضرورة تربوية؛ لأن الطفل في سن يحتاج فيها إلى الترفيه واللعب؛ لذلك لم يمنع نبي الله يعقوب عليه السلام ابنه يوسف عليه السلام بالخروج مع إخوانه لهذا الغرض كما قال تعالى: ﴿ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف: 11-12]، "أي: ينتزه في البرية ويستأنس" (4).

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (3/ 163).

(2) إحياء علوم الدين، الغزالي، (3/ 72).

(3) انظر: الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية، النخجواني، (2/ 427).

(4) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 394).

ومن هنا نرى أهمية لعب الصغير، فهو المجال الذي يبني فيه جسمه، ويُمتع به روحه، ويُغذي به نفسه فهو خير كله، بما يحقق للطفل التوازن النفسي والانفعالي من خلال الأنشطة التي تجلب السرور والمرح والبهجة إلى نفسه، ومن ثم يكون له مردوده الإيجابي على الطفل والأسرة والأمة بأكملها⁽¹⁾.

■ **تنمية علاقة الصحبة بين الوالد وولده:** تُعد العلاقة بين الآباء وأبناءهم من أهم العلاقات البشرية وأكثرها تأثيراً على شخصية الطفل، خصوصاً في مرحلة الطفولة، ومن النماذج القرآنية التي مثلت هذه العلاقة، علاقة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بأبنائهم، منها:

● **صحبة سيدنا إبراهيم عليه السلام لولده إسماعيل عليه السلام:** نلاحظ من قصة خليل الله إبراهيم عليه السلام مع ولده إسماعيل عليه السلام مدى قوة العلاقة التي ربطتهما، بداية في قوله تعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: 100]، أي: ولداً يعينني على الدَّعْوَةِ والطَّاعَةِ ويؤنسني في الغربة، فاستجاب له ربه وأكرمه بفلذة كبده وقرّة عينه إسماعيل عليه السلام، فكان المُبشِّر به عينٌ ما استوهبه عليه الصَّلَاة والسلام، وقد جُمع فيه بشارات ثلاث وهن ذكر يبلغ اللحم ويكون حليماً⁽²⁾، قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: 101].

وتكمل آيات سورة الصافات في سرد تطور العلاقة بين الأب وابنه قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: 102]، فلما خاطب الأب بقوله يا بني على سبيل الترحم، أجاب الابن بقوله يا أبت على سبيل التوقير والتعظيم وقد فوض الأمر إليه حيث استشاره، فهل هناك تربية أعظم من هذه التربية إذ يعرض على ابنه رؤياه التي يأمر الله فيها بذبحه، فلا يعترض الابن الصابر بل يُسلم الأمر إلى الله، ولا شك أن وراء هذا الاستسلام تربية عظيمة ناصحة قيمة، قائمة على الانقياد وامتثال الأمر، وعلى الله المثوبة⁽³⁾.

كما تتضح قوة العلاقة الأبوية بين النبيين الكريمين في مرحلة بناء الكعبة، حيث تعاونوا كأنهما صاحبان، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 127]، ويصف الشعراوي هذه الصورة بقوله: ثم يقف إبراهيم

(1) واقع الترويح المعاصر لدى الطفل المسلم من وجهة نظر الآباء والأمهات، طارق حجار، (ص: 440).

(2) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (7/ 199).

(3) تفسير المراغي، المراغي، (74/ 23).

على الحجر وإسماعيل يناوله الأحجار الأخرى التي سيتم بها رفع القواعد من البيت، ورغم المشقة التي يتحملها الاثنان، إلا أنهما كانا سعيدين، وكل ما يطلبانه من الله هو أن يتقبل منهما (1).

وقد جاء في الحديث النبوي الشريف الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: "ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ رَمْزٍ، فَلَمَّا رَأَهُ قَامَ إِلَيْهِ، فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَلَدِ وَالْوَالِدُ بِالْوَالِدِ، ثُمَّ قَالَ يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ، قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ، قَالَ: وَتُعِينُنِي؟ قَالَ: وَأَعِينُكَ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا، وَأَشَارَ إِلَى أَكْمَةِ مُرْتَفَعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ، جَاءَ بِهِذَا الْحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ، وَهُمَا يَقُولَانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 127]، قَالَ: فَجَعَلَا يَبْنِيَانِ حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ الْبَيْتِ وَهُمَا يَقُولَانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 127] (2).

• صحبة سيدنا يعقوب عليه السلام لولده يوسف عليه السلام: لقد ارتبط يعقوب عليه السلام مع ابنه الصغير يوسف عليه السلام بعلاقة متينة قائمة على المحبة والحوار الهادف، حتى إنه يخبر أباه ما يدور في خلجات نفسه وما يراه في المنام، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: 4]، حيث يعرض النص القرآني علاقة الأب مع ابنه الصغير، كعلاقة الصديق بصديقه، فلم يقل الأب لابنه بأن رؤياه أضغاث أحلام، أو أنها رؤيا صيدانية، بل استمع له ولم يستصغر عقله، وحاوره بأسلوب حكيم فجاء خطابه الحاني والراقي، قال تعالى حكاية على لسانه: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: 5]، وذلك؛ لصغر سنه وإظهار شفقتة عليه، ولما علم من تفسير الرؤيا بأن يوسف عليه السلام سيبلغه الله تعالى مبلغاً جليلاً من الحكمة ويصطفيه للنبوّة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بأبائه الكرام، فخاف عليه من حسد الإخوة، وهذا إكبار من الأب لابنه يوسف، حيث أعطاه شعوراً بالأهمية (3)، وعليه فإن صحبة الوالد لولده فيه احترام

(1) انظر: الخواطر، الشعراوي، (1/ 585).

(2) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم (3364)، (4/ 144).

(3) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (4/ 252)، الخواطر، الشعراوي، (11/ 6847)، التفسير الوسيط، الطنطاوي، (7/ 318).

لشخصيته، وتنمية للثقة بنفسه.

■ التوجيهات التربوية العملية لبناء الشخصية الإسلامية السوية:

قدم المنهج القرآني نظرية متكاملة في معالم التربية الإسلامية العملية المستخلصة من وصايا لقمان (1) الحكيم لابنه حيث تُعد وصاياه منهجاً كاملاً في أصول التربية الإسلامية (2)، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: 12]، "أي: ولقد آتينا لقمان الفقه في الدين والعقل والإصابة في القول" (3)، وقبل أن يبدأ الحكيم بالنصيحة لولده هياً الجو المناسب لتقبلها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ﴾ فالتعبير القرآني (يَعْظُهُ) أي "يخاطبه بالمواعظ" (4) يدل على إعطاء أولوية كبيرة للجلوس مع الأولاد للتوجيه والتربية، باستخدام وسائل الترغيب، والحكمة، والألفاظ المحببة والمشوقة لدى المتربي؛ لأنها تتعلق ببناء الإنسان، وبناء الجيل القادم (5)، وتتخلص التوجيهات في الآتي:

أ. التوجيه العقدي:

بدأ لقمان الحكيم وصيته لابنه بالتوجيه الأهم والأسمى، وهو النهي عن الشرك ولم يبدأ معه بالأمر بالإيمان بالله تعالى وذلك؛ لأنّ الإيمان بالله تعالى متحقق لدى الأطفال بحكم الفطرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه كان يحدث، قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِبَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ» ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» [الروم: 30] الآية (6).

(1) "اختلف هل هو نبي أو رجل صالح فقط، فقال بنبوءته عكرمة والشعبي، وقال بصلاحه فقط مجاهد وغيره، وقال ابن عباس: لم يكن لقمان نبياً ولكن كان عبداً كثير التفكير حسن اليقين أحب الله فأحبه فمن عليه بالحكمة ... وكان قاضياً في بني إسرائيل نوبياً" انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (4/ 347).

(2) انظر: معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه، عبد الرحمن الأنصاري، (ص: 466).

(3) جامع البيان، الطبري، (20/ 134).

(4) فتح القدير، الشوكاني، (4/ 273).

(5) معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه، عبد الرحمن الأنصاري، (ص: 436).

(6) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصل عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، حديث رقم (1358)، (2/ 94)، (بهيمة جمعاء) تامة الأعضاء مستوية الخلق. (تحسون) تبصرون، (جدعاء) مقطوعة الأذن أو الأنف أو غير ذلك.

وقد اختار لقمان الحكيم أحلى وأحبّ الألفاظ لدى المتربّي، والتي تشعره بأنه لا ينصحه إلا من باب حبّه الكبير، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ﴾ [لقمان: 13]، "يا بُنَيَّ بالتصغير والإضافة إلى ياء المتكلم بالفتح والكسر وهو تصغير رحمة وعطوفة ولهذا أوصاه بما فيه سعادته إذا عمل بذلك" (1).

ثم بادر بالوصية الأولى وهي بناء عقيدة التوحيد لتخلية النفس من عدم الاتزان وعلل ذلك بأن الشرك لظلم عظيم؛ لأنه تسوية بين من لا نعمة إلا منه ومن لا نعمة منه (2)، قال تعالى: ﴿يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ [لقمان: 13].

ب. التوجيه الاجتماعي:

إن بر الوالدين في مقدمة الصلوات الاجتماعية التي أمر الشرع بها؛ لذلك جاء الأمر ببرهما مباشرة بعد النهي عن الشرك بالله؛ لأن عقوقهما من الكبائر المقاربة للشرك بالله، ثم يعرض لقمان الحكيم في وصيته لابنه العلاقة بين الوالدين والأولاد في أسلوب رقيق، وفي صورة موحية بالعطف والرفقة (3).

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: 14]، أي: أوجب الله ﷻ على الولد بر وخدمة والديه؛ لأنهما سبب في وجوده وبقائه، فلأم الحمل والرضاع، والأب رباه بكسب السنين، وحُص الحمل بالوصف؛ لأن الحمل كلما ازداد وعظُم، ازدادت الأم ثقلًا وضعفًا (4)، ومع هذا فإن رابطة العقيدة مقدمة على تلك العلاقة الوثيقة؛ لذلك "طاعة الوالدين لا تُراعى في ركوب كبيرة، ولا في ترك فريضة، وتُلزم طاعتها في المباحات" (5)، قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: 15]، والمعروف: "ما يُستحسن من الأفعال" (6).

(1) روح البيان، إسماعيل حقي الحنفي، (77 / 7).

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (214 / 4).

(3) انظر: معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه، عبد الرحمن الأنصاري، (ص: 444).

(4) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (3 / 494)، مفاتيح الغيب، الرازي، (120 / 25).

(5) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (64 / 14).

(6) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، (3 / 431).

والآية الكريمة نزلت في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وردت في صحيح مسلم (1).

ت. التوجيه النفسي:

ثم انتقل الحكيم لقمان إلى توجيه نفسية ابنه إلى مبدأ المراقبة الذاتية لله تعالى علام الغيوب، مبتدئاً بالنداء {يا بني} " للتطلف والترقيق " (2)، قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 16]، أي: إن لخصلة السيئة أو الحسنة لو كانت مثقال حبة خردل، يحضرها الله يوم القيامة حين يضع الموازين القسط، ويجازى عليها إن خيراً فخير، وإن شراً فشر (3).

يقول طنطاوي: " المقصود من الآية الكريمة، غرس الهيبة والخشية والمراقبة لله تعالى؛ لأن سبحانه لا يخفى عليه شيء في هذا الكون، مهما دق وقل وتَحَفَى في أعماق الأرض أو السماء " (4).

ث. التوجيه السلوكي:

انتقل لقمان الحكيم من تعليم ابنه أصول العقيدة إلى تعليمه أصول الأعمال الصالحة، حيث يجسد ذلك بتوثيق الصلة بالله تعالى لحمايته من الانحراف السلوكي (5)، قال تعالى: ﴿يَبُوءُ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: 17].

(1) سبب نزول الآية رقم (15) " حدثنا مصعب بن سعد، عن أبيه، أنه نزلت فيه آيات من القرآن قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب، قالت: زعمت أن الله وصابك بوالديك، وأنا أمك، وأنا أمرك بهذا. قال: مكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له عمارة، فسقاها، فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك على أن تشرك بي﴾ وفيها {وصاحبهما في الدنيا معروفاً} [لقمان: 15]، انظر: صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، حديث رقم (1748)، (4/1877).

(2) الخواطر، الشعراوي، (19/11650).

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (6/337).

(4) التفسير الوسيط، طنطاوي، (11/121).

(5) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (21/164).

حيث أمرت الآية الكريمة بثلاث من عزم الأمور، مثلت أصول التطبيق العملي للسلوك الفردي في المجتمع وهي كالتالي:

ث - الصلاة:

قال تعالى: ﴿يُبَيِّنُ أَقِيمِ الصَّلَاةَ﴾، وإقام الصلاة هي: التوجه إلى الله بالخضوع والتسبيح والدعاء في أوقات معينة، فالصلاة عماد الأعمال؛ لاشتمالها على الاعتراف بطاعة الله وطلب الاهتداء للعمل الصالح⁽¹⁾.

ولقد فرض الله سبحانه وتعالى على عباده الصلاة في عمر باكر، لما لها من أثر عظيم في تهذيب سلوك الإنسان، وإصلاح قلبه، فعن عبد الملك بن الربيع بن سبرة، عن أبيه عن جده، قال: قال النبي ﷺ: "مُرُوا الصَّبِيَّ بِالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ، وَإِذَا بَلَغَ عَشْرَ سِنِينَ فَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا"⁽²⁾.

ج - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، "أي: أمر النفس والغير بما هو معروف شرعاً وعقلاً، كمكارم الأخلاق، ومحاسن الأفعال، مما يهذب النفس ويدعو إلى التحضر، والنهي عن المنكر، أي منع النفس والآخرين من المعاصي والمنكرات المحرمة شرعاً والقبيحة عقلاً، والتي تغضب الله، وتوجب عذاب جهنم"⁽³⁾.

وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة تهدف لحراسة المجتمع وحمايته من الانحراف، كما أنها وظيفة اجتماعية لا يجوز التخلي عنها في أي حال من الأحوال فإذا حدث ذلك تعرضت الأمة كلها للعقوبة العامة⁽⁴⁾.

ح - الصبر :

ويستمر لقمان ناصحاً ولده، حيث قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾، "أي: اصبر على المحن والبلايا؛ لأنَّ الداعي إلى الحق معرَّض لإيصال الأذى إليه"⁽⁵⁾.

(1) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (164 / 21)،

(2) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، حديث رقم (494)، (1 / 366)، حديث

حسن صحيح

(3) التفسير المنير، الزحيلي، (149 / 21).

(4) انظر: الأخلاق الإسلامية، عبد الرحمن الميداني، (632/2).

(5) صفوة التفاسير، الصابوني، (452 / 2).

ولقد عرف الغزالي الصبر بقوله: "ثبات باعث الدين الذي هو في مقابلة باعث الشهوة" (1).

فالتربية على الصبر أمر عظيم؛ لأنه بالصبر يتمكن الإنسان بكل طمأنينة وثبات أن يضع الأشياء في مواضعها، ويتصرف في الأمور بعقل واتزان وينفذ ما يريد من تصرف في الزمن المناسب، بالطريقة المناسبة الحكيمة، وعلى الوجه المناسب الحكيم (2).

خ - التوجيه الأخلاقي:

واستطرد لقمان الحكيم في وصيته التي يحكيها القرآن إلى آداب وتعاليم أخلاقية في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (18) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: 18، 19]، حيث تضمنت الآيتان جملة من المواعظ وهي:

- قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾، أي: "لا تُعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك، احتقاراً منك لهم، واستكباراً عليهم ولكن أَلن جانبك، وابسط وجهك إليهم" (3)، والصَّعْرُ هو "الكِبْر أو الميل، أو التشدق في الكلام" (4)، وهو داء يصيب الإبل فيلوي أعناقها، يقال أصاب البعير صعر إذ أصابه داء يلوي منه عنقه (5)، وجاء الأسلوب القرآني بهذا التعبير للتفجير من الحركة المشابهة للصعر، وهي حركة الكبر والإزورار وإمالة الخد للناس في تعالٍ واستكبار (6).

- وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾، أي: "لا تسر في الأرض مختالاً بطراً متبخترًا، جباراً عنيداً، فإن تلك المشية ييغضها" (7)؛ لذلك ختم الله الآية بما يناسب هذا المعنى فقال عزو وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾

(1) إحياء علوم الدين، الغزالي، (4/ 63).

(2) انظر: معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه، عبد الرحمن الأنصاري، (ص: 457).

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (6/ 338).

(4) تفسير القرآن، العز بن عبد السلام، (2/ 540).

(5) انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (14/ 69)، البحر المحيط، أبو حيان، (8/ 407).

(6) في ظلال القرآن، سيد قطب، (5/ 2790).

(7) التفسير المنير، الزحيلي، (21/ 150).

- وقال تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ ، أي: " ليكن في مشيتك قصد بين الإسراع والتأني أما الإسراع فهو من الخيلاء وأما التأني فهو أن يرى في نفسه الضعف تزهداً، وكلا الطرفين مذموم بل ليكن مشيك بين السكينة والوقار" (1).

- وقال تعالى: ﴿وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾، أي: "انقص منه" (2)، وعضض من صوتك إشارة إلى التوسط والاعتدال في القول، و ذكر المانع من رفع الصوت؛ لأنه يؤدي السامع ويقرع الأذن بقوة، وربما يخرق الغشاء الذي داخل الأذن (3).

وختم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: 19]، استعارة تمثيلية، حيث شبه الرافعين أصواتهم بصوت الحمير... وفيه دلالة على ذم رفع الصوت من غير حاجة، لأن التشبيه بصوت الحمار يقتضي غاية الذم (4).

ويستنتج من تلك التوجيهات أن لقمان الحكيم رتب وصيته بحسب أهميتها حيث كانت وصية جامعة من الحكمة والتقوى والإرشاد، يقول سيد قطب في نهاية تفسيره للآيات السابقة: "وهذا هو طريق العقيدة المرسوم، توحيد الله، وشعور برقابته، وتطلع إلى ما عنده، وثقة في عدله، وخشية من عقابه، ثم انتقال إلى دعوة الناس وإصلاح حالهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، والتزود قبل ذلك كله للمعركة مع الشر، بالزاد الأصيل زاد العبادة لله والتوجه إليه بالصلاة ثم الصبر على ما يصيب الداعية إلى الله، من التواء النفوس وعنادها، وانحراف القلوب وإعراضها" (5).

وخلاصة القول: مرحلة الطفولة مرحلة حرجة جداً؛ لذلك ينبغي على الوالدين أن يحسنا تربية أولادهم، وتعليمهم الدين ومكارم الأخلاق، وأنواع العلوم والمعارف الأخرى، كي يتربوا تربية راسخة، تجعل منهم قوة فعالة ثابتة في مجتمعهم.

المرحلة الثانية: رعاية الشباب

الشباب هم مقياس تقدم الأمم وتأخرها، ومعيار رقيها وانحطاطها؛ لذلك أولت الشريعة الإسلامية اهتماماً كبيراً لهذه المرحلة العمرية اليافعة، فهي القوة وسط ضعفين، ضعف الطفولة

(1) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (3/ 399).

(2) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، (3/ 432).

(3) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (25/ 123).

(4) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (21/ 152-142).

(5) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (5/ 2790).

وضعف الشيخوخة، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم:54]، أي: جعل لكم قوةً على التصرف بعد عجزكم عنه، ثم يحدث لكم الضعف تارةً أخرى بالهرم والكبر⁽¹⁾، حيث يبدأ عمر الشباب بالبلوغ ويتوسط بالاستواء ويبلغ الذروة في الأربعين⁽²⁾.

لذلك حديث القرآن الكريم عن مرحلة الشباب حديث عن حصاد الثمار، فهي مرحلة العطاء والفاعلية والنشاط، ويقصد برعاية الشباب: "الجهود التي تهدف إلى مساعدة الشباب على أن يجتازوا مراحل النمو بنجاح؛ حتى يكتسبوا قدرات ومهارات تساعدهم على أن يكونوا مواطنين صالحين"⁽³⁾.

ولقد منح القرآن الشباب رعاية وتربية شاملة مُكمّلة لما في مرحلة الطفولة، تعلقت بالجانب الروحي والديني والخلقي و العقلي والجسمي والنفسي، وبهذا يتحقق البناء المنشود لشخصية الشاب المسلم، ويتحقق الأمن النفسي والطمأنينة؛ لأن التربية القرآنية للشباب هي العاصم للمجتمع من الانحراف والزيغ والضلال والرفض، والتي تعاني منها المجتمعات المعاصرة⁽⁴⁾، وظهرت الرعاية القرآنية في جملة عظيمة من التوجيهات التربوية العملية منها: أولاً: التربية الجنسية:

ويقصد بها: "تعليم الولد وتوعيته ومصارحته منذ أن يعقل القضايا التي تتعلق بالجنس، وترتبط بالغريزة، وتتصل بالزواج؛ حتى إذا شب الولد وترعرع وتفهّم أمور الحياة عرف ما يحل وما يحرم، وأصبح السلوك الإسلامي المميز خلقاً له وعادة، فلا يجري وراء شهوة، لا يتخبط في طريق تحلل"⁽⁵⁾.

والتربية الجنسية في الإسلام تُمدّ الفرد بالخبرات الصالحة، والاتجاهات الصحيحة إزاء المسائل الجنسية، بما يساهم في نمو جسمه، وعقله، وتعديل انفعالاته وتطوير علاقاته الاجتماعية؛ مما يؤهله لحسن التوافق في المواقف الجنسية، ومواجهة المشكلات التي يمكن أن

(1) انظر: جامع البيان، الطبري، (20 / 118).

(2) انظر: تهذيب اللغة، الأزهرى، (11 / 182).

(3) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، (2 / 1156).

(4) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، (71 / 274).

(5) تربية الأولاد، عبد الله ناصح علوان، (499).

يتعرض لها مواجهة واقعية تؤدي إلى الصحة النفسية⁽¹⁾؛ لذلك شدد القرآن الكريم على أهمية التربية الجنسية للشباب المسلم، حيث ابتدأها بعمر باكر، وبشكل متدرج، ولعل أهم مبادئ التربية الجنسية في القرآن التالي:

أ. الاستئذان في الدخول لمن بلغ الحلم: بدأ المنهج القرآني أمراً للأطفال الذين لم يبلغوا الحلم بالاستئذان في أوقات ثلاثة فقط، وأبيح لهم الأمر في غير ذلك، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ تَأْذِنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ [النور: 58]، وهذا "دلالة على أن المميز غير البالغ يُعوّد على الأدب والنظام والانضباط والإعداد لتحمل المسؤولية والتكاليف الشرعية فيما بعد"⁽²⁾، ثم أمر الله تعالى في قوله: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور: 59]، أي: إذا بلغوا الحلم فهم على حكم الرجال في الاستئذان في كل وقت أحراراً كانوا أو عبيداً⁽³⁾.

ب. عدم خضوع المرأة بالقول: أمر الله عزوجل نساء النبي ﷺ، ونساء المسلمين بذلك، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ وَقُولًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: 32]، أي: فلا تُلنّ بالقول للرجال فيما يبتغيه أهل الفاحشة منكن⁽⁴⁾، فيثير شهواتهم، ويحرك غرائزهم، ويطمع مرضى القلوب فيهن.

ت. وقر النساء في البيوت وعدم التبرج: يقول الله تعالى واعظاً نساء المؤمنين: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: 33] أي "الزمن بيوتكن وقيل هو أمر من الوقار أي كن أهل وقار وسكون"⁽⁵⁾، وأن يستترن في هيئاتهن وأحوالهن ولا يتبرجن⁽⁶⁾، وصورة التبرج في الجاهلية كما وصفها ابن كثير: "كانت المرأة تمر بين الرجال مسفحة بصدورها، لا يواريه شيء، وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقرطة آذانها"⁽⁷⁾.

(1) التربية الجنسية في ضوء القرآن الكريم والسنة، فروق بخيت، (22).

(2) التفسير المنير، الزحيلي، (18 / 295).

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (12 / 308).

(4) انظر: جامع البيان، الطبري، (20 / 257).

(5) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (3 / 424).

(6) التبرج: التبخر في المشي أو إظهار الزينة، انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (3 / 30).

(7) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (6 / 46).

ث. الأمر بغض البصر وحفظ الفرج لكلا الجنسين: قال تعالى في حق الرجال: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ [النور:30]، وقال في حق النساء: ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور:30]، وغض البصر: يعني حفظه عمّا يحرّم ويقتصر به على ما يحلّ، والحفظ التستّر و التّصون عن الزّنا، وقُدّم الغضّ؛ لأنّ النظر بريد الزّنا ورائد الفساد⁽¹⁾.

ج. طلب العفة : ويقصد به حصانة الشاب المسلم الذي لم يتيسر له الزواج بالتعالي على الغريزة والاستغفاف والتمسك بالفضائل وتصريف الطاقات في عبادة الله⁽²⁾، قال تعالى: ﴿ وَلَيْسَتَعْفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [النور: 33]، أي: وليجتهد في العفة، كأن المستعف طالبٌ من نفسه العفاف وحاملها عليه حين لا يجدون نكاحاً أي استطاعة تزوج⁽³⁾، وقد وضع القرآن الكريم عدداً من التدابير؛ للحد من ثورة الجنس، تمثلت في غض البصر، والابتعاد عن المثيرات الجنسية ، وحث الشباب على الزواج الشرعي⁽⁴⁾.

ح. النهي عن الفاحشة: نهى القرآن الكريم عن كل مقدمات الفاحشة من التبرج والاختلاط والخلوة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: 32]، وغلظ في عقوبتها، قال تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور:2]، يقول الصابوني: شرع الله ﷻ في حد الزناة الجلد مائة جلدة للبر والرحمة للمحصن، عقوبة لهما على هذه الجريمة الشنيعة، وزيادة في العقوبة أمر بعدم الرأفة والرحمة في حكم الله تعالى، أي لا تخففوا الضرب أو تنقصوا العدد بل أوجعوهما ضرباً، وهذا من باب الإلهاب والتهيج؛ لأن جريمة الزنى أكبر من أن تستدر العطف أو تدفع إلى الرحمة ، وليحضر عقوبة الزانيين جماعةً من المؤمنين؛ ليكون أبلغ في زجرهما،

(1) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (6/ 169).

(2) انظر: التربية الإسلامية ومراحل النمو، عباس محجوب، (ص: 124).

(3) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (3/ 237).

(4) انظر: الزواج والصحة الإنجابية، د. صبحي اليازجي، (ص/510).

وأنجع في ردهما، فإنَّ الفضيحة قد تنكل أكثر مما ينكل التعذيب⁽¹⁾، ويلحق بالزنا اللواط⁽²⁾ والسحاق⁽³⁾.

خ. **الحث على الزواج الشرعي:** لم يكتب القرآن الكريم الرغبات الجنسية بل دعا إلى ضبطها وتوجيهها؛ لتكون أداة بناء وتعمير لا أداة هدم وتخريب للمجتمع فالطريق السوي لمشكلة الجنس هو الزواج، قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [النور: 32]، قال الطبري: "وزوجوا أيها المؤمنون من لا زوج له، من أحرار رجالكم ونسائكم، ومن أهل الصلاح من عبيدكم ومماليكم"⁽⁴⁾.

وهكذا فقد ابتدأ المنهج القرآني سيره في تهذيب الفرد المسلم جنسياً بإقرار عدد من المبادئ والتوجيهات، ثم لم يكتف بسد الأبواب التي يمكن أن تثير الشهوة وتؤدي إلى الفساد بل أوجد البديل الشرعي؛ حتى يكون المجتمع المسلم مجتمعاً وسطاً متوازناً في حياته الروحية والجسدية معاً.

وفي قصة مقاومة نبي الله يوسف عليه السلام لفتنة النساء وتفضيله السجن على إشباع الغرائز والشهوات أروع نموذج قرآني للشاب المسلم الذي تعفف عن الحرام، قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [يوسف: 33]، قال الرازي: طلب يوسف عليه السلام السجن وهو في غاية المكروهية؛ لأن اختيار هذا المكروه يستعقبه سعادات عظيمة، ورفض ما دعونه إليه رغم كونه في غاية المطلوبة؛ لأن تلك اللذة سيعقبها آلام عظيمة، وهي الذم في الدنيا والعقاب في الآخرة⁽⁵⁾.

ثانياً: التربية العقلية:

ويقصد بها: "تكوين فكر الولد بكل ما هو نافع من العلوم الشرعية، والثقافة العلمية والعصرية، التوعية الفكرية الحضارية؛ حتى ينضج الولد فكرياً، ويتكون عقلياً وثقافياً"⁽⁶⁾؛ لذلك دعا القرآن الكريم لإعمال العقل بطول التفكير و حسن التدبر؛ لأن ثمرة العقل هي العمل الذي

(1) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، (2/ 298).

(2) اللواط: إتيان الرجال من دون النساء، انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (18/ 202).

(3) السحاق: هو فعل النساء الفاحشة بعضهن ببعض، انظر: الفقه الإسلامي وأدلته، الزحيلي، (7/ 5346).

(4) جامع البيان، الطبري، (19/ 165).

(5) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (18/ 451).

(6) تربية الأولاد، عبد الله ناصح علوان، (255).

يقوم به الفرد، قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: 46]، في هذه الآية دعوة واضحة للسير في الأرض بالبدن والقلب معاً؛ للنظر والاعتبار؛ لأن سير البدن الخالي من التفكير والاعتبار، غير مفيد، ولا موصل إلى المطلوب؛ لذلك نجد أن العمى الضار في الدين، عمى القلب عن الحق، حتى لا يشاهده كما لا يشاهد الأعمى المرثيات⁽¹⁾.

وعلى ذلك فإن التربية العقلية هي الأهم في تربية الناشئة؛ لكي نتحصل على جيل واعد من الشباب يعمل ويجتهد ويخدم مجتمعه؛ لذلك غني المنهج القرآني بتربية العقل المسلم خاصة في هذه المرحلة العمرية فمرحلة الشباب تتميز بالفتوح الذهني أكثر من غيرها، كما قال ابن شهاب لمجموعة من الفتيان الأحداث: " لا تحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم، فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا نزل به أمر دعا الشباب، فاستشارهم، بيتغي حدة عقولهم"⁽²⁾.

وإن كان الواجب رعاية العقل للطفل والشاب والشيب على حد سواء، لكن الشباب أحوج لذلك، وأولى الناس إلى أن يُوجَّهوا إلى ما فيه سعادة المجتمع ونجاته وصلاحه مع سعادة أنفسهم وصلاحهم⁽³⁾.

والتربية العقلية الصحيحة تمثل مدى استجابة المرء لدعوة القرآن من خلال أعمال عقله من نصوص القرآن، التي تطرح الأسئلة وتنظم الحوارات وتعطي الدروس بأسلوب القصص والأمثال، والتفكير العلمي بالنظر في آيات الله، والغيبات⁽⁴⁾.

ولقد أثنى الله ﷻ على فئة من الشباب المؤمن حينما عملوا عقولهم فقال ﷻ: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف: 13]، أي: شبان آمنوا بربهم، فربط الله على قلوبهم بالصبر على هجر الأوطان والنعيم، وبالتثبیت على كلمة الحق⁽⁵⁾، وزاد صاحب الفواتح الإلهية: "إنهم شبان من أرباب الفتوة والمروءة وفقوا من عند الله للعقل الكامل والرشد التام إلى

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 541).

(2) سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، (7/ 360).

(3) انظر: فتاوى دار الإفتاء المصرية، دار الإفتاء المصرية، (10/ 333).

(4) انظر: البناء العقلي في ضوء القرآن الكريم، ميساء قلجة، (8).

(5) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (3/ 182)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،

الزمخشري، (2/ 707).

أن آمنوا وأذعنوا بربهم... فزدناهم من لدنا بعد ما أخذوا بالتأمل والتدبر في آياتنا الدالة على عظمة ذاتا... وأثبتناهم في جادة الهداية والتوفيق" (1).

ثالثاً: التربية البدنية:

يقصد بالتربية البدنية: "عملية تربوية تهدف الى تحسين الأداء الإنساني من خلال الأنشطة البدنية المختارة؛ لتحقيق ذلك فمن خلالها يكتسب الفرد أفضل المهارات البدنية والعقلية والاجتماعية واللياقة عبر النشاط البدني" (2).

ولقد احتلت التربية البدنية في الإسلام مكاناً خاصاً جديراً بها، تهدف إلى المحافظة على جسم الإنسان سليماً قوياً؛ ليكون الجسم أداة تُمكن الإنسان من اتقان عبادة الله تعالى والتوجه إليه بصدق وإخلاص، كما تعد الرياضة البدنية سبيل الوقاية الصحية، باعتبارها جزءاً أصيلاً في علاج بعض الأمراض المتعلقة بزيادة الوزن، والإصابات الجسمية، والجلطات الدموية ونحوها من الأمراض، والسنة المشرفة زاخرة بتوجيهات وتوصيات عملية في هذا الجانب(3).

وربط القرآن الكريم التربية البدنية بالتربية العسكرية؛ لأجل تهذيب القوة الجسدية للمسلم فلا تكون طائشة، بل يضبطها صاحبها ويوجهها إلى ما فيه الخير، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ﴾ [الأنفال: 60]، ونقل ابن الجوزي أقوال المفسرين لقوله تعالى: ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾

منها: الرمي، وقيل: النبل، وقيل: ذكور الخيل، وقيل: السلاح، وقيل: أنه كل ما يتقوى به على حرب العدو من آلة الجهاد(4).

وهذه الآية تدل على أن الاستعداد الجيد للجهاد في سبيل الله بالنبل والسلاح وتعليم الفروسية والرمي من فروض الكفايات كما عدها العلماء؛ لأن بهذا الإعداد استطاع القرآن تربية الشاب المسلم تربية المقاتل المتميز، تربية قوامها العناية بتقويته جسمياً؛ ليتحمل أعباء القتال ومواجهة الشدائد في المعركة وإجادة استعمال السلاح باعتبار الجهاد في سبيل الله ركناً هاماً في المحافظة على المجتمع المسلم (5).

(1) الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية، الشيخ علوان، (1/ 472).

(2) طرق تدريس التربية البدنية والرياضية، عباس أحمد صالح، (24).

(3) انظر: الرياضة من منظور اسلامي، سعود بن عبدالله الروقي، (20).

(4) انظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، (2/ 221).

(5) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (15/ 499)، الخواطر، الشعراوي، (6/ 3589).

وامتدح القرآن الكريم القوة متى ما استُخدمت وفق ضوابط الشرع، وتحكم فيها صاحبها ووجهها للإصلاح في المجتمع، وضرب لنا مثلاً في طالوت (1)، قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ [البقرة: 247]، ويرى الرازي أن العلم والقدرة وصفان اجتمعا في طالوت جعلاً منه أشد استحقاقاً للملك من غيره؛ لأن العالم بأمر الحروب، والقوي الشديد على المحاربة يكون الانتفاع به في حفظ مصلحة البلد، وفي دفع شر الأعداء أتم مما سواه (2)، وقال ﷺ في حق موسى ﷺ: ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ [القصص: 26]، وصف النسفي هذه الآية بقوله: "كلام جامع؛ لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان الكفاية والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك" (3).

كما ذم القرآن القوة متى ما استُخدمت في الظلم والطغيان، أو لم تصل بصاحبها إلى معرفة الله وتعظيمه، فقد قال تعالى في حق المنافقين و على رأسهم رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول إذ كان جسيماً صبيحاً فصيحاً (4)، حيث قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ﴾ [المنافقون: 4]، أي: رغم جمال مناظرهم وجسامة أجسادهم فقد كانوا في غاية الضعف والخور والجبين، يظنون كل صيحة يسمعونها واقعة عليهم، نازلة بهم؛ لفرط جبنتهم، ورعب قلوبهم، وفراغهم النفسي، وإحساسهم بالهزيمة من الداخل؛ لفساد بواطنهم، فكانت كالخشب الجوفاء التي نخرها السوس، فهي مع حسنها لا ينتفع فيها بعمل، ولا يستفاد منها خير (5).

رابعاً: التربية النفسية

تهدف التربية النفسية في القرآن الكريم إلى وصول الفرد لمرحلة الراحة النفسية والتي وصفها الشعراوي بقوله: "هي انسجام ملكات الإنسان حينما يذهب لينام، ولم يجرب على نفسه سقطة دينية ولا سقطة خلقية... كيف يكون حاله عندما يستعرض أفعال يومه قبل نومه، لا بد

(1) طالوت: هو سبط بنيامين بن يعقوب ﷺ، وأسباط بنيامين لا ملك فيهم ولا نبوة، وكان رجلاً قليل المال، يعمل سقاء، وقيل: كان دباغاً؛ لذلك اعترض بنو إسرائيل على تعيينه ملكاً عليهم، انظر: جامع البيان، الطبري، (5/ 306).

(2) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (6/ 504)

(3) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (2/ 638).

(4) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، (2/ 550-558).

(5) انظر: تفسير المراغي، المراغي، (28/ 108)، والتفسير المنير، الزحيلي (28/ 217).

أن يكون في سعادة لا تقدر بمال الدنيا"⁽¹⁾.

هذه الحالة التي يسعى المنهج القرآني إيصال الشباب المسلم لها؛ لذلك كان من أهداف المنهج القرآني غرس روح الثقة والاطمئنان والأمان والهدوء لدى الفرد لجميع مراحل العمرية، وخاصة الشباب؛ لضخامة الثقل الملقى عليه وكثرة الضغوط المؤثرة، قال تعالى على لسان موسى **﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾** [طه: 25]، أي: "وسّعه لتحمل أعباء الرسالة والصبر على مشاقها وسهل لي ما أمرتني به من التبليغ"⁽²⁾.

وبما أن الشباب هم العامل الأهم في تهيئة الظروف النفسية للصبيان والشيوخ؛ لذلك أعطاهم القرآن الكريم المناعة ضد الأمراض النفسية الناشئة؛ ليكون لديهم توافقاً نفسياً، وشعوراً بالسعادة، ويكونوا قادرين على تحقيق السعادة لغيرهم⁽³⁾، من خلال جملة من المبادئ التي تحقق السلامة النفسية للفرد المسلم، وتشكل سداً منيعاً أمام توحش الأمراض النفسية، ومن أبرزها⁽⁴⁾:

أ- **ترسيخ الإيمان في القلوب**: الإيمان بالله تعالى له تأثير عظيم على نفس المؤمن، فهو ينمي ثقته بنفسه ويدعمها، ويزيد من قدرته على تحمل مشاق الحياة، كما يبث الأمن والطمأنينة في النفس، ويجدد الهدوء وراحة البال، ويغمر الإنسان بالشعور بالسعادة، قال تعالى **﴿ وَكَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾** [الأنعام: 80]، أي: "إن الذين يحصل لهم الأمن يوم القيامة هم الذين آمنوا بالله وحده ولم يشركوا به شيئاً ولم يخلطوا إيمانهم بشرك"⁽⁵⁾. ولما نزلت الآية⁽⁶⁾ شق على المسلمين ذلك، وقالوا للنبي **﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾** : "أنا لم يظلم نفسه، فقال الرسول **﴿ لَيْسَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكَ، أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لِقَمَانَ لَابْنِهِ ﴾** **﴿ يَا بَنِيَّ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾** [لقمان: 13]"⁽⁷⁾.

ب- **أداء العبادات والشعائر الدينية**: وجه المنهج القرآني المسلم إلى أداء العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج كأسلوب من أساليب العلاج النفسي والجسدي معاً وأهمها الصلاة، فهي

(1) الخواطر، الشعراوي، (2/899).

(2) التفسير المنير، الزحيلي، (16/201).

(3) انظر: التوجيه والإرشاد النفسي، د. حامد زهران، (ص: 23).

(4) انظر: مقال بعنوان مبادئ الصحة النفسية في القرآن الكريم، د. مصطفى رجب <https://alsharq.com/opinion>

(5) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (2/130).

(6) ورد في سبب نزول قوله تعالى **﴿ وَكَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾** "ما أخرج ابن أبي حاتم عن عبيد الله بن زحر عن بكر بن سوادة قال حمل رجل من العدو على المسلمين فقتل رجلاً ثم حمل فقتل آخر ثم حمل فقتل آخر ثم قال أينفئني الإسلام بعد هذا فقال رسول الله **﴿ نعم فضرب فرسه فدخل فيهم ثم حمل على أصحابه فقتل رجلاً ثم آخر ثم آخر ثم قتل قال فيرون أن هذه الآية نزلت فيه**" انظر: لباب النقول، السيوطي، (90).

(7) مسند الإمام أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن مسعود، ح(3589)، (3/501).

دعوة لتنظيف الباطن، والتخلي عن الفحشاء والمنكر، والتخلي بمكارم الأخلاق، وفيها راحة الضمير، والتروي في كل الأمور، واستعادة النشاط، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: 153]، وابتداءً ﷺ الآية بوصف الإيمان وما يقنضيه الوصف تنشيطاً لهم وحثاً على مراعاة ما يعثبه من الأمر ومنها الصلاة؛ لأنها أم العبادات ومِعْرَاجُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنَاجَاةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (1).

ت- دوام ذكر الله: ومن التوجيه القرآني الإكثار من ذكر الله ﷻ، من تسييح وتهليل وتكبير وغيرها، فهو سبب من أسباب طمأنينة القلب وراحته قال تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: 28]، أي: يزول قلقها واضطرابها، وتحضرها أفراحها ولذاتها... فإنه لا شيء أذل للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة خالقها، والأنس به ومعرفته (2).

ث- الرضا بقضاء الله وقدره: إن مما يبعث الطمأنينة في النفس الإنسانية ويحفزها على العمل ومواصلة السير في طريق الإنجاز والتقدم وعدم اليأس أو القنوط هو إيمانها بالقضاء والقدر الذي أوجده الله ﷻ.

ج- الاندماج في الجماعة: تقوية الروابط والعلاقات الاجتماعية رابط قوي وداعم أساسي؛ لاستقرار القلوب واطمئنان النفوس، فقد عبر القرآن الكريم في أكثر من موضع قرآني عن اللحمة الجامعة بينهم وهي ولاية الإسلام، فهم فيها على السواء، وأنهم أولياء بعض (3)، قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: 71]، وفي موضع آخر: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس: 62].

ح- تقوى الله وحسن الخلق: إن تقوى الله ﷻ سفينة النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: 2-3]، وهذه الآية تحمل البشارة العظيمة للمؤمن؛ حتى يثبت فؤاده، ويستقيم قلبه، ويحرص على طاعة الله تعالى في كل أحواله (4)، ولما سُئِلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عَنِ النَّقْوَى، فَقَالَ: "هِيَ الْخَوْفُ مِنَ الْجَلِيلِ، وَالْعَمَلُ بِمَا فِي التَّنْزِيلِ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِيَوْمِ الرَّحِيلِ" (5).

(1) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (1/ 179).

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 417).

(3) انظر: التحرير والتوير، ابن عاشور، (10/ 262).

(4) انظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي، (14/ 449).

(5) كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، الشنقيطي، (1/ 402).

الخلاصة: هكذا تحدث القرآن الكريم عن مرحلة الشباب بأسلوب التحفيز ورفع الهمة من خلال التذكير بقصص الأنبياء عليهم السلام، والصالحين من عباده؛ وذلك لتوجيههم توجيهاً سديداً نحو المحافظة على إيمانهم في مواجهة الانحراف الفكري والنفسي، وإعدادهم ليكونوا أعضاء صالحين نافعين في المجتمع الإسلامي الذي يقوم على أكتافهم.

المرحلة الثالثة: رعاية الشيخوخة

اهتم المنهج القرآني برعاية الشيخوخة رعاية شديدة باعتبارهم أوتاد الأسرة المكونة للمجتمع ككل؛ وشملت الرعاية مختلف النواحي بشكل مكمل لمرحلتَي الطفولة والشباب، لكن يغلب على مرحلة الشيخوخة الضعف وشدة الحاجة للغير؛ لتعدد مشاكلها التي تزداد حدة مع التقدم في السن، وتدور حول أربعة أمور أساسية تواجه المسن وهي الصحة، والسكن، والموارد المالي، والعلاقات الشخصية، إذ يضعف دوره وتقل علاقاته الاجتماعية (1).

وهنا سيكون الحديث عن أبرز حقوق المسن التي تحتل مكانة هامة من حقوق الإنسان باعتبار أن صلاح المجتمع وفساده متوقف على مدى إقرار هذا الحق أو عدمه (2).

وتمثل منهج القرآن الكريم في رعاية المسنين في الآتي:

أولاً: بر الوالدين والإحسان إليهما: أوجب الإسلام الإحسان للوالدين إحساناً كاملاً في الرعاية والعناية والمعاملة إحساناً ليس بعده إحسان، إحسان يجتمع فيه كل أسباب المودة والعطف، من قرابة قريبة، إلى صلة وثيقة وجوار كريم، وعطف سايب (3)، حيث قال تعالى: ﴿قَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ [الإسراء: 23].

وعلى ذلك " فبر الوالدين من أهم المهمات، وأعظم القربات، وأجل الطاعات، وأوجب الواجبات، وعقوقهما من أكبر الكبائر، وأقبح الجرائم، وأبشع المهلكات" (4)، ويلحق بالوالدين الجد وإن علا، قال أبو حيان: " وسمي الجد وأبو الجد أبوين؛ لأنهما في عمود النسب وإن كان بينهما عدة" (5).

(1) انظر: علم نفس النمو من الجنين إلى الشيخوخة، عادل الأشول، (ص: 660).

(2) انظر: دور القرآن الكريم في تقرير حقوق المسن، صلاح الدين فرج، (13).

(3) انظر: التفسير الواضح، د. محمد حجازي، (2/ 367).

(4) بر الوالدين، القحطاني، (ص: 8).

(5) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، (6/ 240).

وبر الوالدين ومن يقوم مقامهما يأخذ صوراً أربعة، إحسان بالقول الفعل، وإحسان بالطاعة، وإحسان بالمال، إحسان بعد الممات (1)، وتتمثل في النقاط العملية التالية:

- 1- قال تعالى: ﴿ فَلَا تُقْل لَّهُمَا أُفٍ وَلَا تَنْهَرُهُمَا ﴾ والتأدب في خطابهما أعلى مرتبة من مراتب الرعاية والأدب، وهو ألا يصدر من الولد الضجر والضيق ما ينبىء بالإهانة وسوء الأدب، والآية فيها نهي عن مجرد التأفف، وهذا أدنى مراتب الأذى، والمعنى لا تؤذهما أدنى أذية (2).
 - 2- قال تعالى: ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ وهو أن يكون كلامه لهما بالإكرام والاحترام، وكل قول يدخل الشرور على الأبوين (3).
 - 3- قال تعالى: ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ [الإسراء: 24]، أي الرحمة والتلطف في المعاملة حتى كأنه لا يرفع عيناً، ولا يرفض لهما أمراً، ولا ينظر إليهما بشذر العين، وعبر عن تلك المعاني بالجنح الذي يكون به قوة الطائر، وإضافتها إلى الذل إليه؛ لتكون الرعاية ذلاً لهما، وتواضعاً من غير استكبار (4).
 - 4- قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: 24]، ذلك بالتوجه إل الله ﷻ أن يرحمهما، فرحمة الله أوسع، ورعاية الله أشمل (5)، وخص التربية بالذكر؛ ليتذكر الإنسان شفقة الوالدين وتعبهما في تربيته، فيزيده ذلك إشفاقاً وحناناً عليهما (6).
- ثانياً: العناية بالمسن جسمياً وصحياً:

من رحمة الله بعباده التلطف بحال المسنين في الكبر؛ نظراً لتغير كبير في أجسادهم بيولوجياً نتيجة الضمور الذي يصيب جميع أعضاء الجسم، كما أن المخزون العضوي يستهلك عملية الإصلاح، والاستبدال تبطئ مع التقدم في السن، فيتعرض المسن لبذل مجهود كبير لأي عمل سيقوم به (7)؛ لذلك السبب نجد أن القرآن الكريم لم يسقط العبادات كلياً عن المسن، وكذلك

(1) انظر: دراسات في القرآن وعلومه، د. زكريا الزميلي، عصام زهد، عبد الكريم الدهشان، (75).

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 456).

(3) انظر: في ظلال القرآن، سد قطب، (2221/4).

(4) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، (8/ 4363).

(5) انظر: في ظلال القرآن، سد قطب، (2222/4).

(6) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (244/4).

(7) انظر: علم نفس النمو من الجنين إلى الشيخوخة، عادل الأشول، (ص: 661).

لم يفرضها عليه كاملة بحيث يعجز عن أدائها، ولكنه راعى في ذلك التخفيف فقد قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: 184].

ومثال ذلك الرخصة لكبير السن بالإفطار في شهر رمضان عندما يعجز عن الصيام والإطعام عن كل يوم مسكيناً وهذا استناداً إلى قوله تعالى: ﴿ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ [البقرة: 184] ، أي: يطيقونه بجهدٍ شديد وذلك كالشيخ الهرم والحامل والمرضع فهم يستطيعونه لكن مع المشقة الزائدة⁽¹⁾.

ثالثاً: إسقاط فريضة الجهاد:

﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [التوبة: 91]

أي: "لا حرج على أصحاب الأعذار وهم الضعفاء، كالشيخوخ والمرضى والعميان وذوو العرج والفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون ولكن بشرط نصحهم لله ورسوله"⁽²⁾.

وقال العلماء: "لوجوب الجهاد ست فرائض لا يجب إلا بها، متى انخرم واحد منها سقط وجوبه وهي الإسلام، والحرية، والذكورية، والبلوغ، والعقل، والاستطاعة، بصحة البدن ما يحتاج إليه المال"⁽³⁾.

الخلاصة: إن المجتمع الإسلامي الذي عاش أربعة عشر قرناً من الزمان، هو مجتمع الماضي والحاضر والمستقبل؛ لأن سياج الشريعة سيظل حارساً له، مُقيماً لقواعده وحاضناً لأفراده.

(1) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، (1/ 109).

(2) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، (2/ 411).

(3) انظر: التاج والإكليل لمختصر خليل، محمد المواق، (4/ 538).

المبحث الثاني

أثر عناصر المجتمع الإسلامي الأول في بناء الحضارة

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول

مراحل تكوين المجتمع الإسلامي الأول

شق المجتمع الإسلامي طريقه لإقامة دولة الإسلام في الأرض عبر عهدين متتاليين، كل واحد منهما سار في خط مستقل ومكمل للآخر، حيث استمر هذا الطريق ثلاثة وعشرين عاماً؛ لإعداد أفراد المجتمع وتكوين عناصره المؤثرة في بناءه (1).

وقبل الخوض في بيان مراحل المجتمع الإسلامي في تلك الفترة يجدر بنا الحديث بصورة سريعة وموجزة عن واقع العالم قبل البعثة النبوية .

أولاً: واقع ما قبل البعثة النبوية

عاشت الإنسانية في شبه الجزيرة العربية قبل بزوغ فجر الإسلام أحط مراحل التاريخ البشري دينياً واجتماعياً وثقافياً وسياسياً.

1- التفرق الفكري والعقدي:

حيث هيمن المنهج الجاهلي على العقائد والأفكار والنفوس، وانتشر الظلم والفسوق، والانحلال، وضاع الناس عقدياً بين حالين هما بقايا آثار الديانات السماوية التي طالها التبديل والتحريف أو الكفر (2)، وأصبحت الديانات السابقة مجموعة من الطقوس البائسة وتقاليد لا روح فيها، تأثرت بعقائد الوثنية، وامتحنت بتحريف الغالين وتأويل الجاهلين، ووثنية الرومان المتصرين (3).

وأما من اعتنقوا الكفر مذهباً، فعلى الرغم من اعتقادهم بأن الله هو الخالق والمدبر للكون إلا أنهم عبدوا الأصنام؛ لتقربهم إلى الله زلفى، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ

(1) انظر: المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير الغضبان، (1/ 9).

(2) انظر: السيرة النبوية عرض حقائق وتحليل أحداث، علي الصلابي، (ص: 20).

(3) انظر: السيرة النبوية، أبو الحسن الندوي، (ص: 24).

لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿ [الزخرف:87]، أي: لأقروا بأن الله خلقهم بعد أن لم يكونوا شيئاً، فكيف ينقلبون عن عبادته وينصرفون عنها حتى أشركوا به غيره رجاء شفاعتهم له⁽¹⁾.

كذلك وُجد المجوس الذين عبدوا عناصر الطبيعة وأعظمها النار، وبنوا لها المعابد والهيكل، وقدسوا الشمس، وسنّوا القوانين والتشريعات، لكن لم تقدم لهم شيئاً حيث كانت أرواحهم فارغة لا دين فيها ولا رغبة في الخير والصلاح⁽²⁾، هكذا كان الانقسام الديني في جزيرة العرب.

2- الانقسام السياسي:

فقد انقسم العالم في ذلك الزمان إلى أمم كبرى هي الفرس، والروم، والعرب، والهنود، وكان لكل أمة وضعها ونظامها السياسي والديني⁽³⁾.

ذلك الانقسام شغل واقع العرب وجعله في حالة من الاحتراب المجتمعي المتبادل، حتى ظهرت الرسالة النبوية الشريفة؛ لتصبح نقطة الشروع في بناء المجتمع الناجح، الذي قاد بدوره إلى تأسيس وتطوير دولة إسلامية كبرى؛ لذلك اتبع النبي ﷺ منهجاً خاصاً؛ لتغيير المسار وتعديل الأهداف، وقد سمى العلماء هذا المنهج بالمنهج الحركي وهو: " الخطوات المنهجية التي تحرك بها النبي ﷺ منذ بعثته حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى " ⁽⁴⁾، مثلت العهدين الأولين في تاريخ المجتمع الإسلامي، حيث مر المجتمع الإسلامي بعهدين متتالين تخللتهما مراحل فرعية، أثرتا بشكل كبير في إبراز ملامح العناصر المكونة للمجتمع الإسلامي وهما العهد المكي والعهد المدني.

ثانياً: العهد المكي

ويبدأ ببعثة النبي ﷺ على رأس الأربعين من عمره، وينتهي بالهجرة النبوية من مكة إلى المدينة ومدته ثلاثة عشر عاماً، حيث مر بثلاث مراحل ساهمت في تكوين المجتمع الجديد وهي كالتالي:

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (16 / 123).

(2) انظر: السيرة النبوية، أبو الحسن الندوي، (ص:26).

(3) انظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، أحمد غلوش، (ص: 27).

(4) المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير الغضبان، (1 / 15).

1. مرحلة ترسيخ الثقافة العقائدية (سرية الدعوة)

بدأت هذه المرحلة منذ اللقاء الأول لوحي السماء بالنبي محمد ﷺ في غار حراء، واستمرت ثلاثة أعوام، كانت الأوائل للبعثة النبوية، غلب عليها الناحية السرية في التنظيم، والعلنية في الفكرة؛ لأن العقيدة هي الأساس في بناء الشخصيات التي أقبلت على الإسلام، ومثلت التكتل الحزبي الداعم له، والتي أثرت في تكوين عناصر المجتمع، وإعداد رجال الدولة المنتظرين، فكان اللقاء السري في دار الأرقم بن أبي الأرقم (1).

2. مرحلة الصراع العقدي (جهرية الدعوة)

بدأت هذه المرحلة بنزول قوله تعالى: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: 94]، " والصدع: الجهر والإعلان، وأصله الانشقاق، ومنه انصداع الإناء، أي انشقاؤه" (2).

فمن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: " ما زال النبي ﷺ مستخفياً، حتى نزلت: ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ فخرج هو وأصحابه" (3)، فتحول بهذا الخروج أسلوب العمل تحولاً جذرياً، فانتقل العمل من أسلوب الثقافة المركزة إلى أسلوب الصراع الفكري بالكتلة والفكرة، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ [الطور: 35]، سؤال استنكاري هدفه التوبيخ وإقامة الحجة على المشركين، بمعنى أخلقوا من غير شيء خلقهم أم هم لأنفسهم خالقون، فإن أنكروا الخالق فهذا باطل، وإن أثبتوا لأنفسهم ذلك فهو في البطلان أشد؛ لأن ما لا وجود له كيف يخلق؟، فإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم (4).

واشتد الصراع وصاحبه كفاح سياسي ضد رؤوس الكفر الذين كانوا يشرفون على المجتمع الجاهلي، فهاجمهم القرآن بذكر ذم بعضهم بالتصريح أو الإشارة إليهم، بالتصريح في حق أبو لهب (5)، قال تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد: 1]، هو دعاء عليه من الله

(1) انظر: الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها، د. رؤوف شلبي، (ص: 279-277).

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (14 / 88).

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (4 / 551).

(4) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (7 / 392).

(5) وسبب نزول سورة المسد: " عن ابن عباس قال سعد رسول الله ﷺ ذات يوم على الصفا فنادى يا صباحاه فاجتمعت إليه قريش قال أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني قالوا بلى قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك ألهذا جمعنا فأَنْزَلُ الله تبت يدا أبي لهب وتب إلى آخرها" انظر: لباب النقول، السيوطي، (ص: 219).

بالخسران المبين بسبب أذيته للنبي ﷺ (1).

وبالإشارة إلى الوليد بن المغيرة (2): ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَفُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ [المدثر: 18-19]، أي: عُذِب، وقيل لُعن، وجاءت الآية على أسلوب التعجب والإنكار والتوبيخ، ومعناه لُعن على أي حال قدر من الكلام (3).

وفي نهاية المرحلة تم تكريس المفصلة الفكرية بين فكرين ونظامين، قال تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: 6]، والمعنى: "أني نبي مبعوث إليكم لأدعوكم إلى الحق والنجاة، فإذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني، فدعوني كفافاً ولا تدعوني إلى الشرك" (4).

ومن أبرز سمات هذه المرحلة أن النبي ﷺ لم يستخدم السلاح في العهد المكي قط، ولم يلجأ مطلقاً إلى استخدام القوة المادية مع مسيس الحاجة لاستخدامها في تلك الظروف.

3. مرحلة التمهيد لإقامة الدولة

عندما وصلت مكة إلى طريق مسدود مع النبي ﷺ، وقد أصر قاداتها على مواقفهم، وكذلك المسلمون، إلا أن الحال مختلف بين الطرفين فأهل مكة في حالة استقرار، أما المسلمون فهم موزعون بين الحبشة مشردين، وبين مكة مضطهدين، فكان لابد من تغيير الواقع القائم، والبحث عن مكان جديد تنطلق منه الدعوة، وتتركز على بناء القاعدة الشعبية، وإيجاد الرأي الداعم لفكرته، ومن خلال الاتصال بالأوساط المؤثرة في المجتمع المحيط، فتوجه النبي ﷺ إلى القبائل المجاورة طالباً الحماية والنصرة والتمكين، والقوة والتأمين للفكرة، فكان البيان السياسي الأول

(1) انظر: جامع البيان، الطبري، (24/ 675).

(2) قال مجاهد: إن (الوليد بن المغيرة) كان يغشى النبي ﷺ وأبا بكر حتى حسبت قريش أنه يسلم، فقال له أبو جهل: إن قريشاً تزعم أنك إنما تأتي محمداً وابن أبي قحافة تصيب من طعامهما، فقال الوليد لقريش: إنكم ذوو أحساب، وذووا أحلام، وإنكم تزعمون أن محمداً مجنون، وهل رأيتموه يجن قط؟ قالوا: اللهم لا، قال: تزعمون أنه كاهن، وهل رأيتموه يتكهن قط؟ قالوا: اللهم لا قال: تزعمون أنه شاعر، هل رأيتموه ينطق بشعر قط؟ قالوا: لا، قال: فترعمون أنه كذاب، فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب؟ قالوا: لا، قالت قريش للوليد: فما هو؟ فتفكر في نفسه ثم نظر وعبس، فقال: ما هو إلا ساحر، وما يقوله سحر، فذلك قوله: إنه فكر وقدر إلى قوله تعالى: إن هذا إلا سحر يؤثر، انظر: أسباب النزول، الواحدي، (ص: 468).

(3) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (4/ 364).

(4) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (4/ 809).

لرسول الله ﷺ متمثلاً في بنود بيعة العقبة الثانية (1)، ثم بدأ النبي ﷺ يعد ترتيبات الهجرة إلى المدينة المنورة؛ لأنها المكان الوحيد وقتها الذي يصلح لاحتضان الدولة الإسلامية فيما بعد (2).

ثالثاً: العهد المدني

ويبدأ بالهجرة النبوية وينتهي بوفاة النبي ﷺ ، ومدته عشرة أعوام وينسب إلى المدينة النبوية، والمراحل التي مر بها لبناء المجتمع الجديد هي:

1. مرحلة التأسيس (بناء المجتمع الجديد)

امتدت هذه المرحلة من الهجرة النبوية إلى صلح الحديبية (3) في السنة السادسة للهجرة، حيث نجح الإسلام في تأسيس وطن له وسط صحراء تموج بالكفر والجهالة، حيث ركز النبي ﷺ على البناء والتعمير، يقول ابن اسحاق: " نزل النبي ﷺ على المدينة، فنزل بوادي قباء (4)، فحفر فيها بئراً، فهي اليوم تدعى بئر الملك" (5) ثم بنى فيها أول مسجد للإسلام، ولما وصل المدينة بنى المسجد النبوي في المكان الذي بركت فيه ناقته ﷺ ، وأخى بين المهاجرين والأنصار حتى امتزجت عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة وإسداء الخير في هذه الأخوة، وملأت المجتمع الجديد بأروع الأمثال، ثم نظم علاقته بجيرانه الجدد وعقد مع اليهود تحالفاً سياسياً(6).

(1) قال ابن إسحاق: حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، عن أبيه الوليد، عن جده عبادة بن الصامت، وكان أحد النقباء، قال: بايعنا رسول الله ﷺ ببيعة الحرب- وكان عبادة من الاثني عشر الذين بايعوه في العقبة الأولى على بيعة النساء، وعلى السمع والطاعة، في عسرا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم، انظر، سيرة ابن هشام، ابن هشام، (454/1).

(2) انظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، أحمد غلوش، (ص: 565-560).

(3) **الحُدَيْبِيَّةُ**: بضم الحاء، وهي قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ ، تحتها صحابته الكرام، وهي بين مكة والمدينة، لكنها إلى مكة أقرب، انظر: معجم البلدان (2/ 229).

(4) **قُبَاء** (بالضم) أصله اسم بئر عرفت القرية بها، وهي مساكن بنى عمرو بن عوف من الأنصار، وتقع قرية قباء على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة، انظر: معجم البلدان، شهاب الدين الحموي، (4/ 302).

(5) سيرة ابن إسحاق، ابن إسحاق، (ص: 52).

(6) انظر: الرحيق المختوم، المباركفوري، (ص: 140).

2. مرحلة التثبيت (تثبيت دعائم الدولة)

بعد انعقاد صلح الحديبية كانت بداية طور جديد في حياة الدولة الإسلامية الناشئة، حيث أعطت المسلمين فرصة كبيرة؛ لنشر الدعوة الإسلامية وإبلاغها، وبرز نشاطهم دعويًا بمكاتبة الملوك والأمراء مثل النجاشي ملك الحبشة والمقوقس ملك مصر وكسرى ملك فارس، أما نشاط المسلمين عسكرياً تمثل في عدد من السرايا والغزوات، وانتهت هذه المرحلة بفتح مكة، يقول ابن القيم: " هو الفتح الأعظم الذي أعز الله ﷺ به دينه ورسوله وجنده وحزبه الأمين، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين، من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء، وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء، ودخل الناس به في دين الله أفواجا، وأشرف به وجه الأرض ضياءً وابتهاجا" (1)، هكذا انطوت هذه المرحلة التي كلفت المسلمين جهاداً طويلاً وعناءً ومتاعب؛ لتفتح أفق مرحلة جديدة من العز والمجد (2).

3. مرحلة الانتشار (انتشار الدعوة في الأرض)

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : 27]، فإنفاذ الوعد الإلهي بفتح مكة (3)، انقضت سنوات عجاف من الاضطهاد والظلم وعاد الحق لمجراه، ومن أبرز ملامح هذه المرحلة تسابق الشعوب والقبائل إلى اعتناق الإسلام، وامتداد الفتوحات الإسلامية إلى جميع أصقاع الجزيرة العربية، وتم للنبي ﷺ بسط سيطرته ونفوذه على أنحاء جزيرة العرب وأرجائها، وصارت المدينة عاصمة لجزيرة العرب، وانتهت هذه المرحلة بوفاة النبي ﷺ بعد مسيرة جهاد وعناء لبناء الدولة الإسلامية على أصول وقواعد متينة سار عليها صحابته الكرام فنشروا الإسلام إلى جميع أرجاء المعمورة (4).

(1) زاد المعاد، ابن القيم، (2/ 160).

(2) انظر: الرحيق المختوم، المباركفوري، (ص: 319 - 367).

(3) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (28/ 86).

(4) انظر: الرحيق المختوم، المباركفوري، (ص: 379).

الخلاصة:

- 1- إن طريقة الرسول ﷺ في العهد المكي هي الطريقة الشرعية الوحيدة؛ لإقامة الدولة ابتداءً وتحويل دار الكفر إلى دار إسلام، كما أن الجهاد هو الطريقة الوحيدة؛ لنشر الدعوة وتحويل دار الكفر إلى دار إسلام، وهاتان الطريقتان المتبعتان أثرتا في تكوين عناصر المجتمع الإسلامي.
- 2- قيام الدولة الإسلامية بالمراحل السابقة الذكر سهل مسألة تحديد العناصر المكونة للمجتمع، والمؤثرة.

المطلب الثاني

عناصر المجتمع وأثرها في بناء الحضارة الإسلامية

الدولة الإسلامية: " هي مجموعة الإيالات تجتمع؛ لتحقيق السيادة على أقاليم معينة، لها حدودها، ومستوطنوها، فيكون الحاكم أو الخليفة، أو أمير المؤمنين، على رأس هذه السلطات" (1) ، ومن ذلك يستنبط أن المجتمع الإسلامي تكون من عدد من العناصر، تحكمت في وجوده واستمراريته، وحددت خصائصه العامة التي ساهمت في بناء حضارة عريقة، وهي كالتالي:

أولاً: العنصر البشري

يعد العنصر البشري أهم العناصر المكونة للمجتمع الإسلامي الأول؛ لأن الإنسان محور التنمية الأساس في أي مجتمع، ويتمثل العنصر البشري بمجموعة الأفراد الذين يشكلون الطاقة البشرية في المجتمع، وقد تكون المجتمع الإسلامي بشرياً من عدة أطياف وأجناس وأعراق، اختلفت في طباعها الشخصية، ومدى تقبلها للدعوة الإسلامية، قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر: 32]، فقد انقسمت الأمة الإسلامية أمام هذا الكنز الثمين إلى ثلاثة أقسام⁽²⁾، كما حددت فاتحة سورة البقرة الملامح الأساسية لبعض الطوائف التي واجهها المجتمع الإسلامي الأول⁽³⁾، فتعددت الشخصيات باختلاف الصفات.

وعلى ذلك يمكن تقسيم العنصر البشري المكون للمجتمع الإسلامي الأول إلى قسمين هما:

القسم الأول: المشارك في بناء الحضارة الإسلامية.

1- القيادة الربانية.

2- الرعية الطائفة.

القسم الثاني: المشارك في تهديم الحضارة الإسلامية.

1- ضعاف الإيمان.

(1) الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، (21 / 36)، الإيالات: جمع إيالة وهي السياسة، فيقال إيالة القضاء وإيالة الحسبة.

(2) انظر: : صفوة التفسير، الصابوني، (2 / 529).

(3) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (1 / 37).

2- أعداء الإسلام.

3- المنافقون.

4- الدول المجاورة.

القسم الأول: المشارك في بناء الحضارة الإسلامية

ويمثل هذا القسم القاعدة الجماهيرية الصلبة الذي ارتفع به المجتمع الإسلامي، حيث امتاز بالصلابة والقوة؛ وتمكن النبي ﷺ من خلاله نشر دعوته، وإقامة دولته، وتمثلت في الرعيل الأول من السبّاقين إلى الإسلام، وهذه القاعدة لا تعد بالأرقام بل بالنوعية الجيدة (1)، كما يقول القرآن الكريم: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 249]، فهذا يعني أن الغلبة ترتبط بقدر المدى الإيماني عند المسلم، فالعزيم من أعزه الله، والذليل من أدله الله، فلا تغني الكثرة مع خذلان الحق، ولا تضر القلة مع نصره، فصبر العبد على الحق أعظم جالب لمعونة الله ونصره وتوفيجه (2)، وتنقسم القاعدة الجماهيرية الصلبة للمجتمع الإسلامي الأول إلى قسمين هما:

1- القيادة الربانية

إن قادة الأمة عصب الحياة، وهم بمنزلة الرأس من الجسد، فهذا نبي الله موسى عليه السلام طلب من الله ﷻ وزيراً من أهله يعاونه في نشر رسالته (3)، قال تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزيراً مِّنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه: 29 - 32]، أي: اجعله معيناً لي، وأشد به ظهري، ويكون سنداً وقوة لي (4)، كذلك نبي الله عيسى عليه السلام اختار أنصاره الحواريين (5) الذين نصره وأيدوا دعوته وكانوا أعوانه، والمخلصين في محبته (6)

(1) انظر: المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير الغضبان، (2/ 372).

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 108).

(3) انظر: فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، علي الصلابي، (238).

(4) انظر: بحر العلوم، السمر قندي، (2/ 394).

(5) الحواريون: أصله من الحور، وهو شدة البياض، والحور نقاء بياض العين، وقيل في تسميتهم بهذا الاسم؛ لبياض ثيابهم، وقيل كانوا قصارين، يبيضون الثياب، وقيل لأن قلوبهم كانت نقية طاهرة من كل نفاق وريبة فسموا بذلك مدحاً لهم، انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (8/ 231).

(6) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 132).

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ
فَخَنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 52].

وشأن النبي محمد ﷺ كمن سبقه من الأنبياء، إذ كان بمكة مستضعفاً؛ فجعل الله ﷻ له
صفاً من الأوائل السباقين في الإسلام، الذين كان منهم القيادة الحكيمة الرشيدة التي تأسست
بالقدوة الأولى قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: 21]، والأسوة القدوة، وهو ما يتأسى و يتعزى به، فيقتدى
به في جميع أفعاله و جميع أحواله (1) .

ثم تولت هذه الزمرة المباركة زمام الحكم بعد النبي ﷺ، وقد أوصى النبي ﷺ باتباع
نهجهم، وذلك لخيرتهم على من بعدهم، فعن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ " (2) .

2- الرعية الطائفة

أمر القرآن الكريم بوجوب السمع والطاعة لله ورسوله قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال: 20] ، أي: اتبعوا الله ما أمركم به
وفيما نهاكم عنه، ولا تُدبروا عن رسول الله ﷺ مخالفين أمره ونهيه(3).

ومن سنة الله تعالى في الرسل أن يبلغوا ما بُعثوا به، وعلى أقوامهم أن يطيعوا وينفذوا،
ولو لم تكن الطاعة مطلوبة، لما كان التزام ودين وخضوع، ومن خلالها يتميز المؤمن من
الكافر؛ لذلك حذر الله الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (4)، قال
تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [النساء: 64]، وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ
ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ: «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ،
فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ» (5).

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (14/ 155).

(2) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب فضائل أصحاب النبي، ح(3650)، (5/ 2).

(3) انظر: جامع البيان، الطبري، (13/ 457).

(4) انظر: أحكام القرآن، الجصاص، (3/ 180).

(5) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، بابُ وُجُوبِ طَاعَةِ الْأَمْرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَتَحْرِيمِهَا فِي الْمَعْصِيَةِ،

ح (1839)، (3/ 1469).

وما من شك في أن الصحابة رضي الله عنهم ، قد ضربوا أروع الأمثلة في الطاعة للرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد قال تعالى في حقهم: ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: 285]، فكان لسان حالهم يقول: فهمنا ما جاءنا من الحق وتيقنا بصحته، وأطعنا أمرَك ربنا، ونسألك غُفران ذنوبنا، حيث تم تقديم ذكرِ السمع والطاعة على طلب الغفران لما أن تقديم الوسيلة على المسئول أدعى إلى الإجابة والقبول⁽¹⁾.

وإذا تتبعنا سيرة السلف الصالح نلمس معنى السمع والطاعة لله ورسوله في المنشط والمكروه، تنفيذاً لأمر الله تعالى في الآيات الكثيرة الواردة بهذا الصدد أولاً، وتلبية للحب الذي استقر في نفوسهم له صلى الله عليه وسلم ثانياً، وإن المحب لمن يحب مطيع.

وبذلك يظهر أهمية القاعدة الجماهيرية الصلبة في تمكين أركان المجتمع وتثبيتته، ويتضح ذلك من خلال المواصفات الفذة التي وصف القرآن الكريم بها الرعيّل الأول قيادة ورعية ومنها:

1- أوصاف المتقين لله صلى الله عليه وسلم في فاتحة سورة البقرة

قال تعالى: ﴿ الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: 1-5]

ومن براءة الاستهلال تصدير سورة البقرة بحروف هجائية ثلاثة مقطعة تحمل معنى التحدي والإعجاز، إيقاظاً وتنبهاً ودلالة على أهمية ما بعدها⁽²⁾ ، وجذب أنظار المعرضين عن القرآن إذ يطرق أسماعهم لأول وهلة ألفاظ غير مألوفة في تخاطبهم، فينتبهوا إلى ما يُلقى إليهم من آياتِ بينات⁽³⁾، حيث تقرر السورة مقومات الإيمان، وهي صفات الطبقة الأولى من المؤمنين الصادقين المخلصين، الذين أنشأوا المجتمع الإسلامي، وأقاموا على أكتافهم حضارة إسلامية عريقة.

فقد وصفهم الله صلى الله عليه وسلم بالتقوى، والتقوى كما يصفها سيد قطب: "حساسية في الضمير وشفافية في الشعور، وخشية مستمرة، وحذر دائم وتوق لأشواك الطريق"⁽⁴⁾، وقوله تعالى:

(1) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (1/ 276).

(2) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (1/ 33).

(3) انظر: صفوة التقاسير، الصابوني، (1/ 25).

(4) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (1/ 39).

(هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) أي: هادٍ لهم ودالٍ على الدين القويم المفضي إلى سعادة الدارين، فتخصيص الهدى بالمتقين للتبويه بمدحهم حتى يتبين أنهم هم الذين اهتدوا وانتفعوا به (1).

ثم يأخذ السياق القرآني في بيان سمات المتقين وهي صفة السباقين من المؤمنين، وهي الإيمان بالغيب، وإقامة الصلاة، والإنفاق في سبيل الله، والإيمان بالكتب السماوية، واليقين بالآخرة، "و تكرار الاسم الموصول في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ) لا يدل على المغايرة فيمن نزلت فيهم الآيات، إنما يدل على المغايرة في الصفات، وإن كان الموصوف واحداً (2)، ثم يختم الله ﷻ الوصف بأصحاب هدى وفلاح، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، إشارة إلى أصحاب الصفات الخمس السابقة بأن من الله عليهم هداية أضفاها عليهم، وعناية أحاطهم بها؛ لاستقامتهم على منهج الله المفضي بهم إلى الفلاح، فهم الفائزون بالجنة، الناجون من النار (3).

2- أوصاف أهل الإيمان في فاتحة سورة المؤمنون

قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِإِمَائِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾ [المؤمنون 1-10].

عرضت سورة المؤمنون أهم وأشهر صفات أهل الإيمان في الفترة المكية والمدنية، ودعت المؤمنين إلى أن يتصفوا بها حتى يعيشوا حياة إيمانية سعيدة، ولكي يترتب على هذه الصفات عموم المسلمين، هذه الصفات التي فاز وظفر، ونال البقاء الدائم في الخير كل من اتصف بها ، واستحق الوصف الثابت بالإيمان (4).

قال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ)، قد حرف توكيد أفاد تثبت المتوقع، والمعنى: لا شك أن المؤمنين كانوا متوقعين لهذه البشارة، وهي الإخبار بثبات الفلاح لهم، فخطبوا بما دل على

(1) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، (1/ 243).

(2) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (1/ 109).

(3) انظر: أوضح التفاسير، محمد الخطيب، (1/ 4)، أيسر التفاسير، الجزائري، (1/ 21).

(4) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (13/ 105).

ثبات ما توقعوه، والفلاح: الظفر والبقاء في الخير⁽¹⁾، ويقول الرازي: "واعلم أنه سبحانه حكم بحصول الفلاح لمن كان مستجمعاً لصفات سبع قبل الخوض في شرح تلك الصفات"⁽²⁾، وهذه الصفات هي (الخشوع في الصلاة، والإعراض عن اللغو، وأداء الزكاة، وحفظ الفروج، ورعاية العهد والأمانات، والمحافظة على الصلوات)، ثم خُتم وصفهم بالوارثون: قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾، أي: الجامعون لهذه الأوصاف، هم الأحقاء بأن يسموا ورثاً دون من عداهم، وفي الآية الكريمة استعارة؛ لاستحقاقهم الفردوس بأعمالهم حسبما يقتضيه الوعد الكريم للمبالغة فيه⁽³⁾.

3- أوصاف المحبوبين من الله

الحب صفة فعلية ثابتة لله ﷻ في كتابه الكريم والسنة المشرفة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له"⁽⁴⁾، قاله ﷻ يحب ويبغض على وجه يليق بجلاله وعظيم سلطانه، فهو يحب من الناس أنبياءه وأوليائه وكل من اتبع الحق، ويبغض ما عدا ذلك⁽⁵⁾.

ومن الجدير بالذكر أن بلوغ محبة الله للعبد تحتاج إلى بذل الوسع والجهد من العبد، والتضحية بالمرغوب والمحبوب والعزيز، والصبر، ومكابدة الصعاب، ومصارعة الشهوات، ونجح ثمانية أصناف من الناس في هذه التحديات، فنالوا محبة الله ورضاه، وهم التوابون والمتطهرون، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الشَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222]، والصابرون: قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 146]، والمتوكلون: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159]، والمحسنون: قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: 93]، والمتقون: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: 4]، والمقسطون: قال تعالى: ﴿ وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: 9]، والمجاهدون: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ﴾ [الصف: 4].

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (3/ 174).

(2) مفاتيح الغيب، الرازي، (23/ 258).

(3) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (6/ 125).

(4) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (2/ 354).

(5) انظر: آثار حجج التوحيد في مؤاخذة العبيد، مدحت المصري، (ص: 136).

ومما سبق تبين أن تفاعل الرعييل الأول من الصحابة الكرام مع تعاليم القرآن الكريم وإرشادات النبي ﷺ ، أدخل الأمة الإسلامية التاريخ من أوسع أبوابه وساهم في تكوين حضارة متميزة في كافة المستويات، فقد تطلّعوا بشكل دائم؛ لاقتفاء أثر النبي ﷺ والسير على طريقه، و تحملوا الأذى البدني والمالي وفقد الأحبة والتهجير على يد أكابر المجرمين، وما ذكر آنفاً من صفاتهم فهي على سبيل المثال لا الحصر، فمناقبة القرن الأول أكثر من أن تحصر في دراسة واحدة.

القسم الثاني: المشارك في تهديم الحضارة الإسلامية

1- ضعاف الإيمان

الإيمان الصادق والكامل هو الضابط والمحرك للإنسان المسلم نحو العمل الصالح وتطبيق شرع الله تعالى، ولقد قرن الإيمان بالعمل الصالح في كتاب الله ﷻ في أكثر من موضع؛ للإشارة إلى أهمية هذه المسألة باعتبارها قاعدة تنهض عليها السعادة الإنسانية، فالإيمان يستكن في القلب، والعمل ينميه ويزيه (1)، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 82].

وفي مقابل ذلك أقسم الشيطان بعزة الله ﷻ قيامه بالإغواء والكيد لعباد الله دون تخلف، وقسم إبليس به ناشيء عن علمه بأن وجد في نفسه أن الله أقدره على القيام بالإغواء والوسوسة و تزوين الشهوات (2)، قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: 82، 83].

ولقد نهى الله ﷻ المؤمنين عن اتباع الشيطان، قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ [النور: 21]، أي: "آثاره ووساوسه بالإصغاء إلى الإفك والقول فيه" (3)، لكن يقع في أسر الشيطان وسلطانه غالب أهل الإسلام وإن كان ذلك بدرجات متفاوتة، ولا يقف أمامه إلا خالص الإيمان.

(1) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (1/ 288).

(2) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (23/ 306).

(3) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (2/ 495).

فالإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: 76]، أي يزيدهم بالتوحيد إيماناً، وبصيرة في دينهم، ورسوخاً بالعلم و يقيناً به⁽²⁾، أما نقص الإيمان فإنه لم يرد صراحة في القرآن الكريم إلا أنه معروف من مفهوم المخالفة لمعاني الآيات السابقة.

ومن نتائج كيد الشيطان لبني الإسلام ضعف الإيمان وقلة التدين، وعدم الثبات على الحق، وبهذا الوصف خرجت طائفة مهتزة بالإيمان والتي جمعت ضعاف الإيمان جهلاً وتكاسلاً وغفلة، ويمكن استنباط أبرز نتائج ضعف الإيمان لهذه الطائفة من المجتمع الإسلامي الأول من خلال الآيات التالية:

أ- **دنو الهمة:** توعد الله سبحانه وتعالى مَنْ كان مقصور الهمة على الدنيا، لا يطلب غيرها، ولا يريد سواها؛ لأن صاحب الهمة الدنيئة لا يحرص على تقوية إيمانه، واستقامة قلبه⁽³⁾، فهمة المؤمن يجب أن تكون متعلقة بالآخرة، فكل ما في الدنيا يحركه إلى ذكر الآخرة⁽⁴⁾، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود: 15]، والمعنى: من أراد بعمله ثواب الدنيا عجل له الثواب ولم ينقص شيئاً في الدنيا، وله في الآخرة العذاب لأنه جرد قصده إلى الدنيا⁽⁵⁾.

ب- **قسوة القلب:** لقد نهى سبحانه وتعالى عن مشابهة أهل الكتاب في قسوة قلوبهم، فهي من آثار المعاصي، ولا يثبت القلب ويلين إلا باستقرار معنى الإيمان الخالص لله ورسوله⁽⁶⁾، كما حث على الاجتهاد في خشوع القلب لله تعالى، فالقلوب تحتاج في كل وقت إلى أن تُذكر بما أنزل الله، ولا ينبغي الغفلة عن ذلك، فإن ذلك سبب لقسوة القلب وجمود العين⁽⁷⁾، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: 16]، وهذه الآية نزلت في أصحاب رسول الله ﷺ لما قدموا المدينة فأصابوا من العيش ما أصابوا بعدما

(1) انظر: شرح الطحاوية، الطحاوي، (2/ 479).

(2) انظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، (3/ 145).

(3) انظر: فتح القدير، الشوكاني، (2/ 553).

(4) انظر: صيد الخاطر، ابن الجوزي، (ص: 411).

(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (9/ 13).

(6) انظر: الأساس في التفسير، سعيد حوى، (10/ 5755).

(7) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 840).

كان بهم من الجهد فكأنهم فتروا عن بعض ما كانوا عليه⁽¹⁾، فذكرهم الله بما يثبت قلوبهم على الحق .

ت- تسويل الشيطان وتسلبه عليهم: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجُمُعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 155] ، أي: استزلهم إذ تحري زلتهم، والزلة هي استرسال الرجل من غير قصد⁽²⁾، وذلك إذا ترخص الإنسان الخطيئة الصغيرة، فإنه جعل نفسه مُسهلة لسبيل الشيطان، فيغزو مواضع الفضيلة، وتضعف نفسه وتذل، ويتحكم الشيطان فيها، ويسد عنها منافذ الهداية والنور⁽³⁾، وهذه الآية جاءت في سياق الحديث عن رُماة غزوة أحد عندما خالفوا أمر النبي، فمُنَعُوا التأييد والنصر الإلهي الذي كان وعدهم به ربهم⁽⁴⁾.

وخلاصة القول إن ضعف الإيمان يُنتج أفراداً مهترين؛ لذلك ربط الله ﷻ الثبات بنصرة دين الله والإيمان بنصره، فالثبات عاملٌ ضروري لإقامة المجتمعات ونهوض الحضارات، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: 7]، أي: "يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبر أجسامهم على ذلك، ويعينهم على أعدائهم"⁽⁵⁾، فالثبات من أسباب قوة المسلمين عبر الزمان، ودافعيتهم للإيمان بالله والتوكل عليه؛ لذلك حقق الله ﷻ لهم ما لم يتحقق لغيرهم من الأمم.

2- أعداء الإسلام

أ- **مشركو العرب:** وصل رسول الله ﷺ في دعوته إلى أطراف المجتمع جميعها، ولم يترك قبيلةً من القبائل إلا دعاها، لكن بقي صنف من أهل الجزيرة على كفرهم وأبوا الإسلام مطلقاً، ولما جهر المصطفى ﷺ بدعوته انفجرت مكة بمشاعر الغضب، وظلت عشرة أعوام تعتبر المسلمين عصاةً متمردين على دين الآباء والأجداد، حيث لم يألوا جهداً في إيذاء المسلمين واضطهادهم؛ للقضاء على الدعوة الإسلامية في مهدها بمكة، و منع قيام الدولة الناشئة في المدينة المنورة.

(1) انظر: لباب النقول، السيوطي، (ص: 188).

(2) انظر: مفردات القرآن، الأصفهاني، (214).

(3) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، (3/ 1466).

(4) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (4/ 125).

(5) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 785).

وتحدثت فاتحة سورة البقرة عن صفات هذا الصنف من الناس، خاصة وأنها رافقت تكوين المجتمع الإسلامي من بدايته، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: 6، 7].

يقول البيضاوي: " لما ذكر الله ﷻ خاصة عباده، وخالصة أوليائه بصفاتهم التي أهلتهم للهدى والفلاح، عقبهم بأضدادهم العتاة المردة، الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا تغني عنهم الآيات والنذر " (1).

ولقد وصف القرآن هذا الصنف البشري بأفعاله المشينة ضد أفراد المجتمع الإسلامي، وذلك ببيان أشكال المعاداة وأساليب مواجهة الدعوة الإسلامية، من التعذيب والتهجير وإثارة الشكوك والحرب الإعلامية الهدامة التي أعلنوها على الإسلام والمسلمين، فهم لم يحافظوا على أي علاقة أو قرابة أو عهد لهم مع المسلمين (2)، قال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: 8] .

ورغم المحاولات العديدة لإفشال قيام دولة الإسلام، إلا أنها لم تقلح في الصد عن سبيل الله، وتشويه معالم الدعوة، بل زادت المسلمين ثباتاً على المبادئ، وبقيناً بدعوة نبيهم وزادتهم صلابةً واستعلاءً.

ب- أهل الكتاب:

نموذج فاشل لأمة استخلفها الله على هذه الأرض لمدة طويلة ، فهم أناس حُمِلوا المسؤولية وفسلوا فيها، فذكرهم الله ﷻ بنعمه عليهم، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: 40]، وكان بداية مسؤولية واستخلاف كل أمة تكون بتذكر نعم الله تعالى، والمعني احفظوا منتي التي مننت عليكم في سنوات التيه من المن والسلوى وغيرها، واذكروا تلك النعم التي أنعمت عليكم واشكروا لي وأوفوا بعهدي (3).

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (1/ 41).

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (8/ 79).

(3) انظر: بحر العلوم، السمرقندي، (1/ 47).

ونهى الله ﷻ جميع المؤمنين عن اتباع ملة أهل الكتاب واتخاذهم أولياء في النصره والخطة المؤدية إلى الامتزاج والمعاضدة والولاء⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: 51]، حيث كان اليهود في المدينة ثلاث قبائل بنو قينقاع حلفاء الخزرج، وبنو النضير، وبنو قريظة حلفاء الأوس⁽²⁾، وقد جاء الوصف القرآني لهذه الفئة من الناس على ضربين هما:

الضرب الأول: التبديل والتحريف لدينهم، وتغيير الأحكام والعقائد، قال تعالى في حق اليهود: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ [النساء: 46]، أي: "يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها بإزالته عنها وإثبات غيره فيها، أو يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه عما أنزل الله فيه.... ويظهرون من الدعاء والتوقير إلى ما يضمرون من السب والتحقير نفاقاً، وَطَعْنًا فِي الدِّينِ استهزاء به وسخرية"⁽³⁾، وفي حق النصارى أخبر تعالى إخباراً مؤكداً بلام القسم عن كفرهم لقولهم ما لا يجوز في حق الله⁽⁴⁾، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: 72]، وفي موضع آخر: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: 72].

الضرب الثاني: الكيد والقتال والظلم للإسلام وأهله، قال تعالى: ﴿لَا يَرْجُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: 10]، قال القرطبي: هذه الآية " لليهود خاصة"⁽⁵⁾ والمعنى: لا يراعوا حلفاً ولا قرابة ولا عهداً فهم المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة⁽⁶⁾؛ وذلك لأن اليهود أشد عداوة، أما النصارى فهم أقل عداوة وأقرب مودة إلى المسلمين، قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: 82]، إن هذه المفاضلة نسبية، فهو مدح في مقابلة ذم وليس بمدح على الإطلاق؛ لأن مذهب اليهود في إيصال الشر والأذى إلى من خالفهم في الدين أشد وأعنف، بأي طريق كان مثل القتل ونهب المال بأنواع المكر والكيد والحيل، أما مذهب النصارى خلاف اليهود، فهم أقل خطراً على

(1) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (2/ 203).

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (1/ 176).

(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (2/ 77).

(4) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (2/ 221).

(5) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (8/ 80).

(6) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (1/ 666).

الإسلام، فقد نجد منهم لين الجانب وحسناً في التعامل كما عامل النجاشي صحابة رسول الله ﷺ عند هجرتهم إلى الحبشة (1).

ج- المنافقون:

النفاق هو الداء العضال الباطن الذي أصاب المجتمع الإسلامي، وهو إظهار الخير وإسرار الشر، وكان أول ظهوره في المدينة المنورة، قال ابن كثير: "وإنما نزلت صفات المنافقين في السور المدنية؛ لأن مكة لم يكن فيها نفاق، بل كان خلافه" (2).

ولقد هتك الله سبحانه وتعالى أستار المنافقين، وكشف أسرارهم في القرآن في أكثر من سورة منها سورة البقرة وبراءة وسورة المنافقين، كذلك ذكرهم في سورة النور؛ ليكون المؤمنون على حذر منهم؛ لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم، وشدة فتنتهم على الإسلام وأهله، فإن بلية الإسلام بهم شديدة جداً، لأنهم منسوبون إليه، فهم أعداؤه في الحقيقة (3).

وفاتحة سورة البقرة ذكرت ثلاثة طوائف (المؤمنون، والكفار، والمنافقون)، فذكرت في المؤمنين أربع آيات، وفي الكفار آيتين، وأُنبت في ذكر صفات المنافقين في ثلاث عشرة آية، أولها قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 8]، ومن أبرز صفات المنافقين ما يلي:

أ- الخداع والتأمر: قال تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: 9]، وأصل الخداع الستر، فكان المنافقون يظهرون الإيمان؛ لكي يحرزوا بذلك دماءهم وأموالهم وأنفسهم، ويستترون نفاقهم وكفرهم فهم يكذبون ويخالفون الله والذين آمنوا (4).

ب- في قلوبهم مرض: قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: 10]، أي: شك ونفاق وأصل المرض الضعف، وسُمي الشك في الدين مرضاً؛ لأنه يُضعف الدين كالمرض يضعف البدن، والمعنى كلما كفروا بأية ازدادوا كفراً ونفاقاً (5).

(1) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (2/ 68).

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (1/ 176).

(3) انظر: صفات المنافقين، ابن القيم، (ص: 4).

(4) انظر: بحر العلوم، السمرقندي، (1/ 26).

(5) انظر: معالم التنزيل، البغوي، (1/ 66).

ت-مفسدون في الأرض: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ* أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: 11-12]، قال أبو السعود: " الفساد في الأرض هَيْجُ الحروب والفتنِ المستتبعة؛ لزوال الاستقامة عن أحوال العباد واختلالِ أمر المعاش والمعاد" (1)، والمعنى: المنافقون يَدَّعون الإصلاح في الأرض بينما هم المفسدون الذين يثيرون في الأرض فساداً وظلماً، ويعملون على تخريب كل خير وكل طيبة موجودة في الأرض.

ث-سفهاء: ميزهم الله سبحانه وتعالى بأنهم سفهاء وزائفون فهم منحرفون وكاذبون وفي ذات الوقت يتعالون على الناس وينسبوا السفه إلى المؤمنين استهزاءً واستخفافاً، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 13]، فسجل الله عليهم بالسفه بأبلغ عبارة وأكد قول، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول الشوكاني: " حصر السفاهة وهي رقة العلوم وفساد البصائر وسخافة العقول فيهم، مع كونهم لا يعملون أنهم كذلك إما حقيقة أو مجازاً، تنزيلاً لإصرارهم على السفه منزلة عدم العلم بكونهم عليه، وأنهم متصفون به ولما ذكر الله هنا السفه ناسبه نفي العلم عنهم لأنه لا يتسافه إلا جاهل" (2).

ج-الغدر ونقض العهود: قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لَسِينِ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَ مِنَ الصَّالِحِينَ* فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ* فَأَعْقَبَهُمْ نِقَاحاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْتَهُ بِمَا أَخْلَقُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: 75-77]، أي: يلجئوا إلى الله وقت البأساء والضراء فيدعونه ويعاهدونه على الشكر له والطاعة لشرعه فإذا كشف الضر عنهم، نكصوا على أعقابهم وكفروا النعمة وهضموا حقوق الخلق (3)، فإذا كان هذا نقضهم للعهود مع الله ﷻ فكيف مع عباده المسلمين.

يقول ابن القيم في بيان عظم خطرهم على الإسلام والمسلمين: " كم من معقل للإسلام قد هدموه، وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخرّبوه، وكم من علم له قد طمسوه، وكم

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (1/ 43).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (1/ 51).

(3) انظر: تفسير المراغي، المراغي، (10/ 168).

من لواء له مرفوع قد وضعوه، وكم ضربوا بمعاول الشبّه في أصول غراسه؛ ليقلعوها، وكم عمّوا عيون موارده بأرائهم؛ ليدفنوها ويقطعوها؟؟!" (1) .

3- الدول المجاورة:

لقد كان لدول الجوار أثر على نشأة المجتمع الإسلامي، فقد كان المسلمون يدركون أن كل دور يؤثر في دعوتهم وقضيتهم، فهي ليست في عزلة عما يجري في أنحاء العالم من حولهم.

فقد كان الفرس والروم في ذلك الوقت من أقوى دول الأرض، وكان بينهما من الحروب والقتال ما يكون بين الدول المتوازنة، أما الفرس فكانوا مشركين يعبدون النار وهم أقرب لكفار مكة، والروم أهل كتاب وهم أقرب إلى المسلمين من الفرس (2) .

يقول سيد قطب: " ومع أن الدول قديماً لم تكن شديدة الاتصال، والأمم لم تكن وثيقة الارتباط كما هو الشأن في عصرنا الحاضر، مع هذا فإن المشركين في مكة كانوا يحسون أن انتصار المشركين في أي مكان على أهل الكتاب هو انتصار لهم، وكان المسلمون كذلك يحسون أن هناك ما يربطهم بأهل الكتاب، وكان يسوؤهم أن ينتصر المشركون في أي مكان" (3).

ومن إحياءات ذلك الأثر ما جاء في قوله تعالى: ﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [الروم: 1 - 4]، يقول الشعراوي: "وهذا من عظمة الإسلام، فالذي يؤمن بالإله أقرب إلى نفوسنا من الذي لا يؤمن بالإله؛ لأنه على الأقل موصول بالسماء؛ لذلك لما غلبت الروم فرح كفار قريش وحزن المؤمنون، وفرح كفار قريش لأن في هزيمة الروم دليلاً على أن محمداً وأصحابه سينهزمون كأصحابهم" (4).

فكانت البشارة الربانية بالنبوءة الصادقة الخاصة بغلبة الروم في بضع سنين، وفرح المسلمون بانتصارهم على الفرس وإن كان الجميع كفاراً، لكن بعض أهل الشر أهون من بعضهم، وأقل ضرراً على الدولة الناشئة.

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (3/ 144).

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 636).

(3) في ظلال القرآن، سيد قطب، (2757/5).

(4) الخواطر، الشعراوي، (18/ 11300).

والملاحظ من عرض نقاط العنصر البشري بهذا الإسهاب، وبيان صفاتهم مدى الأثر البارز، والدور الأساس في تحديد ملامح المجتمع الإسلامي الأول، وما قد يترتب عليه من تبعات، باعتبار البشر هم المقوم الأساس؛ لقيام الحضارة بشقيها المادي والمعنوي.

ثانياً: العنصر الطبيعي

الطبيعة الجغرافية بمكوناتها المختلفة عنصر هام في توزيع المجتمعات البشرية على سطح كوكب الأرض، ومن أبرز العوامل المؤثرة في دراسة مدى التأثير المتبادل بين الإنسان والبيئة، وبيان الصور الاجتماعية الناجمة عن تفاعل الإنسان ببيئته المحلية، كما تشمل دراسة النشاط البشري والتركيب السياسي والإمكانات الاقتصادية وأثر ذلك على بناء الشخصية الإنسانية (1).

وعلى ذلك فقد كان لطبيعة مكة الجغرافية وكذلك المدينة المنورة أثراً بارزاً في تكوين المجتمع الإسلامي الأول، وسبباً في أن يجعل منهما مدينتين مقدستين، فقد تكفل الله بهما وميزهما بميزات استراتيجية جعلت منهما موطن الرسالة ومهد الدعوة الإسلامية (2)، ويظهر أثر تلك الميزات على تكوين المجتمع فيما يلي:

1. الموقع الجغرافي:

امتازت مكة المكرمة والمدينة المنورة جغرافياً بموقع هام، حيث تقعان في قلب العالم الإسلامي وهما نقطة النقاء بين جميع الدول، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143]، ومن معاني وسطاً في القرآن الكريم وقوعه في مركزية الأرض يقول القرطبي: "وكما أن الكعبة وسط الأرض كذلك جعلناكم أمة وسطاً" (3).

وعندما تم توقيع خريطة الإسقاط المكي تبين أن مكة المكرمة تعتبر مركزاً وسطاً للأرض اليابسة على سطح الكرة الأرضية، وحدود القارات السبع تعد الحدود الخارجية لمحيط دائرة واحدة مركزها مكة المكرمة (4).

(1) انظر: المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة، محمد محمدين، (ص: 328)، قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشري، جودة جودة، (ص: 333).

(2) انظر: دراسات في تاريخ العرب القديم، محمد مهران، (ص: 373).

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (2/ 153).

(4) انظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي، منظمة المؤتمر الاسلامي بجدة، (3/ 643).

وجاء الوصف الإلهي لهما؛ ليدل على ذلك، فقال تعالى في وصف مكة المكرمة: **﴿كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾** [الشورى: 7]، قال الطبري: "أم القرى هي مكة" (1)، وسميت مكة أم القرى؛ لأنها أشرف من سائر قرى العرب التي تحيط بها شرقاً وغرباً (2)، وكُنيت بأم القرى؛ لأنها أقدم المدن العربية، وهي بمثابة الأم لها، فالأم تطلق على أصل الشيء كما يقال أم الطريق، للطريق العظيم الذي حوله طرق صغار (3)، والمراد بقوله تعالى: **﴿ومن حولها﴾** "شامل لجميع الأرض" (4).

وبحكم موقع مكة الجغرافي المميز وتوسطها القبائل العربية، أصبحت سوقاً للتبادل التجاري (5)، فهي تعد ملتقى المدينتين البيضاء والسوداء أي اليمن والشام من جهة، وتقع على خط القوافل التي تصل بلاد الشام بسواحل المحيط الهندي من جهة أخرى (6)، قال تعالى: **﴿إِلَافٍ قُرَيْشٍ * إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾** [قريش: 1، 2].

وكان لقريش رحلتين: يرحلون في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام، فيمتارون ويتجرون، وكانوا في رحلتهم آمنين لأنهم أهل حرم الله وولاية بيته، فلا يتعرض لهم، والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم (7)، وبوجود البيت الحرام فيها أصبحت بلداً آمناً مطمئناً، قال تعالى: **﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾** [التين: 3]، "يعني الآمن، وهو مكة حرسها الله تعالى؛ لأنه الحرم الذي يأمن فيه الناس في الجاهلية والإسلام، لا يُنفر صيده ولا يُعضد شجره، ولا تُلتقط لقطته إلا لمنشد" (8).

وكذلك وصف الله تعالى المدينة المنورة بأنها الأساس لمن حولها في تلقي الأوامر والنواهي، قال تعالى: **﴿وَمَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾** [التوبة: 120]، أي أحياء العرب المحيطة بالمدينة المنورة مثل "مزينة وجهينة وأشجع وغفار وأضرابهم" (9)،

(1) جامع البيان، الطبري، (503 / 21).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (191 / 7).

(3) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (36 / 25).

(4) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، (45 / 7).

(5) انظر: الإدارة في عصر الرسول ﷺ، أحمد عجاج كرمي، (ص: 44).

(6) انظر: أنظمة المجتمع والدولة في الإسلام، محمد عبد المولى، (ص: 36).

(7) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (801 / 4).

(8) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (444 / 4).

(9) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (111 / 4).

ومعنى الآية يحمل عتاباً من الله تعالى للمتخلفين عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، ابتداءً بأهل المدينة ثم من حولها من أحياء العرب⁽¹⁾.

2. الطبيعة المناخية والتضاريسية:

تميزت مكة المكرمة بمناخ صحراوي جاف، قليل الأمطار، وتضاريس قاسية، فهي منطقة جبلية جرداء، تحيط بوادي ليس فيه شجر ولا ثمر⁽²⁾، قال تعالى على لسان إبراهيم **﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُونِ بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾** [إبراهيم: 37] يقول البيضاوي: يقصد **﴿بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾** "وادي مكة فإنها حجرية لا تثبت"⁽³⁾، وقال ابن الجوزي: "لم يكن فيها حرث ولا ماء"⁽⁴⁾.

وعلى الرغم من ذلك فقد رزقها الله من جميع الخيرات، ووصفها بثلاث صفات توفرت في مقر المجتمع الإسلامي وهي الأمن والصحة والكفاية⁽⁵⁾، قال تعالى: **﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾** [النحل: 112]، ونقل الزحيلي في تفسيره أقوال أكثر المفسرين على أنها مكة وأهلها⁽⁶⁾.

ويجدر الإشارة إلى أن قسوة المناخ والتضاريس في مكة ساهم في صقل الشخصية الإسلامية المؤهلة للدعوة والتبليغ، كما أنها بيئة فصيحة، يجيد أهلها اللغة الأم في أرقى درجاتها؛ لذلك كانت العادة عند الحاضرين من العرب أن يلتمسوا المراضع لأولادهم في الصحراء، ابتعاداً لهم عن أمراض الحواضر؛ لتقوى أجسامهم، وتشتد أعصابهم، ويتقنوا اللسان العربي، ويتعلموا الجلد والحلم والصبر، ونقاء التفكير⁽⁷⁾.

أما المدينة المنورة فتكونت من جبال ووديان ومنحدرات وسيول وأراض صحراوية وأخرى زراعية، فكانت تضاريسها أحسن حالاً من مكة وأكثر خيراً، فامتازت بوفرة الموارد وخصوبة الأرض، جعلت منها مركزاً عمرانياً يُعوض المهاجرين ما فقدوه بمكة من مال ومتاع،

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (4/ 234).

(2) انظر: حياة محمد ﷺ، هيكل، (ص: 64).

(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (3/ 201).

(4) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، (2/ 515).

(5) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (20/ 279).

(6) التفسير المنير، الزحيلي، (14/ 252).

(7) انظر: الرحيق المختوم، المباركفوري، (ص: 8).

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جُرْ الْآخِرَةَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 41] ، أي: " لننزلهم بالمدينة ولنعطينهم الغنيمة، فهذا الثواب في الدنيا" (1) .

وذكر المفسرون في بيان معنى ﴿لَنُبَوِّئَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ قولين أن الحسنة هي المدينة المنورة، وقيل الرزق الطيب، وفي ذلك قال ابن كثير: "لا منافاة بين القولين، فإنهم تركوا مساكنهم وأموالهم فعوضهم الله خيراً منها في الدنيا، فإن من ترك شيئاً لله عوضه الله بما هو خير له منه، وكذلك وقع ، فقد مكّن الله لهم في البلاد ، وحكّمهم على رقاب العباد، فصاروا أمراء حكاماً، وكل منهم للمتقين إمام (2)؛ لذلك لقبها المسلمون طيبة الطيبة، وكانت أول عاصمة في تاريخ الإسلام، وفيها شكّل أول كيان قوي للمجتمع الإسلامي.

ثالثاً: العنصر التنظيمي (نظام الحكومة النبوية)

تعددت جهات النظر بشأن تنظيم المجتمعات البشرية، فمنهم من نظمه على أساس علمي بحث والبعض على أساس عدالة التوزيع وآخرون على أساس الكسب والعمل وغير ذلك، فظهرت الأنظمة المختلفة كالاشتراكية والرأسمالية.

لكن المجتمع الإسلامي يختلف تماماً في تنظيمه، فقد نظمه الله ﷻ تنظيماً ربانياً يقوم على أساس العقيدة الإسلامية بمنتهى الشمولية والتوازن، لا يغفل عن جانب لأجل آخر، والمتأمل في أنظمة الدولة الإسلامية، والأسس التي يقوم عليها نظام الحكم، يجد أن الدولة الإسلامية دولة قائمة على أساس الحاكمية لله (3)، قال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: 67].

وصاحب المنصب الأول للدولة ﷺ قد أرسى ضوابط أنظمة المجتمع الإسلامي وأقام الدعائم على قاعدة جمعت بين سياسة الدين والدنيا تحت مسمى واحد وهو الدين وهذا ما سُمي بالتراتب الإدارية لنظام الحكومة النبوية (4)، وهي:

(1) بحر العلوم، السمرقندي، (2/ 274).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (4/ 572).

(3) انظر: معالم الدولة المدنية في الإسلام، د. ماهر أحمد السوسي.

(4) انظر: التراتيب الإدارية (نظام الحكومة النبوية)، محمد الكتاني، (1/ 11).

1- منهج الحكومة الإسلامية:

لكل حكومة منهج تُسن فيه القوانين وتُشرع به الأحكام، وهو القرآن العظيم دستور الحياة البشرية، قال تبارك وتعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ ﴾ [الحديد: 25]، يقول الزحيلي: هذه الآية تمثل دستور المجتمع الإسلامي ونظام الحكم فيه، حيث توضح مجتمعاً يحكم بشريعة سماوية، على منهج الحق والعدل والمساواة، وفي ظل من القوة الحامية لمبادئ التشريع الرادعة الزاجرة لكل من يتجرأ أو يعرقل مسيرة الدعوة الإسلامية في الداخل والخارج، وتتمثل في ثلاث سلطات هي:

أ- قوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ ﴾: الكتاب العظيم يمثل سلطة التشريع.

ب- وقوله تعالى: ﴿ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾: والعدل يمثل سلطة القضاء.

ت- وقوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ ﴾: وإنزال الحديد يمثل السلطة التنفيذية؛ لأن الحديد رمز القوة الرادعة لكفالة احترام الأحكام في دار الإسلام، ولتأديب المعتدين والمعادين لشرع الله ودينه وحرمات أهله ودياره⁽¹⁾.

2- أنظمة الحكومة الإسلامية:

أنظمة الدولة الإسلامية متعددة، تسعى الحكومة الإسلامية إلى تحقيقها مثل النظام السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والحقوقى وغيره، حيث تقوم هذه الأنظمة على تنظيم علاقات المجتمع المسلم داخلياً وخارجياً، داخلياً بهدف حفظ الحقوق الاجتماعية والمالية، وإزالة رواسب الجاهلية والتركيز على حقوق الضعفاء، وتنمية مؤسسات الدولة، وتكافؤ الفرص، والحرص على الكفاءات وغيرها، أما خارجياً تتمثل بضبط العلاقات الدولية المحيطة بها⁽²⁾.

رابعاً: العنصر المعنوي

يتميز العنصر المعنوي بمجموعة من الروابط التي تربط أبناء المجتمع الإسلامي، وتقوي، حيث أصبح بها مجتمعاً فريداً، لم يشهد له التاريخ مثيلاً في سمو الخلق، وصلة الرحم،

(1) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (27 / 333).

(2) انظر: المختصر في تفسير القرآن الكريم، مجموعة من المفسرين، (1 / 77).

وانتشار التراحم والتعاطف والود بين أفراد المجتمع والتكافل والتعاون، كأنهم جسدٌ واحدٌ⁽¹⁾.

ويصف القرآن الكريم العالم بأعضاء الأسرة الواحدة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13]، يقول ابن عاشور: " كان هذا التقسيم الذي ألهمهم الله إياه نظاماً محكماً لربط أواصرهم دون مشقة ولا تعذر.... وما انتشرت الحضارات المماثلة بين البشر إلا بهذا الناموس الحكيم " ⁽²⁾.

وبما أن الإنسان اجتماعي بطبعه، يحرص على لقاء الناس، فقد عني القرآن الكريم بتقوية الروابط والعلاقات الاجتماعية التي تربطهم عناية كبيرة، علماً بأن المجتمع الإسلامي هو مجتمع التوحيد، وجميع روابطه تقوم على أساس رابطة القرابة الدينية المبنية على الولاء والمعاقدة المستتعبة للآثار من المعونة والنصرة والتمكين من الله ﷻ ⁽³⁾، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: 71]، ومن أشكال الروابط المتنوعة التي تجمع أفراد المجتمع ما يلي:

1- رابطة العبادة:

تشكل العبادات نظام حياة موحد للمسلمين، وهدفاً أساسياً لخلقهم، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، أي: " إلا لأمرهم أن يعبدوني وأدعوهم إلى عبادتي، وقيل: إلا ليعرفوني " ⁽⁴⁾.

وتعد العبادة من أبرز الروابط الإنسانية في المجتمع الإسلامي، فآثرها يتخطى الفرد المسلم إلى سائر المسلمين، فإذا فُهمت العبادات فهماً صحيحاً وطُبقت تطبيقاً دقيقاً أنتجت مجتمعاً قوياً متحداً متحاباً ⁽⁵⁾، ويرى ابن تيمية أن القلب فقير بالذات إلى الله من وجهين، أحدهما من جهة العبادة وهي غاية خلق الإنسان؛ لأن الله هو معبوده ومحبوه ومطلوبه، وعبادته تحصل السعادة واللذة والسكون والطمأنينة، للفرد وكامل المجتمع ⁽⁶⁾.

(1) انظر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (25 / 415).

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (26 / 58).

(3) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (4 / 82).

(4) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (7 / 380).

(5) انظر: العبادة، وزارة الأوقاف السعودية، (ص: 8).

(6) انظر: العبودية، ابن تيمية، (ص: 97).

وتتمثل قوة هذه الرابطة في أثر العبادات التي تؤدي بشكل جماعي على وجه الخصوص وهي:

أ. صلاة الجماعة: شرع الله ﷻ الصلاة بشكل جماعي في المسجد فهو مركز التجمع والتهديب والتعارف والتآلف والارتباط⁽¹⁾، فتؤدي فيه صلاة الجماعة اليومية للصلوات الخمس، وصلاة الجمعة الأسبوعية وصلاة العيدين السنوية وكذلك صلاة الجنازة وغيرها؛ حتى ينتظم المسلمون في لقاء يومي وأسبوعي ونصف سنوي في مكان واحد، للتعارف والتوادد وتفقد الأحوال، والتواصي بالخير والصبر، وإظهار عز المسلمين وتعويد الأمة الإسلامية على الاجتماع وعدم التفرق، وشعور المسلمين بالمساواة، وإذابة الفوارق الاجتماعية⁽²⁾.

كذلك الصلاة دعوة لتنظيف الباطن، وقطع جذور الجريمة، وبها يسود الأمن والاستقرار في المجتمع، فهي كما يقول ابن مسعود: مُنْتَهَى وَمَزْجَرٍ عَنِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ⁽³⁾، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: 45].

ب. الزكاة: يقوم المجتمع المسلم على مبدأ التكافل الاجتماعي بين أفرادهِ وتعاونهم فيما بينهم في السراء والضراء، وتوزيع الدخل والثروات؛ كي لا يكون دولة للأغنياء دون الفقراء كما كان في الجاهلية⁽⁴⁾، فتركز المال في أيدي فئة قليلة من الناس يؤدي إلى التباغض والتحاسد بينهم، قال تعالى: ﴿مَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: 7].

والناس جميعهم سواء أمام فريضة الزكاة؛ لعظم أثرها على الفرد والمجتمع، وجاء القرآن الكريم يؤكد على ذلك في قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: 103]، أي: تطهرهم من دنوبهم ومن أضرار الشح في نفوسهم وتزكئهم؛ لأن الزكاة علاج عملي لضغف النفس، وتحسينها من داء الشجوع وعبادة المال⁽⁵⁾.

(1) انظر: من معارك الإسلام الفاصلة (موسوعة الغزوات الكبرى)، محمد باشميل، (1/ 94).

(2) انظر: صلاة الجماعة، سفر الحوالي، (ص: 26-29).

(3) انظر: جامع البيان، الطبري، (20/ 42).

(4) انظر: المرجع السابق، (23/ 279).

(5) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، (2/ 422).

ت. **الصيام:** عبادة عملية تحمل معنى موافقة الفقراء بتحمل ما يتحملون؛ لأن الصائم إذا ذاق ألم الجوع تسارع إلى قلبه الرقة والرحمة لهؤلاء المساكين، فيحسن إليهم⁽¹⁾، وبالتالي تحصل المحبة والتماسك بين الأفراد، وتقوى معاني الترابط والاتحاد في المجتمع.

وجاء النداء الإلهي لجميع المؤمنين بفتح باب المنافسة في الصوم وتحقيق مبدأ التقوى الاجتماعي والشعور بالآخرين قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183] لعلكم تتقون أي: لعلكم تُضعفون شهواتكم، فإنه كلما قل الأكل ضعفت الشهوة، وكلما ضعفت الشهوة قلت المعاصي، فزيادة التقوى تكون بإماتة الشهوات⁽²⁾.

ث. **الحج:** يُعد الحج الملتقى الاجتماعي الأكبر للمسلمين في العالم، يجتمعوا في نقطة مركزية واحدة؛ ليحققوا الوحدة والتواصل فيما بينهم قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: 27] أي: يتقاطرون من فجاج الأرض البعيدة فمنهم رجالٌ يسعون على أقدامهم، وآخرون ركوباً على دوابٍ جهدها السير فضمرت من الجهد والجوع، فالحج موسم عبادة وتجارة، ومؤتمر اجتماع وتعارف وتنسيق وتعاون، فيه تلتقي منافع الدنيا والآخرة كما تلتقي فيها ذكريات العقيدة البعيدة والقريبة⁽³⁾.

2- رابطة التأخي:

كانت رابطة المؤاخاة والموالاتة في الإسلام، مسلماً من مسالك الرسول ﷺ في بناء المجتمع الإسلامي الأول، وسبباً من أسباب قوته وترابطه⁽⁴⁾، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: 103]، أي: "تمسكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهدته إليكم في كتابه إليكم، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله"⁽⁵⁾، وقال القرطبي: "فإن الله تعالى يأمر بالألفة، وينهى عن الفرقة، فإن الفرقة هلكة، والجماعة نجاة"⁽⁶⁾.

فقد أخذت عملية بناء المجتمع الإسلامي الأولى العهد والمؤاخاة بين أفراد المهاجرين والأنصار، حيث آخى النبي ﷺ بين أصحابه أخوين أخوين، وقد كانت رابطة هذا التأخي أقوى

-
- (1) انظر: فضائل الصيام وقيام صلاة التراويح، سعيد القحطاني، (ص: 35).
 - (2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (2/ 275).
 - (3) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (4/ 2418).
 - (4) انظر: الاستضعاف وأحكامه في الفقه الإسلامي، زياد المشوخي، (ص: 147).
 - (5) جامع البيان، الطبري، (7/ 70).
 - (6) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (4/ 159).

وأكثر فعالية، في إقامة الوحدة السياسية والنظامية والمصيرية بين عناصر المجتمع الجديد من رابطة التحالف إلى عهدها العرب⁽¹⁾، و قد كان توارث المال بعد الهجرة بسبب المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين، حيث يرث المهاجري الأنصاري، دون ذوي رحمه⁽²⁾.

وفي موضع آخر أثبت الله جل وعلا أن الأخوة أخوة الدين لا النسب والطين⁽³⁾، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10].

3- رابطة الأسرة:

نهى الله ﷻ عن السفاح والزنى المؤدي إلى اختلاط الأنساب، وأعقبه ببيان طريق الحل وهو الزواج الحافظ للأنساب وبقاء النوع الإنساني وترابط الأسرة ودوام الألف⁽⁴⁾، فهي تمثل الدرع الحصين لأفرادها، باعتبار أن كلا من الزوجين يعتبر درعاً للآخر، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ [الروم: 21]، أي " لتألفوها وتميلوا إليها وتطمئنوا بها فإنَّ المُجانسةَ من دواعي النَّضامِ والتَّعارفِ كما أنَّ المخالفةَ من أسباب التفرُّقِ والتَّنافرِ " ⁽⁵⁾.

فالأسرة نواة المجتمع، وعنوان قوته وتماسكه، وهي مشتقة من الأسر أي: القوة والشدة⁽⁶⁾، وتظهر قوتها وتماسكها من خلال ما أوجبه الله عزوجل على العباد من الواجبات الاجتماعية الخاصة مثل بر الوالدين، وصلة الأرحام والإحسان إلى الجيران، حيث تضي على المجتمع لمسات من المحبة والترابط.

وفي خلاصة المبحث يمكن القول أن الإطار العام الذي يحدد المكونات الرئيسية لنموذج الأمة المسلمة يمكن أن نمثله بالمعادلة الرياضية التالية: " أفراد مؤمنون + هجرة وتجمع في مهجر واحد + رسالة وجهاد + إيواء + نصرة = أمة مسلمة ذات ولاء متبادل " ⁽⁷⁾، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: 72].

(1) انظر: من معارك الإسلام الفاصلة (موسوعة الغزوات الكبرى)، مجد باشميل، (1/ 94).

(2) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (5/ 48).

(3) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي، (3/ 42).

(4) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (18/ 230).

(5) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (7/ 56).

(6) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (4/ 22).

(7) انظر: أهداف التربية الإسلامية، ماجد عرسان الكيلاني، (1/ 211).

ويرى الطبري في تفسيره للآية الكريمة: أي: هجروا قومهم وعشيرتهم ودورهم، وبالغوا في إتياب نفوسهم وإنصابها في حرب أعداء الله، بمساعدة الذين آووا رسول الله والمهاجرين معه وأسكنوهم، وجعلوا لهم من منازلهم مساكن إذ أخرجهم قومهم منها، ونصروهم على أعداء الله من المشركين، هاتان الفرقتان هما المهاجرون والأنصار⁽¹⁾.

(1) انظر: جامع البيان، الطبري، (14 / 77).

المبحث الثالث

مواطن الثبات والخلخلة في المجتمع الإسلامي

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول

مواطن الثبات في المجتمع الإسلامي

إن الثبات على دين الله مطلب أساسي لكل مسلم صادق يريد سلوك الصراط المستقيم بعزيمة ورشد، وهو السعادة الطيبة، والهدف المنشود لتوفيق الله ﷻ إلى الجنة والنجاة من النار، وبه يكون كمال الإيمان وحسن التوكل وقوة النفس ورباطة الجأش، ولأهمية هذا الموضوع تطرقت لعرضه في النقاط التالية:

أولاً: تعريف الثبات لغةً واصطلاحاً

1. لغةً:

الثبات: مصدر مشتق من مادة (ثبت)، والتي تدل على دوام الشيء، يقال ثبت ثباتاً وثبوتاً: (أي دام واستقر) فهو ثابت، والثبات ضد الزوال، ويقال تثبت الرجل في الأمر واستثبت بمعنى واحد هو التأيي وعدم العجلة (1).

2. اصطلاحاً:

أ- الثبات هو الدوام والاستقامة على الهدى، ولزوم الصراط المستقيم من غير عوج لا انحراف، والتمسك بالتقى، قسرها على سلوك طريق الخير، وعدم الالتفات إلى صارف الهوى والشيطان، مع سرعة الأوبة حال الركون إلى الدنيا (2).

ب- ويقول ابن عاشور: " التثبيت: حقيقته التسكين في المكان بحيث ينتفي الاضطراب والتزلزل " (3).

(1) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، (ص: 171)، مختار الصحاح، الرازي، (ص: 48).

(2) انظر: الثبات، محمد موسى الشريف، (ص: 11).

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (12/ 191).

ثانياً: الثبات في المنظور القرآني

وردت مشتقات مادة (ثبت) ثمانية عشر مرة في القرآن الكريم صراحة (1)، وهي كالتالي:

م	الكلمة	الآية التي وردت فيها	السورة	رقم الآية	مكية أو مدنية
1	ثَبَّتْ	رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا	البقرة	250	مدنية
		وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا	آل عمران	147	مدنية
2	تَثْبِيثًا	وَتَثْبِيثًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ	البقرة	265	مدنية
		لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا	النساء	66	مدنية
3	يُثَبِّتْ	وَيُثَبِّتْ بِهِ الْأَقْدَامَ	الأنفال	11	مدنية
		يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا	ابراهيم	27	مكية
		لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا	النحل	102	مكية
		يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ	محمد	7	مدنية
4	فَأَثَبُوا	إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَأَثَبُوا	الأنفال	45	مدنية
5	نُثِبْتُ	مَا نُثِبْتُ بِهِ فُؤَادَكَ	هود	120	مكية
		لِنُثِبْتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا	الفرقان	32	مكية
6	الثَّابِتِ	يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ	ابراهيم	27	مكية
		أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَقَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ	ابراهيم	24	مكية
7	نُبِّئْنَاكَ	وَأُولَا أَنْ نُبِّئْنَاكَ	الإسراء	74	مكية

(1) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، (158).

م	الكلمة	الآية التي وردت فيها	السورة	رقم الآية	مكية أو مدنية
8	فَتَّبِعْتُمُوهَا	فَتَّبِعْتُمُوهَا الَّذِينَ آمَنُوا	الأنفال	12	مدنية
9	لِيُثَبِّتُوكَ	لِيُثَبِّتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ	الأنفال	30	مدنية
10	وَيُثَبِّتُ	يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ	الرعد	39	مكية
11	تُثَبِّتُهَا	فَتَزَلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا	النحل	94	مكية

وبلاحظ من الجدول السابق ما يلي:

1. وردت الاشتقاقات الفعلية لمادة (ثبت) في أربعة عشر موضعاً، بينما الاشتقاقات الاسمية في أربعة مواضع.
2. تبين أن الآيات المكية والمدنية التي ذكرت الاشتقاقات اللفظية متساوية، وهذا يدل على أهمية موضوع الثبات في قلوب المؤمنين الأوائل باعتبارهم خلافة رسول الله ﷺ، وضرورة التمسك بهذا المبدأ الأصيل في العهدين؛ "لأن الثبات على دين الله حتى الممات هو ثمرة الهداية، وهو الضمان بإذن الله للحصول على الجنة والمغفرة" (1).
3. من الخصائص المميزة لمفهوم الثبات ارتباطه بالجهاد في سبيل الله، يقول سعيد حوى: "الطاعة والتوبة قبل المعركة، عاملان من عوامل الثبات" (2)، وفيه إشارة إلى أن الثبات يبرز في مواطن الحرب والفتن (3)، فنصرة الله للعبد تكون بإعلاء كلمته والثبات عليها، وقمع أعداءه، كذلك بإدامة التوفيق لئلا ينهزم من صولة أعداء الدين (4).
4. تكرار الدعاء بالثبات على الهداية، يدل على أن القلوب تتحول وتتغير؛ لذلك يأتي القول الفصل بالدعاء على الثبات الإيماني في قوله تعالى ﴿وَتَبَّتْ أَدْمَانَا﴾ (5).

(1) شعاع من المحراب، سليمان العودة، (1/ 170).

(2) الأساس في التفسير، سعيد حوى، (2/ 905).

(3) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (4/ 25).

(4) انظر: لطائف الإشارات، القشيري، (3/ 405).

(5) انظر: الخواطر، الشعراوي، (2/ 1285).

5. من خلال استقراء الآيات السابقة تبين أن هناك عوامل ووسائل هامة تعين المسلم على الثبات وتمكن له، منها:

- أ. الاعتصام بكتاب الله وسنة نبيه، والتمسك بما فيهما علماً وعملاً.
- ب. استدامة الطاعة والمسارة إليها.
- ت. الدعاء والإلحاح على الله بالثبات، والرضا بالقضاء والقدر.
- ث. الالتفاف حول العلماء الصالحين والدعاة الصادقين وعدم مفارقة الجماعة، والتمسك بالصحبة الصالحة، والأخوة الصادقة.
- ج. صحة الإيمان وصلابة الدين وعدم الاغترار بالباطل وكثرة المبطلين.
- ح. استجماع الأخلاق المعينة على الثبات كالصبر والتقوى.
- خ. التربية الإيمانية العلمية الواعية المتدرجة.
- د. الاستعانة بالله وحسن الظن به والثقة بنصر الله وأن المستقبل للإسلام⁽¹⁾.

ثالثاً: مواطن الثبات في المجتمع الإسلامي

اقتضت حكمة الله تعالى أن جعل الابتلاء سنة كونية، فالمرء المسلم بحاجة إلى تمحيص ومراجعة حتى يتميز الخبيث من الطيب، قال تعالى: ﴿الم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: 1 - 3]، يقول الطبري: "أظن الذين خرجوا يا محمد من أصحابك من أذى المشركين إياهم أن نتركهم بغير اختبار ولا ابتلاء امتحان، بأن قالوا: آما بك يا محمد فصدقناك فيما جئتنا به من عند الله، كلا لنختبرهم، ليتبين الصادق منهم من الكاذب"⁽²⁾.

وقد عصفت رياح الفتن بالأمة الإسلامية، ومرت بتحديات جسام، حُددت من خلالها المستويات الإيمانية، فأعلى المستويات كانت أكثر ثباتاً وتمسكاً؛ لذلك كان يسعى الرسول ﷺ

(1) انظر: مقالات موقع الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين، (2/ 490)، عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين، أحمد الفهري، (ص: 55)، موقع الإسلام سؤال وجواب، محمد المنجد، (13/ 304)، مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، (14/ 194).

(2) جامع البيان، الطبري، (7/ 19).

جاهداً إلى تعمير قلوب صحابته وحثهم على زيادة الإيمان والإعراض عن شهوات الدنيا، وكان
يكثر من قول: "يَا مُقَلِّبِ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ"⁽¹⁾.

لذلك يلمس من تعاقب الشدة والرخاء، والعسر واليسر، كشفٌ عن معادن النفوس؛ لأن
الثبات على الحق صفة أصحاب المعدن الأصيل، وهو درب كل من تأسى بالرسول الكريم ﷺ
وصحابته الكرام ﷺ، وقد أصَلَ القرآن الكريم مفهوم الثبات على الحق في أكثر من موطن في
كتاب الله ﷻ، وضرب أمثلة رائعة جسدت معنى الثبات عند مواطن الفتن، حيث تجسدت الفتن
على عدة أشكال منها ما كان في النفس أو المال أو الأهل أو على المنهج، أو فتنة الاضطهاد
والطغيان والظلم.

ومن رحمة الله ﷻ بنا أن بين لنا في كتابه وفي سيرة نبيه عوامل كثيرة تعين على
الثبات، ومن خلال استقراء آيات القرآن الكريم تبين أن عوامل الثبات برزت في مواطن الفتن
وهي (المنهج، والجهاد، والممات) والتفصيل يكون على النحو التالي:

الموطن الأول: الثبات على المنهج الرباني

إن الثبات على المنهج الصحيح، واستقرار الإيمان في القلوب بالحجة والبرهان من
صفات الرجال، فهي أعلى من أرواحهم، ولديهم إصرار لا يعرف التنازل عن الثوابت، فقد
صَدَّقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ مِنْ الثَّبَاتِ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ والمقاتلة لإعلاء الدين وَمَا بَدَّلُوا الْعَهْدَ وَلَا
غِيْرَهُ⁽²⁾، وقد قال الله ﷻ فيهم مادحاً: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ
مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23]، ومن الصور القرآنية التي
تمثل موطن الثبات على المنهج الرباني ما يلي:

1- صور من ثبات الرسول ﷺ أمام مُساوِمات قريش

كان النبي ﷺ ثابتاً على دينه ومبادئه، ولم يساوم أو يقبل أي تنازل على حساب ذلك،
رغم المغريات الكثيرة، والتحديات الجسيمة التي واجهها، من أشكال القمع، والاضطهاد،
والاستهزاء، والتكذيب، وتشويه تعاليمه وإثارة الشبهات، ومداهنات أنصاف الحلول، والنعوت
الباطلة، والشتم السفيهة، والتهم الهازلة،⁽³⁾، فقالوا في شخص النبي ﷺ الكثير منها قوله

(1) سنن الترمذي، أبواب القدر، باب ما جاء أَنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْ الرَّحْمَنِ، ح (2140)، من طريق أنس
بن مالك، (4/16)، وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

(2) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (4/229).

(3) انظر: الرحيق المختوم، المباركفوري، (ص: 74).

تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿ص: 4﴾، وقالوا عن القرآن: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: 5]، وحاولوا أن يناصروا الرسول طريق الدعوة، فحذره الله في قوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: 9].

وهذه المحاولات عصم الله منها رسوله الكريم، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 74]، هي محاولات أصحاب السلطان مع أصحاب الدعوات دائماً، محاولة إغرائهم؛ لينحرفوا عن الطريق المستقيم وصلابته، ليرضوا بمغانم الدنيا (1).

فجاء الرد الفاصل؛ ليحسم مفاوضاتهم المضحكة بهذه المفصلة الجازمة في سورة الكافرون، قال ابن كثير: "هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، وهي أمره بالإخلاص فيه، وتشمل كل كافر على وجه الأرض، لكن المواجهين بهذا الخطاب مباشرة هم كفار قريش " (2).

ومن خلال استقراء الآيات التي وجهت خطاب الثبات للنبي ﷺ، تبين أن من أعظم وسائل ثبات النبي ﷺ على المنهج الرباني ما يلي:

أ- نزول القرآن منجماً، لقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنُنَبِّئَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: 32]، يقول الشنقيطي: كان إنزال القرآن مفزقاً بحسب الوقائع؛ لتقوية فؤاد النبي ﷺ، وتسهيل حفظه، فهو أمي لا يقرأ ولا يكتب (3)، وفي الآية تلميح لاعتناء الله بكتابه ورسوله ﷺ، حيث جعل إنزال كتابه جارياً على أحوال الرسول ومصالحه الدينية، مما يزيد النبي ﷺ طمأنينة وثباتاً (4).

ب- السلوى بأحوال السابقين: قال تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 120]، ويرى ابن عاشور أن هذه الآية تذييل وحوصلة لما تقدم من أنباء القرى و الرسل، وتهيئة لاختتام ما سيق في سورة هود من القصص والمواعظ؛ بهدف تثبيت النبي ﷺ (5).

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (2245/4).

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (8 / 507).

(3) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، (6 / 51).

(4) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 582).

(5) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (12 / 191).

وذكر أبو زهرة ثمرات القصص الصادق ثلاث:

الأولى: تثبيت فؤاد النبي ﷺ، إزاء إنكار المشركين وإيذائهم للنبي ﷺ وصحابته الكرام، والمعنى: أنت لست بدعاً من الرسل، فقد أودوا قبلك كما أوديت، وكانت الباقية لهم، فلا يغرنك تقلبهم في البلاد فالعاقبة لك ولأصحابك.

الثانية: الموعظة، والاتعاظ طريق الإيمان، ومن لم يتعظ بغيره، فالبلاء في نفسه شديد، وهذا الاتعاظ للمؤمنين أي الذين في قلوبهم اتجاه إلى الإيمان.

الثالثة: الذكرى، أي التذكر الدائم المستمر لما نزل بالأقوام الظالمة، وهذه أيضاً للمؤمنين⁽¹⁾.

وكان لثبات النبي ﷺ الكثير من النتائج، كما وكيفاً، أما كما فقد كانت أعداد المسلمين تزداد يوماً بعد يوم، قال تعالى: ﴿ذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: 1-3]، حيث أشارت سورة النصر إلى أن الكفر سيضمحل ويزول، وأن الإسلام سيغلب عليه، ويكون هو دين السواد الأعظم من سكان المعمورة⁽²⁾، أما على المستوى الكيفي فقد استطاع النبي ﷺ تربية جيل قوي ثابت يحمل هم الدعوة بعده.

2- صور من ثبات الرعيل الأول

كان الصحابة الكرام رجالاً أفاذا، يشعروا شعوراً تاماً بالمسئولية اتجاه الدين الإسلامي، وهو استشعار مطلق لقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: 115]، أي: "ما خلقناكم للعبث، ولم يدعنا إلى خلقكم إلا حكمة اقتضت ذلك، وهي: أن نتعبدكم ونكلفكم المشاق من الطاعات وترك المعاصي، ثم نرجعكم من دار التكليف إلى دار الجزاء"⁽³⁾.

وأيقن الصحابة بأنه لا يمكن لهم الحياد أو الانحراف، فعاقبة الفرار عن تحمل المسئولية أشد وخامة وأكبر ضرراً عما هم فيه من الاضطهاد والتعذيب الشديد على يد أئمة الكفر من قريش؛ لأن الضرر يتعدى إلى البشرية جمعاء حتى قيام الساعة، فثبتوا وتحملوا قال ابن هشام: "فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر، من استضعفوا منهم، يفتنونهم عن دينهم"⁽⁴⁾.

(1) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، (7/ 3778).

(2) انظر: تفسير المراغي، المراغي، (30/ 257).

(3) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (3/ 206).

(4) سيرة ابن هشام، ابن هشام، (1/ 317).

ومن أبرز عوامل الثبات التي تمثلت في شخص الصحابة:

أ- إقبالهم على كتاب الله قراءةً، وتعلماً، وعملاً، قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 102]، أي ليثبت المؤمنين بما في القرآن الكريم من الحجج والبراهين فيزدادوا إيماناً ويقيناً وطمأنينةً وبشارةً⁽¹⁾، ما يجعلهم يكتبون آلامهم، ومتاعبهم، ويتجاهلوا أنفسهم لخدمة الدين والدعوة.

ب- صلابة الإيمان الراسخ في قلوبهم، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: 27]، أي: يثبت الله عباده المؤمنين، بما هم عليه من إيمان القلب التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، والإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومرادها، وفي الآخرة بالخاتمة الحسنة عند الموت⁽²⁾.

ومثل الصحابة أروع صور الثبات والتضحية والرضا، فأصبحت مواقفهم قدوة للأجيال

المتلاحقة على مرَّ العصور، ومنها:

أ- ثبات أبو بكر الصديق: ضرب أبو بكر الصديق رضي الله عنه أروع الأمثلة في الثبات على الدين، فهو رجل الإسلام الثاني بعد رسول الله ﷺ، صاحب رسول الله وخليفه، وبرز ثباته على المنهج الرباني من عدة جوانب وهي:

الأول: تصديقه للنبي ﷺ في حادثة الإسراء والمعراج: ولُقّب بالصدّيق؛ لتصديقه هذه الواقعة حين كذبها الناس⁽³⁾، وثبت مع النبي ﷺ على الحق حين تلقفته مكة بألسنتها الحداد، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: 33]، حيث جاء في تفسيرها: الذي جاء بالصدق هو النبي ﷺ، والذي صدّق به هو أبو بكر ﷺ، لكن الطبري رجح القول بالعموم⁽⁴⁾، وعلى ذلك يكون أبو بكر أول داخل فيه.

الثاني: مرافقة النبي في الهجرة: حيث جاء وصفه في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ثَانِيَانِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: 40]، أي: واحدٌ

(1) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، (2/ 132).

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 425).

(3) الرحيق المختوم، المباركفوري، (ص: 127).

(4) انظر: جامع البيان، الطبري، (21/ 291).

من اثنين، هما رسول الله ورفيق دربه أبو بكر حيث لم يكن معهما أحد آخر، فنصرهما الله تعالى أمام مؤامرة قريش لقتل النبي، ونجحا بالفرار إلى المدينة (1).

الثالث: صدق تلبية المدعويين للإسلام على يديه، وهم نفر سبقوا الناس وكانوا في طليعة الإسلام، منهم عثمان بن عفان الأموي، والزبير بن العوام الأسدي، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله التيمي، وبلال بن رباح الحبشي (2).

ب- ثبات عمر بن الخطاب ؓ: فاروق الأمة ورجلها الثالث، كان إسلامه فتحاً وهجرته نصراً وإمارته رحمة⁽³⁾، يقول المباركفوري: " وخلال هذا الجو الملبد بسحائب الظلم والطغيان أضاء برق آخر أشد بريقا ً وإضاءة من إسلام حمزة بن عبد المطلب ؓ، ألا وهو إسلام عمر بن الخطاب.... كان رجلاً ذا شكيمة لا يرام، وقد أثار إسلامه ضجة بين المشركين بالذلة، والهوان، وكسا المسلمين عزاً وشرفاً وسروراً"⁽⁴⁾، تميز بالثبات والحزم وحسن التدبير مما ساهم في تجاوز المجتمع الإسلامي بفضل ثباته الكثير من الأزمات والشدائد، فعن ابنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ" (5).

ت- ثبات سعد بن أبي وقاص ؓ: أمام فتنة الأهل: هذا الصحابي نزلت في حقه آيات تتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها (6)، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: 8]، حيث مرَّ الصحابي الجليل في بداية إسلامه بابتلاءٍ عظيم من أقرب الناس إليه، وهي أمه، فيوم أن دخل الإسلام إلى قلبه وعلمت به أمه، وقفت بوجهه، وأرادت أن ترجعه إلى دين آبائه وأجداده، فعندما رأت منه الإصرار وعدم الاستجابة لها، لجأت إلى وسيلة ظنت أنها ستهزم روحه، وترد عزمه إلى وثنية أهله وذويه، فقد أعلنت صومها عن الطعام والشراب، حتى يعود سعد إلى دين آبائه وقومه، واستمرت ليالي وسعد

(1) انظر: بحر العلوم، السمرقندي، (2/ 58).

(2) انظر: الرحيق المختوم، المباركفوري، (ص: 66).

(3) انظر: سيرة ابن هشام، ابن هشام، (1/ 342).

(4) الرحيق المختوم، المباركفوري، (ص: 89).

(5) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب المناقب، باب مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب، ح(3682)، (6/ 58)، حديث حسن صحيح غريب.

(6) انظر: جامع البيان، الطبري، (20/ 12).

لا يبالي، حتى هلكت وأوشكت على الموت فنظر لها في لحظاتها الأخيرة، وقد ظن أقرباؤه أنه سيتراجع عن إسلامه؛ لأن أمه ستموت، فما كان منه إلا الثبات على دينه⁽¹⁾.

وما الصديق والفاروق وسعد إلا نماذج من جيل الصحابة الذين جعل الثبات منهم، السادة والقادة والفتاحين والأمراء والدعاة، أمثال خباب بن الأرت، ومصعب بن عمير، وأبي عبيدة بن الجراح، وعمرو بن العاص، وسيف الله المسلول خالد بن الوليد، وعثمان بن عفان، وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

ت- ثبات المحاصرين في شعب أبي طالب: لقد تجلت التضحيات والمواقف النبيلة للثبات على المبدأ الحق عند الصحابة الكرام بما يبهر العقول وتعجز عن وصفه الألسن، فقد اجتمع كفار قريش بفكرة جديدة في حرب الدعوة وهي المقاطعة، وسياسة الحصار الاقتصادي لبني عبد مناف، وهي سياسة التجويع الجماعي؛ لإضعاف ثبات المسلمين، فتجرع الصحابة الكرام، رضوان الله عليهم مرارة الحصار الظالم وتقلبوا في لظى هذه المؤامرة الخبيثة، فكان الصبر والثبات على هذا البلاء نعم الزاد، والصمود والتحدي أمام الباطل وأهله⁽²⁾.

وكانت آيات الرحمن تنزل عليهم؛ تسلياً لهم وحثاً لهم على الثبات فهذه سنة الله جارية في أنبياءه، قال تعالى: ﴿وَكَايِنٍ مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 146] أي: " ما ضعفت قلوبهم، ولا وهنت أبدانهم، ولا استكانوا لعدوهم، بل صبروا وثبتوا"⁽³⁾، فتحصنوا بالدعاء كأسلافهم المؤمنين (طالوت وجنوده)، وكان دعاءهم بالثبات، يقول أبو السعود: " راعوا في الدعاء ترتيباً بديعاً حيث قدموا سؤال إفراغ الصبر الذي هو ملاك الأمر ثم سؤال تثبيت القدم المتفرع عليه ثم سؤال النصر الذي هو الغاية القصوى"⁽⁴⁾، قال تعالى على لسان طالوت وجنوده: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 250]، أي: نتضرع إليك ونتستعين بك على مقاساة شدائد الحرب واقتحام موارده الصعبة الضيقة، وأفض علينا صبراً يعمنا، ويملاً قلوبنا ثقة بنصرك، ونسألك ثبات الأقدام ورسوخها

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (6/ 337)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (13/ 328).

(2) انظر: السيرة النبوية، راغب السرجاني، (10/ 6)،

(3) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 151).

(4) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (1/ 244).

على الحق، عند المقارعة وعدم التزلزل وقت المقاومة والصبر، وهذا كناية على أنه متى حصل الثبات كان النصر متوقفاً، والصبر متحققاً⁽¹⁾.

ث- ثبات أهل بيعة العقبة الأولى والثانية: بيعة العقبة⁽²⁾، حدث تاريخي فاصل ابتدأ في موسم الحج في السنة الحادية عشر للنبوّة، حيث بايع فيه نفر ستة من أهل يثرب رسول الله ﷺ وواعده بإبلاغ رسالته إلى قومهم، وعادوا في العام المقبل باثنا عشر رجلاً، وقد بايعوا رسول الله ﷺ على أن لا يشركوا بالله شيئاً، ولا يسرقوا، ولا يزنوا، ولا يقتلوا أولادهم، ولا يأتوا ببهتان يفترونه، ولا يعصوه في معروف، وسميت بيعة العقبة الأولى أو بيعة النساء⁽³⁾، ثم أرسل الرسول ﷺ مع هؤلاء المبايعين أول سفير في الإسلام مصعب بن عمير؛ ليعلم المسلمين شرائع الإسلام، وينشر الإسلام بين الذين لم يزالوا على الشرك، فعادوا في العام المقبل بضعاً وسبعون نفساً من المسلمين من أهل يثرب، جاؤوا ضمن حجاج قومهم من المشركين، ولسان حالهم يقول، حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطوف ويترد في جبال مكة ويخاف؟

فلما قدموا مكة جرت بينهم وبين النبي ﷺ اتصالات سرية، تمت في ظلام الليل، فحاول العباس عم الرسول ﷺ أن يوضح لهم خطورة المسؤولية التي ستلقى على كواهلهم، والضرر الذي سيلحق بهم من أذي قريش، فكان ردهم القاسم الدال على الثبات والعزم والتصميم والشجاعة في تحمل هذه المسؤولية الإيمانية العظيمة، وتحمل عواقبها الخطيرة، فقال كعب: " قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، وخذ لنفسك ولربك ما أحببت"، فألقى رسول الله ﷺ بعد ذلك بيانه، ثم تمت البيعة⁽⁴⁾، وكانت مقدمة للهجرة المشرفة، وأساساً؛ لبناء دولة إسلامية ثابتة.

(1) انظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي، (1/ 572).

(2) العقبة: "منزل في طريق مكة بعد واقصة وقبل القاع لمن يريد مكة، وهو ماء لبني عكرمة من بكر ابن وائل"، انظر: معجم البلدان، شهاب الدين الحموي، (4/ 134).

(3) بيعة النساء: هي البيعة التي نزلت عند فتح مكة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المتحنة: 12]، وعُرفت بيعة العقبة الأولى بذلك؛ لأنها لم يشترط فيها جهاداً ولا حرباً، انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (29/ 523)، السيرة النبوية، السرجاني، (7/ 12).

(4) انظر: سيرة ابن هشام، ابن هشام، (1/ 438-428)، الرحيق المختوم، المباركفوري، (ص: 139-134).

حيث نزل فيهم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: 111]، فهذا هو معنى الثبات على المنهج الرباني مهما كانت النتائج.

هذه هي ثمرة الصدق والثبات على المبدأ، فليت البائعين لدينهم وعقيدتهم يتعلمون الثبات على المبدأ وعلى الدين من صحابتنا الكرام.

المواطن الثاني: الثبات عند الجهاد

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ ﴾ [الصفافات: 173]، هذه الآية تؤكد سنة الغلبة لجند الله المؤمنين، فنصر الله محقق، ولا يقدر في ذلك انهزامهم في بعض المعارك⁽¹⁾، فالعاقبة لا بد أن تكون لهم، متى داوموا على التمسك بما يقتضيه إيمانهم من الثبات على الحق، وحسن البلاء⁽²⁾.

وقد تحقق ذلك في حياة النبي ﷺ واقعاً ملموساً، فكم لقي النبي ﷺ وصحبه الكرام من أنواع الصّدِّ، وأسباب اليأس، ولكنه صبر وثبت حتى لاقى ربه، وتابع المسيرة من بعده أصحابه رضوان الله عليهم حتى أوصلوا دين الله إلى بقاع الأرض.

وعلى ذلك فإن الثبات في مواطن الجهاد عامل أساسي في تحقيق النصر؛ لذلك أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالثبات حين اللقاء فقال في محكم تنزيله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: 45]، قال ابن كثير: " هذا تعليم الله عباده المؤمنين آداب اللقاء، وطريق الشجاعة عند مواجهة الأعداء " ⁽³⁾.

وتبين في تاريخ العالم الإسلامي أن القوة وحدها ليست مفتاح النصر، بل هناك ما هو أهم من ذلك قال تعالى: ﴿ كُمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: 249]، ويصف الزمخشري الفئة القليلة المنصورة: " هم الذين ثبتوا، ونصبوا بين أعينهم لقاء الله وأيقنوه " ⁽⁴⁾، حيث تجسد هذه الآية معنى المعية الإلهية لعباده المؤمنين في مواطن القتال بالثبات والصبر في أي زمن من الأزمان.

(1) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، (42 / 3).

(2) انظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي، (299 / 12).

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (70 / 4).

(4) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (296 / 1).

ويظهر أثر ثبات المسلمين جلياً في كثير من مواطن الجهاد كان من أبرزها ما يلي:

1- غزوة بدر الكبرى

امتن الله ﷻ على عباده المؤمنين الثابتين في بدر بالنصر المبين، حيث أعزهم

وهم أدلة، رغم قلة عددهم وكثرة عدوهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: 123]، "وكانت وقعة بدر في السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة" (1)، فأمدهم الله بجنود السماء؛ إشارة لكون هذا المدد إنما يتأتى لمستقبل إيماني، ثم بين سبحانه وتعالى لهم كيفية إصلاح جهاز الاستقبال لتلقي مدد الله (2)، فيقول تعالى: ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمِدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: 124، 125].

فثباتهم على الحق سبب في إمداد الله لهم بالعون والمدد والذي جاء على أربعة أشكال هي:
أولاً: نزول الملائكة أرض المعركة: قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَعِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْأَلْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ [الأنفال: 9]، أي متتابعين "يردف بعضهم بعضاً، ويتلو بعضهم بعضاً"، حيث جاء التثبيت بحضورهم القتال ومعونتهم، وثبتوا المؤمنين بقتال المشركين (3)، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحَى رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا قَوْقُ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: 12].

ثانياً: النعاس الخفيف المُطمأن: قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ الثُّعَاسَ أَمْنَةً مِنْهُ﴾ [الأنفال: 11]، والنعاس كان نعمة في حقهم، حيث إنهم ما ناموا نوماً غرقاً يتمكن العدو من مهاجمتهم فيه، بل نوماً خفيفاً، غشيم دفعه واحدة مع كثرتهم، وتخصيص النعاس بأنه من الله تعالى لا بد فيه من مزيد فائدة وهي:

1- حصول النوم لهم في وقت الخوف الشديد يدل على إزالة الخوف وحصول الأمن.

2- حصول النعاس لهم سبب في حصول الاستراحة حتى يتمكنوا في اليوم الثاني من القتال والحصول على الظفر (4).

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (2/ 79).

(2) انظر: الخواطر، الشعراوي (3/ 1734).

(3) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (3/ 334).

(4) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (15/ 461).

ثالثاً: إنزال أمطار الخير: ﴿ وَيُنزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ [الأنفال: 11]، يقول ابن عطية: فأنزل الله المطر ليلة بدر، حتى سالت الأودية فشرب الناس وتطهروا وسقوا الظهر، وتلبدت الأرض السبخة التي كانت بينهم وبين المشركين حتى ثبتت فيها أقدام المسلمين وقت القتال وكانت قبل المطر تسوخ فيها الأرجل⁽¹⁾.

رابعاً: الثبات الفردي للصحابة في المعركة:

وتمثل في نقاء السريرة وإخلاص النية لله ﷻ، حيث تجلت في هذه المعركة مناظر رائعة، تبرز فيها قوة العقيدة وثبات المبدأ، ففي هذه المعركة التقى الآباء بالأبناء، والأخوة بالأخوة، وخالفت بينهم المبادئ، ففصلت بينهما السيوف، فأبو بكر الصديق ﷺ توعده ابنه عبدالرحمن بالقتل وكان لازال حينها على الكفر، أما الفاروق عمر ﷺ قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة، وغيره من روائع الإيمان⁽²⁾.

فكانت غزوة بدر من أعظم الصدمات الكبرى التي وقعت بين الحق والباطل، فقد عدلت موازين العالم المقلوب، وبعدها وُلدت أمة ثابتة راسخة، لها رسالة وهدف وطموح، فتغير وجه التاريخ بثبات الطائفة المؤمنة النبيلة⁽³⁾.

2- غزوة بدر الصغرى (الآخرة) أو (الثانية) أو (الموعد)⁽⁴⁾

كانت إحدى المواجهات العسكرية بين غزوتي أحد والأحزاب، حيث واعد أبو سفيان النبي ﷺ يوم أحد قائلاً: يا محمد موعد ما بيننا وبينك، إن شئت فموسم بدر، فقال رسول الله: ذلك بيننا وبينك إن شاء الله⁽⁵⁾، فلما تلاقوا في موعدهم قال أعرابي من خزاعة: " إن القوم قد

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (2/ 506).

(2) انظر: الرحيق المختوم، المباركفوري، (ص: 201).

(3) انظر: السيرة النبوية، راغب السرجاني، (4/ 20).

(4) غزوة بدر الصغرى: "وقعت في شعبان سنة 4 هـ يناير سنة 626 م، حيث خرج رسول الله ﷺ لموعده في ألف وخمسمائة، وكانت الخيل عشرة أفراس، وحمل لواءه علي بن أبي طالب، واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة وانتهى إلى بدر، فأقام بها ينتظر المشركين، أما أبو سفيان، فخرج في ألفين من مشركي مكة، ومعهم خمسون فرساً، حتى انتهى إلى مر الظهران على بعد مرحلة من مكة" انظر: الرحيق المختوم، المباركفوري، (ص: 272).

(5) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (1/ 321).

جمعوا لكم فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل" (1)، فنزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173]، ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ أي: "تصديقاً و يقيناً في دينهم، وإقامة على نصرتهم، وقوة وجراءة واستعداداً" (2)، وقال ابن عطية: "أي ثبوتاً واستعداداً" (3).

حيث استولى الرعب ومشاعر الهيبة على أبو سفيان وجيشه الكافر، وخار عزمهم، واحتالوا الرجوع، ولم يبدوا أي مصادمة للمسلمين، أما المسلمون فأقاموا ببدر ثمانية أيام ينتظرون العدو، وباعوا ما معهم من التجارة فربحوا بدهم درهمين، ثم رجعوا إلى المدينة وقد توطدت هيبتهم في النفوس وسادوا على الموقف (4).

3- غزوة الأحزاب (الخدق)

إن اجتماع أحزاب الشرك على اختلاف الأزمان كان وسيكون لسبب واحد وهدف واحد، وإن اختلفت ألسنتهم وأساليبهم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: 217]، أي: "ولا يزالون جاهدين في قتالكم حتى يعيدوكم إلى الكفر والضلال إن قدروا فهم غير نازعين عن كفرهم وعدوانهم" (5)، وتحمل الآية تحذير المؤمنين من شر الكفرة، بنحو دائم (6).

وكان لاجتماع الأحزاب الكافرة في العام الخامس للهجرة أثر بالغ على المسلمين، فقد أصبح جو المدينة المنورة مكفهر والمسلمون في كرب شديد، قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: 10، 11]، فقد جاء من فوق الوادي شرقاً قبائل أسد، وغطفان، ويهود بني قريظة، ومن بطن الوادي غرباً قريش وكنانة، وأمام هذا الجمع الذي تخلله الخوف والفرع، جاء التمثيل القرآني لحالة المسلمين فقد مالت أبصارهم وشخصت من الرعب، وزالت القلوب عن أماكنها حتى بلغت الحلق، واختلفت الظنون، واختبر

(1) لباب النقول، السيوطي، (ص: 50).

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (4/ 280).

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (1/ 542).

(4) انظر: الرحيق المختوم، المباركفوري، (ص: 272).

(5) صفوة التفاسير، الصابوني، (1/ 123).

(6) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (2/ 264).

المؤمنون بالحصار والقتال؛ ليتبين المخلص من المنافق، والثابت من المتزلزل⁽¹⁾، وأمام هذا الاجتماع انقسمت ظنون المحاصرين في المدينة إلى قسمين:

القسم الأول: **ظن المتزلزلين**: وهم المنافقون ومن لديهم ضعف اعتقاد، حيث قالوا ما كان وعد الله لنا من الظفر وإعلاء الدين إلا وعداً باطلاً⁽²⁾، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: 13].

القسم الثاني: **ظن الثابتين**: وهم من آمنوا بوعد الله وصدقوا بنصر رسالته، فما زادهم هذا الاجتماع الباطل إلا صدقاً وثباتاً على الحق، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 22]، يقول طنطاوي في وصف حالة الثبات التي كانوا عليها: "لما رأى الصادقون جيوش الأحزاب وقد أقبلت نحو المدينة، لم يهنوا ولم يجزعوا، بل ثبتوا على إيمانهم وقالوا هذا الذي نراه من خطر داهم، هو ما وعدنا به الله ورسوله، وأن هذا الخطر سيعقبه النصر، وهذا الضيق سيعقبه الفرج، وهذا العسر سيأتي بعده اليسر"⁽³⁾، ومن أبرز عوامل الثبات في غزوة الأحزاب ما يلي:

أ- **القوة النفسية الإيمانية لجنود الأرض**: ويتمثل بثبات القاعدة الصلبة المؤمنة رغم نشر الأراجيف والإشاعات، قال تعالى فيهم: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23]، فقد صدقوا العهد مع الله، وثبتوا في المقاتلة؛ لإعلاء كلمة الدين، فمنهم من قُتل في سبيل الله شهيداً، ووفى نذره، وعددهم قليل⁽⁴⁾، ومنهم من ينتظر الشهادة، كعثمان وطلحة وما بدلوا العهد ولا غيره⁽⁵⁾.

ب- **تثبيت الله للصادقين**: لم يكن ثبات الصادقين بمعزل عن تثبيت الله ﷻ، فقد ثبتهم الله بآيات باهرات، وبشرهم ببشريات عزيزة، وهي:

(1) انظر: معالم التنزيل، البغوي، (6/ 331).

(2) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (4/ 226).

(3) التفسير الوسيط، الطنطاوي، (11/ 194).

(4) شهداء غزوة الأحزاب هم: سعد بن معاذ الأشهلي الأوسي، وأنس بن أوس بن عتيك الأوسي، وعبد الله بن

سهل الأشهلي الأوسي، وثعلبة بن عنمة السلمى الخزرجي، وطفييل بن النعمان السلمى الخزرجي، وكعب

بن زيد النجاري الخزرجي، وسفيان بن عوف الأسملي، وسنان بن صيفي السلمى الخزرجي، انظر: سيرة

ابن هشام، ابن هشام، (2/ 252).

(5) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (21/ 260).

جنود السماء: فقد ثبت الله جنود الأرض بجنود السماء، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: 9]، والريح هي ريح الصبا، (وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا) هي الملائكة، فقد كانت الريح معجزة باهرة للنبي ﷺ، فقد أرسل الله عليهم ريحاً باردة في ليلة شاتية، فأخصرتهم وسفت التراب في وجوههم وأطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم، وقطعت أطناب الفساطيط، وأكفأت القدور، وجالت الخيل بعضها في بعض، وكثر تكبير الملائكة في جوانب العسكر، حتى كان سيد كل خباء يقول: يا بني فلان هلم إلي فإذا اجتمعوا قال لهم: النجاء النجاء، لما بعث الله تعالى عليهم من الرعب (1).

ج- البشارات الربانية بالنصر: في وقت كان المسلمون فيه محاصرين في المدينة، يواجهون المشاق والخوف والجوع والبرد الشديد، فقد تحققت عدة بشارات على يد المصطفى ﷺ، تثبت المحاصرين ومنها معجزة الكدية، وهي صخرة عظيمة شقت على المسلمون فشكوها إلى رسول الله ﷺ، فدعا بإناء من ماء، فنقل فيه، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية، حتى عادت كالكتيب، لا ترد فأساً ولا مسحاة، كذلك بركة الطعام في تمر ابنة بشير وطعام جابر في وقت الندرة، ووعد النبي ﷺ بفتح اليمن والشام ومصر في وقت لم يكن للصحابي الخروج من المدينة المنورة (2).

ت- العمل الجماعي:

كانت فكرة حفر الخندق من أفضل الأفكار التكتيكية التي نفذها المسلمون بكل جدارة في غزوة الأحزاب، وطبقوها بمنتهى الدقة، وكانت عاملاً فاعلاً زاد من ثبات المؤمنين في قتال عدوهم، ومما ساهم في نجاح العمل الجماعي عاملان هما:

– العامل الأول: مشاركة القائد لجنوده: وتمثلت في شخص النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21]، حيث كان ثبات الرسول في غزوة الأحزاب وغيرها من الغزوات مواساة وقدوة حسنة للصحابية الكرام، والأسوة: المشاركة في الأمر، حيث واساهم قولاً بحثهم على الصبر (3)، وفعلاً ببذل نفسه لنصرة دين الله في

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (14/ 144)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (4/ 226).

(2) انظر: سيرة ابن هشام، ابن هشام، (2/ 217).

(3) انظر: تفسير العز بن عبد السلام، العز بن عبد السلام، (2/ 566).

خروجه إلى الخندق⁽¹⁾، وكان عليه الصلاة والسلام وهو يحمل التراب على ظهره في الخندق ويردد مع المؤمنين أدعية الثبات، فعن البراء بن عازب، قال: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ يَنْقُلُ مَعَنَا التُّرَابَ، وَهُوَ يَقُولُ: «وَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلَا صُمْنَا وَلَا صَلَّيْنَا، فَأَنْزَلَنَّا سَكِينَةً عَلَيْنَا، وَتَبَّتِ الْأَقْدَامُ إِنْ لَاقَيْنَا، وَالْمُشْرِكُونَ قَدْ بَعَّوْا عَلَيْنَا، إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبِينَا»⁽²⁾.

– العامل الثاني: توزيع الأعمال على جميع الأفراد بالتساوي: حيث وزع الرسول ﷺ عملية حفر الخندق على الجميع، دون تفرقة، فوكل إلى كل عشرة رجال أن يحفروا من الخندق أربعين ذراعاً⁽³⁾.

وبعد ثبات المسلمين في معركة الأحزاب أذفت البشائر وأشرققت المدينة المنورة، وتبدل الحال، فعن سليمان بن صرد، قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ أَجْلَى الْأَحْزَابِ عَنْهُ: "الآن نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ"⁽⁴⁾.

ث - غزوة تبوك

غزوة تبوك آخر غزوة خاضها النبي ﷺ ضد أكبر قوة عسكرية ظهرت على وجه الأرض في ذلك الزمان وهم الرومان، حيث وقعت في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة، وسميت بهذا الاسم نسبةً لوقوعها بجانب بئر تبوك⁽⁵⁾.

وسُميت أيضاً بالْعُسْرَة؛ لأنها جُهزت في زمن عسير، وقد عنون البخاري في صحيحه باباً يقول فيه: "عَزْوَةُ تَبُوكَ وَهِيَ عَزْوَةُ الْعُسْرَةِ، فعن أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أُرْسَلَنِي أَصْحَابِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَسْأَلُهُ الْحُمْلَانَ لَهُمْ، إِذْ هُمْ مَعَهُ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ، وَهِيَ عَزْوَةُ تَبُوكَ...."⁽⁶⁾، وأسباب عسرة غزوة تبوك ما يلي:

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (14/ 155).

(2) صحيح البخاري، كتاب القدر، باب {وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} [الأعراف: 43]، ح(6620)، (8/ 127).

(3) انظر: السيرة النبوية، راغب السرجاني، (28/ 7)، الرحيق المختوم، المباركفوري، (ص: 277).

(4) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، ح(4110)، (5/ 110).

(5) انظر: الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك، عبد القادر السندي، (ص: 38-73).

(6) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي، باب غَزْوَةُ تَبُوكَ وَهِيَ عَزْوَةُ الْعُسْرَةِ، ح(4415)، (6/ 2).

أ- إرادة قيصر الروم القضاء على قوة المسلمين قبل أن تتجسد في صورة خطر أعظم مما كانت عليه في غزوة مؤتة.

ب- عظم تجهيزات الجيش الروماني؛ لقتال المسلمين فقد كان جيشاً عرمرماً قوامه أربعون ألف مقاتل، يقوده عظماء الروم، وذلك بمساندة الغساسنة، ومنتصرة العرب.

ت- وقوع بعض الوقائع المهمة في هذه السنة مما أثار قلقاً عمّ صف المجتمع الإسلامي منها: رجم المرأة الغامدية، ووفاة النجاشي ملك الحبشة، ووفاة أم كلثوم بنت النبي ﷺ، واعتزال النبي ﷺ نسائه وقد سرى بين الناس أنه طلقهن.

ث- إرجاف المنافقين وبثهم للإشاعات المثبثة للمسلمين، قال تعالى: ﴿وَسَيُخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ [التوبة: 42].

ج- وقوع الغزوة في فصل الصيف ذو الحر الشديد، حيث كان الناس في عسرة وجذب من البلاء وقلة من الظهر، وقد بلغ العطش والتعب من المسلمين مبلغاً عظيماً.

ح- بعد المسافة المؤدية لتلاقي الجيشان، والطريق وعرة صعبة، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ [التوبة: 42].

خ- وقعت الغزوة في موسم قطف ثمار النخيل، وكان أهل المدينة يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشخوص على الحال، من الزمان الذي هم فيه (1).

لكن لم يتوان رسول الله وصحابته الكرام عن الإقدام نحو غزو الرومان في هذه الظروف الحاسمة، وأبلوا بلاء حسناً، وأروا الله من أنفسهم خيراً، فكان لهم النصر والتمكين، وأبرز عوامل ثبات المسلمين في غزوة تبوك الآتي:

1- النظرة النبوية الثاقبة لتقدير الواقع: كان النبي ﷺ ينظر إلى الظروف والتطورات بنظر أدق وأحكم من الظروف الراهنة وقتها، فهو يعلم أنه لو توانى وتكاسل، وترك الرومان، لفضوا على المناطق التي كانت تحت سيطرة الإسلام ونفوذه، وزحفوا نحو المدينة وقضوا على سمعة المسلمين العسكرية (2)، فأراد أن يحافظ دولته ويمنحها سبيلاً للصعود والارتقاء.

(1) انظر: الرحيق المختوم، المباركفوري، (ص: 396).

(2) انظر: المرجع السابق، (ص: 395).

فجعل يستتفر أصحابه الى تبوك ويحفزهم بضرورة مشاركة الجميع، قال تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: 41]، وذكر المفسرون أحوالاً عديدة في هذين الوصفين منها شباباً وشيوخاً، أو نشاطاً وغير نشاط، أو رُكباناً ومشاة، أو خفافاً من المال يعني فقراء وثقلاً يعني أغنياء، أو مُقلين من السلاح ومستكثرين منه، أو مشاغيل وغير مشاغيل، أو أصحاب مرضى، وقيل عُزَاباً ومتأهلين⁽¹⁾.

والصحيح أن هذان الوصفان عامان؛ لأن كل تلك الأحوال داخلة تحت قوله تعالى: (انفروا خفافا وثقالا) يعني على أي حال كنتم فيهما.

2- تنقية صفوف الجيش من المنافقين: لقد اختلق المنافقون الأعذار الكاذبة؛ لعدم مشاركتهم الرسول ﷺ في غزوة تبوك، فزادهم الله تشبيطاً وخذلاناً؛ لأن مشاركتهم في الغزوة أبرز عوامل الهزيمة التي لم يردّها الله للمسلمين، وشاء الحق عدم خروجهم حفاظاً على قوة المؤمنين وقدرتهم على الجهاد⁽²⁾، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: 46]، فثبطهم أي: منعهم وحبسهم، وهو مشتق من التثبيط: "وهو رد الإنسان عن الفعل الذي همّ به عن طريق تعويقه عنه ومنعه منه"⁽³⁾.

فرضوا وقعدوا مع النساء والأطفال والعجز، قال تعالى مقبلاً لفعلهم: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ [التوبة 87].

وقد علّل القرآن الكريم الحكمة الإلهية من كراهته تعالى انبعاث المنافقين ومشاركتهم في الغزوة في قوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعُفُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: 47]، والآية تحمل عدة أسباب توضح ذلك وهي:

(1) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (2/ 365).

(2) انظر: الخواطر، الشعراوي، (9/ 5162).

(3) التفسير الوسيط، الطنطاوي، (6/ 307).

• قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾، والخبال: "الفساد في الرأي والتدبير" (1).

• وقال تعالى: ﴿لَا وُضِعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ﴾ أي: لسعوا فيما بينكم بالنمائم والتضريب وإفساد ذات البين؛ ابتغاء الفتنة ونشر الأراجيف، وتشنيت شملكم وتفريقكم كما فعلوا يوم أحد (2).

3- التكافل المجتمعي لجميع أفراد المجتمع: فقد تدفق المسلمون من كل جوانب الجزيرة العربية؛ استعداداً لقتال الرومان، وتفاوت عطاءهم في هذا الظرف العسير، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: 79]، فوصف القرآن الكريم المشاركين في الغزوة بالمُطَوِّعِينَ وهو لفظ عموم في كل متصدق والمراد به الخصوص فيمن تصدق بكثير، ثم عطف عليه الفقراء الذين لا يجدون إلا ما استطاعوا عليه استحياءً، وقد تعرضوا لغمز ولمز المنافقين تثبيطاً لهم (3).

فكان عثمان بن عفان أكثر الصحابة صدقةً، حيث حفر بئر رومة وجهز جيش العسرة من ماله الخاص، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ يَحْفِرْ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ»، فَحَفَرَهَا عُثْمَانُ، وَقَالَ: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ» فَجَهَّزَهُ عُثْمَانُ (4).

وهكذا كانت غزوة تبوك نقطة البداية العملية لفتح الإسلامي لبلاد الشام، فقد جاء بعدها عمليات عسكرية متواصلة لفتح هذه البلدان، والتي خاضها خلفاء رسول الله من بعده.

الموطن الثالث: الثبات عند الممات:

إن رؤية ملك الموت تُذهب بعقل كل ذي عقل إلا أن يثبتته الله بالقول الثابت، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: 27]، والقول الثابت: "هو القول الحق، وقيل: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله" (5).

(1) أيسر التفاسير، الجزائري، (2/ 375).

(2) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (4/ 71).

(3) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (3/ 63).

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتال المناقب، بَابُ مَنَاقِبِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَبِي عَمْرٍو الْفُرَشِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ح (3694)، (5/ 13).

(5) جامع البيان، الطبري، (16/ 589).

فالأعمال بالخواص، والناس عند الموت صنفان صنف إذا نام على فراش الموت تهلل وجهه، وأساريره، فيختم له بخير فيكون قد أفلح ونجح، وصنف آخر إذا نام على فراش الموت خانه لسانه، وقلبه؛ لذلك حذر الله ﷺ عباده من زلة الأقدام في الدنيا، قال ﷺ: «لَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا» [النحل: 94]، أي: "فتزل أقدامكم عن محجة الإسلام بعد ثبوتها عليها"⁽¹⁾، ومن هذا الباب جاء الأمر الإلهي لعباده المؤمنين بالتقوى والثبات والاستقامة في الدنيا، فإن من عاش على شيء مات عليه⁽²⁾، قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

ومن صور ثبات المؤمنين عند الممات ما يلي :

أ. ثبات الصديق ﷺ عند خبر وفاة النبي ﷺ:

موت النبي ﷺ حدث جلل، وفتنة عظيمة ضربت عقر دار الإسلام، عدّها النبي إحدى شرائط الساعة، فعن عوف بن مالك، قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في فبة من آدم، فقال: "اغدو سنا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس،..."⁽³⁾.

ولما توفي النبي ﷺ وقد شخص بصره، وهو يقول: بل الرفيق الأعلى من الجنة، فخرجت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تصرخ بالمسجد، فتضارب الصحابة من هول الصدمة، فهذا عمر الفاروق ﷺ يتوعد بقطع أيدي وأرجل كل من يزعم موت النبي ﷺ، وآخر أخذ زاوية المسجد يبكي، إلا الصديق ﷺ رغم أنه أسيف القلب، لئن الجانب، إلا أنه ثبت في هذه المحنة الشديدة⁽⁴⁾، وتلا قول الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144]، وقد أقرت هذه الآية حقيقة ثابتة إلى أن الرسالة لا تقتضي البقاء، بقاء أصحابها، فقد مضى رسل من قبله وماتوا، بل تبقى ثابتة راسخة في نفوس أتباع الرسل⁽⁵⁾.

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (2/ 632).

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 141).

(3) صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب ما يُحذَرُ مِنَ الْغَدْرِ، ح(3176)، (4/ 101).

(4) انظر: سيرة ابن هشام، ابن هشام، (2/ 654-656).

(5) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، (3/ 1431).

حيث أخرجت هذه الآية الكريمة المسلمين من أوهام الأحلام إلى حقيقة الموت، ويتبين من خلال هذا الموقف ثبات الصديق ﷺ في موقف عصيب اشتد على الصحابة حتى ضجت المدينة بالبكاء من عظم أثر المصيبة (1)

ب. ثبات عثمان بن عفان عند الممات:

لما حُوصِر عثمان بن عفان ﷺ من الأوغاد المجرمين، وقد منعوا عنه الماء، ولو صبروا عليه قليلاً لمات عثمان ﷺ عطشاً، والقصة مشهورة في كتب السيرة (2)، واكتفيت بذكر موطن ثباته عند الممات، وقد رد الصحابة الذين آثروا حمايته، فخرج من في الدار ممن كان يريد الدفاع عنه، ونشر ﷺ المصحف بين يديه، وأخذ يقرأ منه، وكان إذ ذاك صائماً (3)، فقتله المنافقون وسال دمه الشريف على المصحف عند قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 137]، و تحمل الآية الكريمة معنى الثبات، وتقديره "لا تترددوا أيها المؤمنون في كفايته سبحانه إذ هو السميع لأقوالهم الباطلة الكاذبة، العليم بكفرهم ونفاقهم الكامن في قلوبهم" (4).

وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين عطرة فواحة، فقد أثبتوا جدارتهم لقيادة العالم، وذلك بالثبات أمام مغريات الدنيا وتحديها بكل إصرار، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: 185]، أي: إن لذات الدنيا وشهواتها وزينتها وزخارفها ما هي إلا متعة خادعة، لا حقيقة لها عند الامتحان، ولا صحة لها عند الاختبار، فلا تركنوا إلى الدنيا فأنتم عنها بعد قليل راحلون (5)، وقد قال تعالى فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَتَخَفُوا وَلَا تَخْزَنُوا وَابْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: 30].

وفي نهاية الحديث عن ثبات الرعيل الأول، تبين أن تلك الإشارات السريعة للوقوف على بعض مواطن الثبات في واقع الدعوة الإسلامية بين التكوين والتمكين تدل على إحكام الصناعة النبوية للشخصية المسلمة، وصياغة جيل الدعوة الفريد، من مرحلة البناء والتكوين، إلى مرحلة القيادة والتمكين، وأنه منهجٌ فريدٌ حقاً في كل مقوماته وإنجازاته التي يظهر أثرها في بناء حضارة عريقة.

(1) انظر: السيرة النبوية - راغب السرجاني (45 / 16).

(2) انظر: فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، محمد الصبحي، (1 / 231).

(3) انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، (3 / 50).

(4) الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية، الشيخ علوان، (1 / 54).

(5) انظر: جامع البيان، الطبري، (7 / 452).

المطلب الثاني

مواطن الخلخلة في المجتمع الإسلامي

إن انصهار الطوائف الجديدة أوجد تخلخلاً في بناء المجتمع المدني ناشئاً عن اختلاف مستوياته الإيمانية، فالمجتمع المدني بعد بدر كان مجتمعاً مدخولاً بعناصر جديدة تحتاج إلى تصفية وصهر وتربية⁽¹⁾، مما أوجد خلخلة في توازن المجتمع في بعض المواطن، ولإبراز مواطن الخلخلة في المجتمع الإسلامي لابد من وقفة تعريفية سريعة بالموضوع وذلك في النقاط التالية:

أولاً: تعريف الخلخلة لغةً واصطلاحاً

1. لغةً: الخلخلة:

" الخاء واللام أصل واحد يتقارب فروعه، ومرجع ذلك إما إلى دقة أو فرجة"⁽²⁾، أما الفرجة فالخلل بين الشئيين، والخلّة: الثقبّة الصغيرة، وسُميت الحاجة والفقر خلّة؛ لأنه فرجة في حاله، وخللت الخمر وغيره من الأشربة بمعنى فسدت وحمضت، وتخلله: ثقبه ونفذه، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ﴾ [التوبة: 47]، أي: لأسرعوا في الهرب خلاككم أي ما تفرق من الجماعات لطلب الخلوّة والفرار، والخلل: "الفساد والوهن في الأمر وهو من ذلك كأنه ترك منه موضع لم يبرم ولا أحكم"⁽³⁾.

2. اصطلاحاً: الخلخلة

الخلخلة: "هي حركة في اتجاهين معاكسين «خل» الأولى جهة اليمين، و «خل» الثانية جهة اليسار"⁽⁴⁾.

ثانياً: الخلخلة في القرآن الكريم

لم يرد في القرآن الكريم أي من مشتقات مادة (خلخل) صراحةً، لكن وردت آيات في ذات المعنى، وهي من اشتقاقات مادة (هزّ) ومادة (زلزل)، وهي على النحو التالي:

(1) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (1708/3).

(2) مقاييس اللغة، ابن فارس، (2/156).

(3) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (11/221-211).

(4) الخواطر، الشعراوي، (2/915).

1- اشتقاقات مادة (هز): وردت مشتقات مادة (هز) خمس مرات في القرآن الكريم (1)، وهي كالتالي:

م	الكلمة	الآية التي وردت فيها	السورة	رقم الآية	مكية أو مدنية
1	وَهَزَى	وَهَزَى إِلَيْكَ بِيَدِهِ الشَّجَلَةَ	مريم	25	مكية
2	اهْتَزَّتْ	فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ	الحج	5	مدنية
		فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ	فصلت	39	مكية
3	تَهْتَرَّتْ	فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَرَّتْ كَأَنَّهَا جَانٌّ	النمل	10	مكية
		فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَرَّتْ كَأَنَّهَا جَانٌّ	القصص	31	مكية

2- اشتقاقات مادة (زلزل): وردت مشتقات مادة (زلزل) ست مرات في القرآن الكريم (2)، وهي كالتالي:

م	الكلمة	الآية التي وردت فيها	السورة	رقم الآية	مكية أو مدنية
1	وَزُلْزِلُوا	وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ	البقرة	214	مدنية
		وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا	الأحزاب	11	مدنية
2	زَلْزَلَةٌ	إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ	الحج	1	مدنية
3	زِلْزَالًا	وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا	الأحزاب	11	مدنية
4	زُلْزِلَتْ	إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا	الزلزلة	1	مدنية
5	زِلْزَالَهَا	إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا	الزلزلة	1	مدنية

(1) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد عبد الباقي، (737).

(2) انظر: المرجع السابق، (332).

وبلاحظ من الجدولين السابقين ما يلي:

- 1- مشتقات مادة (هَزَّ) مفعمة بالحركة، وهزي أي: حركي⁽¹⁾، وتهتز يعني: "تتحرك"⁽²⁾، واهتزاز الأرض أي: الحركة على سرور، فالأرض تحركت بالنبات، فلا يكاد يقال اهتز فلان إلا إذا كان الأمر من المحاسن والمنافع⁽³⁾.
- 2- عند تأمل مشتقات مادة (زلزل) نكتشف خاصية فريدة في اللغة العربية موجودة في مشتقات (خلخل) أيضاً وهي تعبير الصوت عن واقعية الحركة، فكلمة «زلزلوا، زلزلة» مكونة من مقطعين هما «زل، زل»: أي سقط عن مكانه، أو وقع من مكانه، فالكلمة تعطينا معنى الوقوع المتكرر: وقوع أول، ووقوع ثان، والوقوع الثاني ليس امتداداً للوقوع الأول؛ ولكنه في اتجاه معاكس، فلو كانت في اتجاه واحد لجاءت رتيبة⁽⁴⁾.
- 3- وردت مشتقات (زلزل) في القرآن المدني وهذا يدل على أن الاضطراب والزلزلة كان أكثر وقوعها في العهد المدني؛ لتوفر عواملها.

ثالثاً: مواطن الخلخلة في المجتمع الإسلامي

لقد كان دخول بعض الناس في الإسلام دون أن يستقر الإيمان بالله في قلوبهم، سبباً رئيساً في اختلال توازن المجتمع الإسلامي في عدة محكات، لا سيما وقد بقيت آثار الجاهلية في قلوبهم، وبقي لها وزنها في تحريك طباعهم واتجاهاتهم وأفكارهم⁽⁵⁾.

فنتج تخلخل في بعض المواطن الهامة في تاريخ الدولة الإسلامية كشف عن عدم التناسق في المستويات الإيمانية في المجتمع المسلم، وذلك تحت تأثير عدة عوامل، ومن خلال استقراء آيات القرآن الكريم تبين أن عوامل الخلخلة برزت في المواطن التالية:

1- الخلخلة في غزوة أحد

الوعد الإلهي بالنصر لا يتعارض مع الهزيمة في بعض المواطن كيوم أحد مثلاً؛ لأن هذه الهزيمة لون من ألوان الابتلاء؛ ليمتيز قوي الإيمان من ضعيفه⁽⁶⁾، قال تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، (7/ 2405).

(2) بحر العلوم، السمرقندي، (2/ 574).

(3) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (23/ 205).

(4) انظر: الخواطر، الشعراوي، (2/ 915).

(5) انظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي، (6/ 192).

(6) انظر: المرجع السابق، (12/ 119).

قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى
الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: 151]، يقول الطبري: " وهذا وعدٌ من الله جل ثناؤه أصحاب رسول الله
ﷺ بالنصر على أعدائهم، والفلاح عليهم، ما استقاموا على عهده، وتمسكوا بطاعته" (1).

فمعركة أحد وقعت بين المسلمين وقبيلة قريش في يوم السبت السابع من شهر شوال في
العام الثالث للهجرة، حيث خرجت قريش بحدّها وجدّها وحديدها وأحابيشها، ومن تابعها،
ونسائها؛ التماس الحفيظة، وانتقاماً لما كان لهم من هزيمة يوم بدر (2).

ففي بداية المعركة وحتى انتصافها كان النصر حليف المسلمين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ
صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾ [آل عمران: 152]، لكن انقلبت الموازين من نصر
إلى هزيمة، فأصبحت غزوة أحد مصيبة على المسلمين، وبقدر الذنب تكون المصيبة، فكانت
للمسلمين بمثابة الدرس القاسي (3)، قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا﴾ [آل
عمران: 165]، وفي موضع آخر، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّتَى الْجُمُعَانَ فَبِإِذْنِ اللَّهِ
وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 166]، أي: ما كان يوم أحد من القتل والجرح والهزيمة كان
بقضائه وقدره؛ ليميز من يعمل لأجل دين الله وطاعته عن سواه (4)، والمؤمنون هم: " الذين
صبروا وثبتوا ولم يتزلزلوا" (5).

وعلى ذلك فإن مصيبة المسلمين في أحد كانت بسبب خللٍ في الطاعة عند بعض
المسلمين، فأسفرت عن تنقية الصف الداخلي لهم، ومن أبرز عوامل الخللة في غزوة أحد ما
يلي:

أ. مرض النفاق:

أحدث انخزال المنافقين في بداية الغزوة الخلل الأول للغزوة وذلك أن رسول الله ﷺ لما
خرج إلى أحد في ألف رجل حتى إذا كان بالشوط بين أحد والمدينة انخزل عبد الله بن أبي ابن
سلول بثلاث الناس وقال: ما ندري علام نقتل أنفسنا فرجع بمن معه من المنافقين الذين أظهروا

(1) جامع البيان، الطبري، (7/ 279).

(2) انظر: سيرة ابن هشام، ابن هشام، (2/ 61).

(3) انظر: السيرة النبوية، راغب السرجاني، (1/ 25).

(4) انظر: معالم التنزيل، البغوي، (2/ 130).

(5) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (2/ 159).

كلمة الإسلام وأخفوا الكفر⁽¹⁾ ، قال تعالى فيهم: ﴿لِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: 167]، حيث كان الأمر لهم بالمشاركة في الغزوة؛ حتى يدفعوا العدوّ بتكثير سواد المسلمين إن لم يقاتلوا فعلياً، أو ليدافعوا عن أهلهم وبلدّهم وحرّيمهم، فهم لأهل الكفر أقرب نصرةً منهم لأهل الإيمان؛ لأنّ تقليل سواد المسلمين بالانخزال تقويةً للمشركين⁽²⁾.

ثم أكمل الوصف القرآني لحال المنافقين في المعركة في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَعْطَاؤُنَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: 168]، أي: لو سمعوا من مشورتنا عليهم في القعود وعدم الخروج ما قُتلوا مع من قُتل وفي هذا دلالة على أنهم نصحوهم بالتراجع.... فرد الله تعالى قولهم: قل يا محمد لهم إن كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت، فينبغي أنكم لا تموتون، والموت لا بد آت إليكم، ولو كنتم في بروج مشيدة، فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين⁽³⁾.

ب. العجز النفسي عن الصبر والاحتمال:

وعد الله ﷻ عباده بالنصر وعداً مشروطاً باعتصام حبل الله واتباع أوامر نبيه⁽⁴⁾، وعلى الرغم من التحذير الإلهي لهم، إلا أنهم أصيبوا بمرض لم يعهدهو آنفاً، وهو مخالفة أوامر القيادة والتي ترتب عليها الفشل والتنازع، وقد أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: 152]، أي: "إذا ضعفت نفوسكم وعجزتم عن مقاومة أهوائكم، وتنازعتم فيما بينكم، أنتبع الغنائم نجمعها، أم نطيع الرسول؟، وانتهى أكثركم إلى العصيان من بعد ما أراكم الله ما تحبون من نصر مؤزر ثابت أو من غنائم تحبونها، وتهواها أنفسكم"⁽⁵⁾.

عَنِ الْبِرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَقِينَا الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ، وَأَجْلَسَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشًا مِنَ الرِّمَاءِ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ، وَقَالَ: «لَا تَبْرَحُوا، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلَا تَبْرَحُوا، وَإِنْ

(1) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (1/ 316).

(2) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (2/ 110).

(3) التفسير المنير، الزحيلي، (4/ 156).

(4) انظر: جامع البيان، الطبري، (7/ 279).

(5) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (3/ 1453).

رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلَا تُعِينُونَا» فَلَمَّا لَقِينَا هَرَبُوا حَتَّى رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ فِي الْجَبَلِ، رَفَعْنَ عَن سُوقِهِنَّ، قَدْ بَدَتْ خَالَخُلُهُنَّ، فَأَخَذُوا يَقُولُونَ: الْعَنِيمَةَ الْعَنِيمَةَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: عَهْدٌ إِلَيَّ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ لَا تَبْرَحُوا، فَأَبَوْا، فَلَمَّا أَبَوْا صُرِفَ وُجُوهُهُمْ، فَأَصِيبَ سَبْعُونَ قَتِيلًا (1).

ت. إشاعة مقتل الرسول ﷺ:

أُطلق أثناء المعركة صيحة اشتهرت عند المسلمين باسم صرخة الشيطان (2)، كانت بمثابة بوق إشاعة كاذبة بمقتل النبي ﷺ، ففي هذا الطرف الدقيق الذي خارت فيه عزائم كثير من الصحابة المطوقين، وانهارت معنوياتهم، حتى وقع داخل صفوفهم ارتباك شديد، وعمتها الفوضى والاضطراب، (3) وفي وصف تلك الحالة المُخلخلة للصف الداخلي للمسلمين قال تعالى: ﴿فَأَنَابَكُمْ عَمَّا بَعِمَ لَكِنِّيلاً تَحَزُّنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ [آل عمران: 153]، قال ابن كثير: " الغم الأول بسبب الهزيمة، والثاني: حين قيل: قُتل محمد ﷺ، كان ذلك عندهم أعظم من الهزيمة" (4).

وعلى الرغم من ثبات رسول الله ﷺ وثلة من صحابته الكرام، وقد تميزوا بالثبات وحُسن البلاء في الغزوة، إلا أن الفترة التي أعقبت غزوة أحد كانت فترة عصيبة جداً على الدولة الإسلامية، حيث اهتزت هيبتها بصورة جعلت الكثير من الأعداء يطمعون فيها سواء من داخل المدينة أو خارجها (5)؛ لذلك احتاجت إعادة ترتيب للصف الداخلي وتحديد العلاقات الخارجية.

2- الخلخلة في غزوة حُنين:

بدأت عوامل الخلخلة تزداد تكشفاً بعد فتح مكة، وهي فترة ازدهار وانتشار الإسلام داخل الجزيرة العربية وخارجها، حيث فرغ ﷺ من فتح مكة، وتمهدت أمورها، وأسلم عامة أهلها (6)، ففي العام الثامن للهجرة، اجتمع المسلمون في وادي حُنين رداً على عدوان قبيلتي هوازن وتقيف اللتان تأمرتتا على المسلمين بقيادة مالك بن عوف، فخرج الرسول عليه الصلاة

(1) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، ح(4043)، (5/ 94).

(2) الصارخ: هو الشيطان، انظر: سيرة ابن هشام، ابن هشام، (2/ 78)، السيرة الحلبية، الحلبي، (2/ 309).

(3) انظر: الرحيق المختوم، المباركفوري، (ص: 247).

(4) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (2/ 143).

(5) انظر: السيرة النبوية، راغب السرجاني، (28/ 2).

(6) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (4/ 125).

والسلام إليهم؛ لكسر شوكتهم ومنع مخططاتهم للقضاء على الإسلام، بعد أن طهر مكة من الأصنام⁽¹⁾، و لزيادة ثقة المسلمين بأنفسهم وتثبيت أركانهم.

وفي وصف الحالة النفسية للمسلمين في غزوة حنين قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا ۖ﴾ [التوبة: 25]، في هذا الموضع يُذكر تعالى المؤمنين بفضلهم وإحسانه عليهم ونصره إياهم في مواطن كثيرة، وقد كانوا من الذلة والقلّة والانكسار بحال لا يتخيل معها نصرهم وظهورهم على جميع الكفار فهم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، حتى اعتلوا مدارج الصعود والقوة، فأصابهم العجب والغرور⁽²⁾، فكانت الهزيمة عقوبة على هذا الغرور والعجب وتربية للمؤمنين حتى لا يغتروا بالكثرة⁽³⁾.

ولما التقى الجمعان حملت هوازن على المسلمين حملة واحدة، فاشتدت عليهم الأزمة، ورأوا من التخاذل والفرار فتراجعوا ولم يبق مع رسول الله إلا نحو مائة رجل، ثبتوا معه وجعلوا يقاتلون المشركين، والنبي يركض ببغلته مفرقاً جمع العدو⁽⁴⁾.

ومن هذه الواقعة يتبين أن العامل الأكبر للخلخة وفقدان التوازن هو العجب والغرور، قال تعالى معنفاً للمسلمين: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: 25]، قال القرطبي: "كانوا اثني عشر ألفاً وقيل: أحد عشر ألفاً وخمسائة، وقيل: ستة عشر ألفاً، فقال بعضهم: لن نغلب اليوم عن قلة، فوكلوا إلى هذه الكلمة، فكان ما ذكرناه من الهزيمة في الابتداء إلى أن تراجعوا"⁽⁵⁾.

لكن بثبات المخلصين وببركة سيد المرسلين انقلبت الهزيمة إلى النصر والظفر للمسلمين، فعن أبي إسحاق قال: قِيلَ لِلْبِرَاءِ: وَأَنَا أَسْمَعُ أَوْلَيْتُمْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ فَقَالَ: أَمَّا النَّبِيُّ ﷺ فَلَا، كَانُوا رُمَاةً، فَقَالَ: «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»⁽⁶⁾، ثم أمر النبي

(1) انظر: سيرة ابن هشام، ابن هشام، (2/ 439-437).

(2) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (8/ 423).

(3) تفسير المراغي، المراغي، (10/ 86).

(4) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 332).

(5) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (8/ 100).

(6) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ. ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ [التوبة: 26] إِلَى قَوْلِهِ ﴿عَفْوَرٌ رَجِيمٌ﴾ [البقرة: 173]، ح(4316)، (5/ 153).

العباس بن عبد المطلب أن ينادي في الأنصار وبقية المسلمين، وكان رفيع الصوت، فناداهم: يا أصحاب السمرة، يا أهل سورة البقرة، فأجاب المسلمون النداء، وعطفوا عطفة رجل واحد، فاجتلدوا مع المشركين وهزموهم هزيمة شنيعة

3- خلخلة النفوس عند وفاة النبي ﷺ:

تحدثنا عن ثبات الصديق (1) في تقبل خبر وفاة النبي ﷺ، في مقابل الخلخلة النفسية التي عصفت بجمهور الصحابة الكرام، وضربت قلب عاصمة النبوة، ومن أبرز عوامل الخلخلة التي كشفت عن مواطن الخلل ما يلي:

أ- الصدمة النفسية بفقد الأحباب: فقد اضطرب الصحابة اضطراباً شديداً حتى دُهل بعضهم ولم يستطع التفكير، وقعد بعضهم ولم يستطع القيام، وسكت بعضهم ولم يستطع الكلام، وأنكر بعضهم ولم يستطع التصديق، فقد أظلمت وكان موته فتنة حقيقة للأمة الإسلامية(2).

وبإلقاء النظر على موقف الفاروق عمر ؓ يظهر حجم المصيبة التي أحلت بالمدينة المنورة، فقد " وقف عمر بن الخطاب وقد أخرجه الخبر عن وعيه، يقول: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ توفى، وإن رسول الله ﷺ ما مات، لكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات، والله ليرجعن رسول الله ﷺ ، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات" (3).

لذلك حث المولى ﷺ أهل الإسلام بالصبر والثبات عند المصائب الشداد، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 156]، يقول ابن عطية: وعد الله الصابرين أجراً على الابتلاء، وهذا يعلمنا أن الدنيا دار بلاء ومحن، أي: فلا تنكروا فراق الإخوان والقرابة(4)، فسرعان ما عاد إلى رشدهم وهدأ روعهم، وانشغلوا بتغسيل وتكفين ودفن النبي ﷺ.

ب- الردة والتمرد على الحق: إن وفاة النبي ﷺ أحدثت شرخاً عميقاً في عضد المجتمع الإسلامي، حيث بدأ أهل النفاق بالالتصّل من أحكام الإسلام وشرائعه، وادعى بعضهم النبوة

(1) انظر: هذه الدراسة، (173).

(2) انظر: السيرة النبوية، راغب السرجاني، (14 / 45).

(3) انظر: سيرة ابن هشام، ابن هشام، (2 / 655)، الرحيق المختوم، المباركفوري، (ص: 405).

(4) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (1 / 227).

منهم مسيلمة الكذاب والأسود العنسي وسجاح وغيرهم، وكادوا يُحدثون عصفاً في وحدة الأمة الإسلامية، فارتدت الجزيرة العربية كلها، ولم يثبت إلا مجتمع المدينة المنورة الذي مثل القاعدة الصلبة، فثبتت أهل الحق وتمسكهم بالثوابت والرد الحازم والصارم من الخليفة آنذاك حافظ على وحدة كلمة الإسلام وأعاد التوازن الحقيقي للمجتمع بعد انتصاره على المرتدين في حروب الردة⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء: 84]، "فساعد ذلك على حفظ التصور الإسلامي من التحريف والتشويه، وتجريد الرؤية الإسلامية من العصبية الجاهلية، والولاء المختلط، والتأكيد على أن القوة الإسلامية لا ترتبط بالعدد ولا العدة، ولكن بقوة الإيمان والروح المعنوية"⁽²⁾.

وعليه فإن تداخل كيان المجتمع الإسلامي في بعض المواطن، كشف عن قلة التناسق بين المستويات الإيمانية، الذي أنتج ظواهر وأعراض من الشح بالنفس والمال، ومن النفاق والضعف، والتردد في الواجبات والتكاليف، والخلط وعدم الوضوح في تصور العلاقات⁽³⁾، وهذا أمر متجدد في كل عصر؛ لذلك وجب علينا حُسن اقتناء أثر الرعيل الأول في الثبات والحزم والصرامة في الحق.

(1) انظر: الخواطر، الشعراوي، (3/ 1841).

(2) موقف الصحابة من أحداث العنف في عهد الخلفاء الراشدين، د. حصة بنت عبد الكريم الزيد، (ص: 17).

(3) انظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي، (6/ 192).

الفصل الثاني

الصعود الحضاري للإسلام ومدى توافق

بعض الحضارات المذكورة في القرآن

للقوانين القرآنية

المبحث الأول

الصعود الحضاري للإسلام مفهومه ومميزاته وأثر عوامله في ازدهار الحضارة الإسلامية

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

مفهوم الصعود الحضاري

رسم الإسلام للناس المنهاج القويم الذي يكفل لهم إحراز السبق في شتى الميادين الحضارية، سبقاً عظيماً يقوم على التطوير والتحسين والابتكار والتنافس، فأُنزل لهم الشرائع والأحكام الكفيلة بأن تقيم لهم مجتمعاً إنسانياً فاضلاً، إذا التزموا بتطبيقها، وترك لهم مجالاً واسعاً للاستزادة من النظم الحضارية التي أذن لهم بأن يتابعوا تطويرها وتحسينها بحسب ما تقضي به مصالح معاشهم ورفاهيتهم، وحثهم في جانب كل ذلك على العمل والإتقان والانتفاع بكنوز الأرض والسماء، وبذلك تكون الحضارة الإسلامية معنية بالبدء من القمة؛ نظراً لشرف الغاية التي تسعى إلى تحقيقها من مراتب الحضارة الإنسانية⁽¹⁾.

أولاً: مفهوم الصعود من المنظور اللغوي والاصطلاحي والقرآني

1- تعريف الصُّعود لغةً: مصدر مشتق من (صعد)، "الصاد والعين والذال أصل صحيح يدل على ارتفاع ومشقة"⁽²⁾، يقال: صعد الجبل وصعد السلم وفيه صُعوداً وأصعد وصعد أي: ارتقى مشرفاً، ومصعد: مرتفع عال، والصعدت: الطرق، والواحد صعيد، والصعود: الطريق صاعداً، وهو ضد الهبوط، والصعيد: وجه الأرض، ومنه الصعدة من النساء أي: المستقيمة القائمة⁽³⁾.

(1) انظر: الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، عبد الرحمن بن حسن حَبَّكَّة الميداني، (ص: 23).

(2) مقاييس اللغة، ابن فارس، (3/ 287).

(3) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (3/ 251)، مقاييس اللغة، ابن فارس، (3/ 287)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (1/ 514)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، (1/ 340).

2- تعريف الصُّعود اصطلاحاً: الصعود في الاصطلاح لم يخرج عن المعنى اللغوي، وهو بمعنى: الطلوع والاطلاع، وضده الأفلو⁽¹⁾، والارتفاع والرفع من أسفل إلى أعلى⁽²⁾، والارتقاء⁽³⁾، والعروج⁽⁴⁾، والإعلاء والعلو⁽⁵⁾.

3- لفظ الصعود ونظائره في القرآن الكريم

أ- لفظ الصعود في القرآن: وردت مشتقات لفظ الصعود في القرآن الكريم في تسع مواضع⁽⁶⁾، نحو قوله تعالى: ﴿يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾، وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾، بمعنى الارتفاع، يقول الطبري: الصعود يكون على الجبال والسهال والدرج بمعنى الارتفاع والارتفاع على الشيء علواً⁽⁷⁾، ومنه سُمي التراب صعيداً؛ لأنه يعلو الأرض قال الزمخشري: "الصعيد وجه الأرض تراباً كان أو غيره"⁽⁸⁾.

ب- نظائر لفظ الصعود في القرآن: ولقد ورد في القرآن بمعاني متعددة تدور حول النقاط التالي:

1- الطلوع والاطلاع: لفظ مشتق من مادة (طلع)، يقول ابن فارس: "الطاء واللام والعين أصل واحد صحيح، يدل على ظهور وبروز، ومنها طلوع الشمس من مشرقها قال تعالى: ﴿وَسَيِّحُ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: 130]، أي ظهرت وبرزت من علو وارتفاع.

2- الارتفاع والرفع: لفظ مشتق من مادة (رفع)، والرفع خلاف الخفض، ومنه رفعت الأمر إلى السلطان رفعاً، والرفع في الأجسام حقيقة دلالة على الحركة والانتقال، أما في المعاني محمول على ما يقتضيه المقام، ورفع الرجل في حسبه ونسبه فهو رفيع مثل شرف فهو

-
- (1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (19 / 20)، مفاتيح الغيب، الرازي، (13 / 45)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (3 / 415)، التحرير والتنوير، ابن عاشور، (6 / 144)،
 - (2) انظر: الخواطر، الشعراوي، (1 / 578)، صفة التفاسير، الصابوني، (1 / 214)، التفسير الوسيط، الطنطاوي، (11 / 145)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 486).
 - (3) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (20 / 107)،
 - (4) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (14 / 26)، التفسير الوسيط، الطنطاوي، (11 / 145).
 - (5) انظر، الخواطر، الشعراوي، (7 / 3932)،
 - (6) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، (408).
 - (7) انظر: جامع البيان، الطبري، (7 / 300).
 - (8) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (1 / 514).

شريف⁽¹⁾، ووردت مشتقات مادة (رفع) في تسع عشرين موضعاً في القرآن الكريم⁽²⁾، وجاءت على ضربين هما كالتالي:

أ- **الرفع الحسي**: ومنها قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: 2]، فالسمااء مقببة على الأرض مثل القبة ليس من دونهما دعامة تدعمها من تحتها ولا يوجد من فوقها علاقة تمسكها⁽³⁾.

ب- **الرفع المعنوي**: ومنها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [الأنعام: 165]، قال النسفي: "رفع بعضهم على بعض في الشرف والرزق وغير ذلك"⁽⁴⁾.

3- **الارتقاء والرقى**: لفظ مشتق من مادة (رقى)، يقول ابن فارس: "الراء والقاف والحرف المعتل أصول ثلاثة متباينة أحدهما الصعود... يقال رقيت في السلم أرقى رقياً"⁽⁵⁾، كما وردت مشتقات اللفظ في القرآن الكريم في خمسة مواضع⁽⁶⁾، منها قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ [ص: 10]، فيه إنكار وتوبيخ من الله ﷻ للمستهزئين برسالة النبي، يقول الرازي: "أي ارتقوا في الأسباب واصعدوا في المعارج التي يتوصل بها إلى العرش حتى ترتقوا عليه وتدبروا أمر العالم وملكوت الله إن استطعتم"⁽⁷⁾.

4- **العروج**: لفظ مشتق من مادة (عرج)، يقال: عرج في السلم أي: ارتقى، والمعارج: المصاعد⁽⁸⁾، ووردت مشتقات اللفظ (عرج) في سبعة مواضع في القرآن الكريم⁽⁹⁾، منها قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: 4]، وتعرج بمعنى تصعد الملائكة والأرواح الصالحة بعد قبضها، في يوم

(1) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، (1/ 232).

(2) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، عبد الباقي، (323).

(3) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (3/ 3).

(4) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (1/ 553).

(5) مقاييس اللغة، ابن فارس، (2/ 426).

(6) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، (324).

(7) مفاتيح الغيب، الرازي، (26/ 370).

(8) انظر: مختار الصحاح، زين الدين الرازي، (ص: 204).

(9) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، (456).

سماوي مسافته ما بين العرش العظيم إلى أسفل السافلين، وذلك مسيرة خمسين ألف سنة أرضية، وهذا ارتفاع العرش عن المركز الذي في وسط الأرض السابعة (1).

5- **العلو والاعتلاء:** لفظ مشتق من مادة (علو)، قال ابن فارس: "العين واللام والحرف المعتل ياء كان أو واواً أو ألفاً، أصل واحد يدل على السمو والارتفاع، لا يشذ عنه شيء، ومن ذلك العلاء والعلو" (2)، حيث وردت مشتقات مادة (علو) في سبعين موضعاً قرآنياً (3)، منها ما جاء على المعنى الحقيقي في سياق إثبات صفة العلو لذات الله ﷻ، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ عُلوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٣]، وما جاء في سياق وصف الجنة قال تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الحاقة: 22].

ومنها ما جاء على المعنى المجازي بعدة معاني منها الاستكبار والبغي والظلم والشرك (4)، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤]، منها بمعنى النصر والغلبة والعزة (5)، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: 139]

ثانياً: مفهوم الحضارة من المنظور اللغوي والاصطلاحي والقرآني.

1- لغة:

الحضارة: "مصدر مشتق من (حضر)، الحاء والضاد والراء إيراد الشيء، ووروده ومشاهدته" (6)، وأصلها في اللغة الإقامة في الحضر، ومنه الحضر خلاف البدو، فيقال أهل الحاضرة وأهل البادية (7)، وفي تاج العروس: "الحضارة والحضرة هي المدن والقرى والريف، سميت بذلك؛ لأن أهلها حضروا الأمصار، ومساكن الديار، والتي يكون لهم بها قرار" (8).

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (8/ 221).

(2) مقاييس اللغة، ابن فارس، (4/ 112).

(3) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، (482).

(4) انظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، (3/ 395).

(5) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (1/ 301).

(6) مقاييس اللغة، ابن فارس، (2/ 75).

(7) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (4/ 196)، مقاييس اللغة، ابن فارس، (2/ 75)، المصباح المنير في

غريب الشرح الكبير، الفيومي، (1/ 140).

(8) تاج العروس، الزبيدي، (11/ 40).

وإن كان أصل الحضارة لغةً هو إقامة مجموعة من الناس في الحضر ومواطن العمران، فإن المعنى قد توسع عند المؤرخين والباحثين الاجتماعيين حتى صار شاملاً لجميع أنواع التقدم المادي والمعنوي، وأشكال الرقي الإنساني⁽¹⁾، وهذا رأي الدكتور عبد الرحمن الميداني، ونواقفه الرأي؛ لأن مفهوم الحضارة واسع يضم أشكالاً وصوراً كثيرة.

2- اصطلاحاً:

لقد اختلف الباحثون في تحديد مفهوم الحضارة، فتعددت التعريفات، وتنوعت تبعاً لذلك دلالاتها، ومرد الاختلاف يرجع إلى اختلاف الاهتمامات، والثقافة، والبيئة، والأحوال الاجتماعية والاقتصادية للمفكرين، فتعريفاتهم تعكس الأفكار والنظريات التي تبناها⁽²⁾، وهي كالتالي:

أ- عرفها ابن خلدون في مقدمته: الحضارة: "إنما هي تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه"⁽³⁾.

إن تعريف ابن خلدون غير محدد المعالم والضوابط؛ لأنه عرف الحضارة بذكر مظاهرها، حيث عدّ ابن خلدون الترف وما يتبعه من العمران المادي هو صلب الحضارة حين قال: "البناء، واختطاط المنازل إنما هو من منازع الحضارة التي يدعو إليها الترف، والدعة"⁽⁴⁾، والصحيح هو لون من ألوان الحضارة.

ب- وعرفها د. مصطفى حلمي⁽⁵⁾ بتعريفين هما:

الأول: هي طرق الثقافة والقيم الأخلاقية والآداب والفنون.

(1) انظر: الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، عبد الرحمن الميداني، (ص: 19).

(2) انظر: الحضارة الإسلامية، أحمد السايح، (ص: 70).

(3) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، (1/ 216).

(4) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (3/ 144).

(5) مصطفى محمد حلمي: [وُلِد: 1932م]، أستاذ الفلسفة الإسلامية، اهتم بالدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة، له الكثير من المؤلفات الإسلامية المعاصرة والفكر السياسي الإسلامي، ونال عنها جائزة الملك فيصل العالمية في الدراسات الإسلامية (عام 1987)، انظر: موقع إسلام أون لاين، باختصار يسير.

الثاني: هي المنجزات والأعمال التي حققها الإنسان في مجال التشييد والبناء والإنتاج الصناعي والزراعي، أو بعبارة أخرى (التكنولوجيا) أي استخدام النتائج المكتشفة بالتجارب العلمية في مجالات الحياة المختلفة والاستفادة منه (1).

في هذا التعريف تبين أن الباحث ركز فيه على جانبين هما الجانب الثقافي والجانب الإنتاجي للحضارة، وأغفل الجانب الأهم وهو الجانب الروحي والعقائدي، والذي يعد أساس الحضارات وأبرز عوامل صمودها وصعودها.

ت - الحضارة:

"هي محاولات الإنسان الاستكشاف، والاختراع، والتفكير، والتنظيم، والعمل على استغلال الطبيعة؛ للوصول إلى مستوى حياة أفضل، وهي حصيلة جهود الأمم كلّها" (2).

في هذا التعريف جعل الباحث الحضارة هي الإنتاج، وخص به إنتاج الإنسان المادي باعتبار الإنسان، مكتشفاً، ومخترعاً لحياة أفضل.

ث - الحضارة:

"هي نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وإنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون؛ وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق" (3).

هذا التعريف غير كافٍ للدلالة على مفهوم الحضارة؛ لأن النظام الاجتماعي جزء من الحضارة وليس كلها.

ج - عرفها المفكر الجزائري مالك بن نبي (4):

"هي جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر لكلِّ عضوٍ فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوره" (5).

(1) انظر: منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين، د. مصطفى حلمي، (ص: 254).

(2) الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، شوقي أبو خليل، (ص: 20).

(3) قصة الحضارة، ويليام جيمس ديورانت، (1/ 3).

(4) مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (المتوفى: 1393هـ): من أعلام الفكر الإسلامي في القرن العشرين، يُعدّ المفكر الجزائري مالك بن نبي أحد رُؤاد النهضة الفكرية الإسلامية في القرن العشرين ويُمكن اعتباره امتداداً لابن خلدون، حيث شرع يؤلف في قضايا العالم الإسلامي، انظر: أعلام النهضة العربية والإسلامية في العصر الحديث، صلاح أحمد، (ص: 179).

(5) مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مالك بن نبي، (ص: 42).

يعتبر تعريف مالك بن نبي من أشمل وأقرب تعريفات الحضارة؛ لأن الحضارة تضم أمرين الفكر والمدنية، فالحضارة الإسلامية تكونت من انعكاس الفكر على السلوك الفردي والجماعي للمجتمع، سواء كان ذلك على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعمراني، فالحضارة كل نتاج روحي ومادي يُنسب إلى الشعوب.

3- لفظ الحضارة في القرآن الكريم:

الحضارة كلمة مستحدثة لم ترد في القرآن الكريم صراحةً مطلقاً، بل ذُكر مجالاتها ومظاهرها، (حضر) وردت بمعنى الحضور والمشاهدة في خمس وعشرين موضعاً في القرآن الكريم⁽¹⁾.

ثالثاً: تعريف الصعود الحضاري

وبناءً على ما تقدم ذكره يمكن للباحثة تعريف الصعود الحضاري: بأنه (السبق والتميز الفكري والمادي لمجموعة الأنظمة المجتمعية المختلفة، التي تساعد على نهضة المجتمع، وتأقلم أفرادها مع مستجدات الحياة، في ظل مقدرات الدولة المتوفرة كالموارد الطبيعية والاقتصادية، والعمل على تنميتها).

(1) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد عبد الباقي، (ص: 206).

المطلب الثاني

مميزات الحضارة الإسلامية

الحضارة الإسلامية: "هي ما قدمه الإسلام للمجتمع البشري من قيم ومبادئ، وقواعد ترفع من شأنه، وتمكنه من التقدم في الجانب المادي وتيسر الحياة للإنسان" (1).

كما أنها عبارة عن حلقة من سلسلة الحضارات الإنسانية المتتابعة، فقد عدلت خط سير من سبقها وكانت الأساس لمن بعدها، وتتضح مميزات الحضارة الإسلامية في الآتي:

أولاً: حضارة ربانية المصدر:

أول ميزة امتازت بها الحضارة الإسلامية قوة المصدر، فمصدرها الأساس الوحي الذي يغرس في النفوس والقلوب والعقول حقيقة الإيمان بالله وتوحيده، بشكل يضيف على كل النظم الطابع التوحيدي الإيماني، فالإسلام دينٌ رحب يدعو إلى سبيل العقل، في حدود النقل (2)، ويتمثل الوحي بالقرآن الكريم والسنة، وقد أمر المولى ﷺ بلزوم الطاعة وحسن الاستجابة لأوامره، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [محمد: 33].

ثانياً: حضارة إنسانية النزعة:

الإنسان أساس الحضارة ولا حضارة بلا إنسان؛ لذلك جاءت الحضارة الإسلامية لتخاطب كل الناس بلسان واحد، وتكرم بني آدم جميعاً، حيث ضمت بين جناحيها أجناساً مختلفة وأعطتهم فرصاً متساوية قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات 13] ، أي: "كلكم من آدم وحواء فما منكم من أحد إلا وهو يدلي بمثل ما يدلي به الآخر سواء بسواء فلا معنى للتفاخر والتفاضل في النسب" (3) ، ومن هذا الباب ساهم الجميع في صناعة ألوان التقدم والحضارة، فافتخرت الحضارة الإسلامية بهم جميعاً، لاسيما وقد اعتنت ببناء الإنسان نفسياً وعقلياً وجسدياً وسلوكياً منذ الطفولة، وزرعت في نفسه أهدافاً عالمية الرسالة يسعى لتحقيقها.

(1) مقال بعنوان (الحضارة الإسلامية مفهومها وأهميتها وأنواعها)، راغب السرجاني، موقع قصة الإسلام،

<https://islamstory.com>

(2) انظر: الحضارة الإسلامية، أحمد السايح، (ص: 71).

(3) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (3/ 356).

فهي التي ارتقت بنفسية بلال الحبشي، ذلك العبد الأسود الذي كان لا يفقه من الحياة شيئاً غير العبودية والاستسلام، وهي التي ارتقت بنفسية أبو هريرة راعي الغنم، فأصبح محدثاً وروياً عن رسول الله ﷺ، هكذا رسخ الإسلام معنى الحضارة عند البشر بدلاً من حصر هذا المفهوم الراقي في الحجارة والاختراعات المادية فقط.

ثالثاً: حضارة عالمية الأفق والرسالة:

تميزت الحضارة الإسلامية بالعالمية انبثاقاً من عالمية رسالة الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، وهذه الآية الكريمة تدلّ على عالميّة الإسلام وشمولية رسالته للناس كافة، فمن مقاصد الرسالة المحمدية وأهدافها شمول الرحمة للناس، فقد كان النبي ﷺ رحمةً في الدين والدنيا، وقد أخرج الناس من الجاهلية والضلالة، بعدما كانوا في حيرة من أمر دينهم لطول مكثهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف بينهم (1).

فهي التي احتضنت بين ذراعيها جميع الأجناس والأعراق، منهم سلمان الفارسي الصحابي الجليل أول أهل فارس إسلاماً، الذي افتدى الإسلام بروحه، وأمدّه بفكره، والذي أشار على النبي محمد ﷺ بحفر الخندق؛ لحماية المدينة في معركة الأحزاب، أما صهيب بن سنان، رومي الأصل، حسن الإسلام ذو مناقب عظيمة، فقد أوصى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يكون إماماً للمسلمين في الصلاة بعده حتى ينهض الخليفة الجديد بأعباء مهمته، فقد اختاره وهو يعلم أن في لسانه عجمة، فكان هذا الاختيار من تمام نعمة الله على عبده الصالح صهيب بن سنان.

رابعاً: حضارة راقية الأصول:

جاءت الحضارة الإسلامية بأصولٍ راقية، ومن أفضل ما ذكر في بيانها ما ذكره الزحيلي في تفسيره المنير، حيث ذكر أصولاً أربعة للحضارة الإسلامية (2) وهي:

الأصل الأول: العمل الصالح ابتغاء ثواب الآخرة: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: 7]، يرى الرازي أن هذه الآية إشارة للمؤمنين إلى أنهم أقاموا

(1) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (22 / 193).

(2) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (20 / 163).

سوق الإسلام حال كساده، وبذلوا الأموال والمهج لأجله، ولهذا السبب استحقوا الفضيلة العظمى ثواب الدنيا والآخرة (1).

الأصل الثاني: عمارة الدنيا بإتقان: قال تعالى: ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 105] ، وقد ضرب القرآن الكريم مثلاً فريداً في إتقان عمارة الأرض وهو إتقان ذي القرنين في بنائه السد، قال تعالى على لسان ذي القرنين: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ﴾ [الكهف: 94-95]، أي: وأما السد فقد بناه ذو القرنين من الحديد والنحاس وساوى به الجبال الشامخات الطوال، فلا يُعرف على وجه الأرض بناء أجل منه ولا أنفع للخلق منه في أمر دنياهم (2)، فلو قيل ما هو أنفع بنيان في العالم، فهو سد القرنين وهذا دليل على أن الإتقان سبب في نجاح عمارة الأرض والنهضة بها.

الأصل الثالث: الإحسان إلى الناس: والإحسان أعلى مراتب الدين، وهو الإحكام والتجويد في المعاملة إحساناً مادياً ومعنوياً أو خلقياً، ويكون في الأعمال والأخلاق والتفضل على الفقراء (3). قال تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: 195]، والإحسان يكون في الإنفاق، وحسن الظن بالله، وأداء الفرائض (4).

الأصل الرابع: قمع الفساد والعصيان والخراب: قال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ [الأعراف: 56]، أي " بعمل المعاصي بعد إصلاحها بالطاعات، فإن المعاصي تفسد الأخلاق والأعمال والأرزاق" (5)؛ لذلك جاءت الحدود صارمة والتشريعات قاضية لكل من أثار الفساد والإفساد في الأرض.

خامساً: حضارة ثابتة الأسس والمبادئ:

تميزت الحضارة الإسلامية بثبات الأسس والمبادئ، حيث تضمنت قواعد رصينة تكفل بقيام المجتمع الإنساني من التشريعات الفردية، والعلائق الأسرية، والمعاملات الاقتصادية

(1) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (32/ 248).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (5/ 196).

(3) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (1/ 205).

(4) انظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، (1/ 158).

(5) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 292).

والحربية، والقوانين المدنية، والأنظمة الدولية⁽¹⁾، ومن أبرز ما يميز الأسس والمبادئ التي قامت عليها الحضارة ما يلي:

أ- **الوحدانية المطلقة:** ارتكزت حضارتنا الإسلامية على أساس عقدي صافي المنبع ثابت المنهج، وانطلقت منه فروع حضارية وألوان زاهية للمجتمع الإسلامية، حيث تميزت بالتوحيد المطلق لله رب العالمين، فهي أول حضارة تتادي بالآله الواحد الذي لا شريك له في حكمه ومملكه⁽²⁾، وجاءت آيات القرآن الكريم زاخرة بمعنى التوحيد، منها قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: 19].

ب- **شمولية التصور:** يقول سيد قطب: "لا بدّ للمسلم من تفسير شامل للوجود، يتعامل على أساسه مع هذا الوجود"⁽³⁾، والحضارة الإسلامية تعاملت مع هذا الوجود بكل جوانبه المكونة له (الكون والحياة والإنسان) بشكل شامل ومتوازن، ومن هذا الباب قالوا أن الحضارة هي: "الصورة الحاضرة التي يبدعها الإنسان لما يعتقد في الكون، والحياة"⁽⁴⁾، وخالصة العلاقة الثلاثية الشاملة للتصور الإسلامي الحضاري: هو أن الإنسان مخلوق مكرم مميز، خلق لغاية وهدف؛ لذلك وجه مسار حياته بشكل مستقيم، وسُخر له كل ما في الكون لخدمة مشروع الإسلام الحضاري للوجود أجمع، وقد كان القرآن الكريم متميزاً في بناء الشخصية الإنسانية القادرة على حمل مشعل الحضارة، واستقطاب جموع البشر في الكرة الأرضية للإسلام.

ت- **الوسطية:** تأتي بمعنى الخيار والأفضل والعدل والنصف بين فاضلين⁽⁵⁾، ومن ملامح الوسطية في القرآن الكريم الخيرية، والعدل، واليسر ورفع الحرج، والحكمة، والاستقامة، واللينية⁽⁶⁾، وقد جاءت الوسطية وصفاً للأمة الإسلامية في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143]، أي: عُدولاً، فهم أهل توسط واعتدال في

(1) انظر: الحضارة الإسلامية، أحمد السايح، (ص: 75).

(2) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (3/ 144).

(3) خصائص التصور الإسلامي، سيد قطب، (ص: 8).

(4) مقومات الحضارة وعوامل أفولها من منظور القرآن الكريم، عمار توفيق أحمد بدوي، (ص: 22).

(5) مادة (وسط)، انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (6/ 108)، لسان العرب، ابن منظور، (7 / 428)، تاج العروس، الزبيدي، (340/5).

(6) انظر: الوسطية في ضوء القرآن الكريم، ناصر العمر، (ص: 90-146).

الدين؛ فليسوا في غلو النَّصارى الذين غلوا بالترُّب، وتأليه عيسى عليه السلام، ولا أهل تقصير كاليهود الذين بدّلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربّهم⁽¹⁾.

و الوسط هنا: بمعنى الخيار والأجود، فالأمة الإسلامية هي خيار الأمم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطاً في قومه، أي: أشرفهم نسباً⁽²⁾.

ث- **التحلي بكرائم الأخلاق:** الأخلاق هي المحل الأول للنظم المختلفة، وقد تميزت الحضارة الإسلامية بأنها راعت كرائم الأخلاق وأنفسها في ظل أعراف المجتمع وكيونته ومراعاتها للواقع، ويظهر ذلك جلياً في التشريع الإسلامي الذي يعد ركناً أساسياً من أركان حضارتنا، فبرغم أن التشريع الجنائي يمثل زجراً للمعتدين، مع ذلك فإنه يراعي الأخلاق وحماية الحقوق، ويبرز فيه جانب الرحمة⁽³⁾، وما أجمل قول الزمخشري في تحليل مفهوم الحضارة وهو يذكر الجانب الأخلاقي منها وكأن الحضارة في نظره فعل وسلوك وخلق وعمل⁽⁴⁾، حيث يقول: "وقريش والأنصار، وثقيف أهل حضر، وهم أعرف بمكارم الأخلاق"⁽⁵⁾.

سادساً: حضارة بناء وإنتاج:

مثلت الحضارة الإسلامية على مر عصورها نموذجاً مثالياً للحضارة البنيّة، والمنتجة، لاسيما وقد اعتمدت في بناءها على عناصر هامة، وهي الموارد الاقتصادية المتوفرة، والنظم السياسية المتبعة، واحترام التقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون المختلفة⁽⁶⁾؛ لأنّ النفتح البصير مفتاح الدعوة للحضارة المثالية، والإسلام في رحابته الحضارية، استطاع أن يمتص ألوان الحضارات في البلاد وأن يصبغ عليها طابعاً إسلامياً شاملاً، وذكرت الباحثة بعض مظاهر الحضارة الإسلامية في جانب تطبيقي على سور القرآن في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

(1) انظر: جامع البيان، الطبري (2 / 7).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (1 / 454).

(3) انظر: من روائع حضارتنا، مصطفى السباعي، (ص: 47 - 45).

(4) انظر: مقومات الحضارة وعوامل أفولها من منظور القرآن الكريم، عمار بدوي، (ص: 18).

(5) الفائق في غريب الحديث، الزمخشري، (4 / 83).

(6) انظر: من روائع حضارتنا، مصطفى السباعي، (ص: 44).

سابعاً: حضارة عقل وعلم وعمل:

قامت الحضارة الإسلامية على أسس متينة، بعيدة عن الغلو والخرافة، واعتمدت على المنهج العلمي، والتفكير السوي، كما اهتمت بالعلم والعلماء ودوّنت الكتب، ووضعت قواعد علمية لاستنباط الأحكام وترجيح الأدلة عن التعارض، ويظهر ذلك من خلال الدفع الإسلامي إلى التعلم والتعليم، وتطبيق ذلك بالعمل، مقروناً بالتربية الإسلامية المُنهجية على أصول وضوابط محكمة⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلُ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: 108]، هذه الآية تحمل دليلاً قاطعاً على أن طريق الدعوة هي السبيل الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته، المتضمنة للعلم بالحق والعمل به وإيثاره، وإخلاص الدين لله وحده؛ لذلك يجب على المسلم أن يكون على علم ويقين من غير شك ولا امتراء، ويدعو إلى الله على بصيرة من أمره، بعيداً عن الأهواء والخرافات، وعمّا يُنسب إلى الله مما لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله⁽²⁾.

ثامناً: حضارة تفاعل وحيوية:

يشكل الآخرون في الحضارة الإسلامية وجوداً أساسياً، حيث تفاعلت الحضارة الإسلامية بعلاقات مختلفة الأشكال مع الحضارات والعقائد الأخرى؛ وذلك لأن الإسلام دين عالمي يمتلك مبادئ حيوية لا تتسجم مع الانغلاق الذاتي، حيث كان لكل حضارة علاقة مع المسلمين تختلف عن الأخرى بحسب أوجه التلاقي والاختلاف، ومن أشكال العلاقات التفاعلية مع الغير كان ما يلي:

أ- **علاقة الحوار والتعايش:** كان الحوار والتعايش من أكثر العلاقات تفاعلاً بين الحضارة الإسلامية وغيرها، فعلى مر القرون أثبت الإسلام قدرته على التكيف مع جميع الآراء؛ لتجنب الصراعات المهلكة وإعداد تربة خصبة لنشر الدين الإسلامي، ومن أصدق مشاهد التعايش تعايش المسلمين مع أهل الكتاب في كنف الدولة النبوية، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: 5]،

(1) انظر: الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، عبد الرحمن حبنكة الميداني، (ص: 279).

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 406).

وهذه " الرخصة من المنة؛ لكثرة مخالطة المسلمين أهل الكتاب فلو حرم الله عليهم طعامهم لشق ذلك عليهم" (1).

ولم يقتصر الأمر على أهل الكتاب، فقد عاش في كنف الدولة الإسلامية كثير من الطوائف وأصحاب الملل والنحل المختلفة، فقد وضع الرسول ﷺ أسس التعايش السمح بين مكونات الوطن الجديد، بتوجيه قرآني في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256]، قال ابن كثير " لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام فإنه بين واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه" (2).

ب- علاقة الصدام والصراع: يقول ابن عاشور: " المصارعة بين الحق والباطل شأن قديم، وهي من النواميس التي جُبل عليها النظام البشري" (3) ، وبما أن الإسلام دين حق لا يقبل الباطل مطلقاً، فقد صادمت الحضارة الإسلامية كل من تبني فكرة الباطل أو عمل به، ومن ذلك جاءت علاقة الصراع بين الحق والباطل، وتمثلت هذه العلاقة في بداية الدعوة الإسلامية فقد عادى المسلمون كل أشكال الباطل وذلك لبيان المفاصلة بين الطريقتين، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: 17]، في هذه الآية يضرب الله مثلاً حياً يجسد حقيقة الصراع بين الحق والباطل، "وما مثل الحق والباطل إذا اجتمعا إلا مثل السيل والزيد، فكما أن الزبد لا يثبت مع الماء ولا مع الذهب والفضة ونحوهما مما يسبك في النار بل يذهب ويضمحل، فالباطل لا ثبات له ولا دوام أمام الحق" (4).

ومن مشاهد صراع الإسلام مع الغير، جلاء بني النضير من المدينة المنورة، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ [الحشر: 3]، والجلاء مفارقة الوطن، ولولا أن أجلوا من المدينة لعذبوا بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة (5)؛ لأنهم شاقوا الله ورسوله وأثروا الباطل على الحق بمحاولة اغتيالهم لرسول الله ﷺ.

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (3 / 144).

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (1 / 682).

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (12 / 192).

(4) انظر: تفسير المراغي، المراغي، (13 / 88).

(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (18 / 5).

المطلب الثالث

عوامل صعود الحضارة الإسلامية

تنقسم عوامل صعود الحضارة الإسلامية إلى أربعة عوامل، وهي عوامل عقديّة، وسياسية، واجتماعية، واقتصادية، وبيائها كالتالي:

أولاً: عوامل عقديّة

العقيدة الصحيحة أنجح السبل لقيام وصعود الحضارات باستدامة مطلقة، وهذه الاستدامة لم تقم إلا للحضارة الإسلامية، وإن كانت بنسب متفاوتة عبر عصورها، بناءً على مدى تمسكها أو تغلثها عقدياً، وقد حدد القرآن الكريم بعض عواملها في التالي:

1- **اقتران الإيمان بالعمل الصالح:** أشار القرآن الكريم على مؤشر ربط ثنائي؛ لنجاح الإنسان في صناعة الحضارة والصعود بها⁽¹⁾، من خلال دوره الأساس باعتباره خليفة الله على الأرض، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: 55]، وتدلل الآية الكريمة إلى أن التمكين من أوعاد الله ﷻ التي شوهد تأويلها بعد سنين من نزول الشواهد النقلية عليها، فوعد الله ﷻ من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة، أن يستخلفه في الأرض، ويكون المتصرف في تدبيرها، فلما تمكّن الإيمان في صدور الصف الأول من الأمة الإسلامية، فُتحت لهم مشارق الأرض ومغاربها، وحصل الأمن والتمكين التام⁽²⁾.

2- **الصناعة الإيمانية لصانع الحضارة الإنسانية:** تحدث القرآن الكريم عن صناعة الإنسان الصالح وذلك بفرض التوجيهات والإرشادات، وتحديد المسؤوليات، وقد منّ الله عزوجل على أنبياءه بهذه الصناعة ابتداءً، باعتبارهم صناع الحضارات الأوائل، قال تعالى في حق موسى ﷺ: ﴿وَلِئْصَنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي﴾ [طه: 39]، وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: 41]، فكانت صناعة الله عزوجل لموسى ﷺ منذ ألقى تابوته في البحر

(1) انظر: اقتران الإيمان بالعمل الصالح في القرآن الكريم ودلالاته الحضارية، د. عبد الرحمن حلي، (ص: 13).

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 573).

(1)، وذلك تمهيداً للاصطفاء بالوحي والرسالة (2)، فقام ﷺ بمهمة الدعوة إلى التوحيد رغم الصعوبات والعقبات.

ثانياً: عوامل سياسية

تلعب السياسة دوراً مفصلياً في صعود الحضارات، وقد شهد التاريخ على آثار السياسة في الدول والحضارات؛ لذلك حدد القرآن الكريم أبرز العوامل التي تساهم في الصعود الحضاري سياسياً منها:

1- إقامة الحكم الإسلامي:

الإسلام منهاج حياة كامل، أرسل به النبي ﷺ؛ ليحقق لهم سعادة الدنيا والآخرة، وهو نظام شامل يتناول تحديد العلاقة بين العبد وربّه، ونفسه، وبني جنسه؛ لذلك أوجب -جَلَّ شَأْنُهُ- علينا أن نتحاكم إلى ما أنزل على رسوله، وأن نحكم به، وعلى المسلمين تنصيب حكومة تقيم فيهم أمر الله وترعاه، ويتعبد أفرادها بإقامة الحكم الإسلامي (3)، قال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: 50]، والآية تحمل إنكاراً من الله تعالى على كل من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات (4).

وقد حدد القرآن الدعائم الأساسية لإقامة الحكم الإسلامي بشكل مستقيم في إقرار مبدأ السيادة للشرع، وتحديد مسؤوليات الحاكم والمحكومين، وتأسيس مبدأ الشورى في الحكم.

2- العناية بالقوة العسكرية:

اهتم الدين الإسلامي بالمجال العسكري؛ باعتباره عاملاً هاماً في قيام الدولة وثباتها، ونهوض حضارتها، حيث حكى الله تعالى على لسان قوم ملكة سبأ في وصف أثر القوة العسكرية في الحياة الإنسانية، فقال تعالى: ﴿ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكُمْ

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (11/ 196).

(2) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (3/ 205).

(3) انظر: المال والحكم في الإسلام، عبد القادر عودة، (ص: 88).

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (3/ 131).

فَأَنْظِرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿النمل: 33﴾، أي: "أنهم أرادوا القوة في الأبدان، وقيل كثرة العدد والبأس والشجاعة في الحرب" (1)، وهذا إظهار لمعنى العزة والهيبة لتحقيق النصر والغلبة.

وفي هذا الإطار أتى الأمر القرآني بإعداد العدة وبناء القوة كتكليف من الله تعالى لعباده المؤمنين الذين يجاهدون؛ لإعلاء كلمته حسب الطاقة والاستطاعة (2)، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: 60].

ثالثاً: عوامل اجتماعية

الحضارة الإسلامية عبارة عن فضاء اجتماعي صلب، يعمل على تجميع الناس، وتقريبهم من بعضهم البعض، بشكل يؤدي إلى زيادة إنتاجهم وتحسين ظروفهم، وعلى ذلك فقد حظيت العوامل الاجتماعية بنصيب الأسد ذكراً في القرآن الكريم؛ لبروز دورها في صعود حضارة الإسلام، وتغلغلها في ثنايا المجتمع، ومن أبرز العوامل التي ساهمت في الصعود الحضاري اجتماعياً ما يلي:

1- تعزيز القيم الأخلاقية:

من حكمة الله تعالى على عباده أن حدد لهم الطريق الذي تكمن فيه سعادتهم، وتقوم عليه حضارتهم، من خلال بناء حياته الشخصية والأسرية والمجتمعية وفق معايير أخلاقية مثالية؛ لتعديل سلوك الإنسان، وبالتالي إقامة مجتمع إسلامي رصين، وصعود حضارة إنسانية، وتمثلت هذه الأخلاق في ثلاثة جوانب هي (القيم الشخصية، القيم الأسرية، القيم المجتمعية) (3).

2- المبادرة الفاعلة في العمل التطوعي:

إن الدين الإسلامي دين اجتماعي، حثّ على العمل خارج نطاق المنفعة والمقابل وهو العمل التطوعي، وأكد على المبادرة فيه وبين أثره في إعداد المجتمع إعداداً متقناً، قال

(1) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، (3/ 360).

(2) انظر: الخواطر، الشعراوي (8/ 4775).

(3) انظر: المنهاج القرآني في البناء الأخلاقي للإنسان، وأثره في رواد مراكز القرآن الكريم وعلومه في دولة قطر، مريم حسني علي محمد السادة، (ص: 26).

تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: 133]، أي: "بادرُوا وَأَقْبَلُوا" (1)، وفي موضع آخر، قال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الحديد: 21].

والمبادرة هي: "انطلاقة المؤمن ومسارعه إلى عمل صالح بحافز ذاتي من نفسه، بعد أن يتوافر في نفسه الميزان الأمين ليحدد العمل الصالح من سواه، وليطمئن إلى أنه لا يتجاوز حدوده، ولا يعتدي على غيره، ولا يدخل في فتنة تغضب الله ﷻ" (2).

وتنقسم المبادرة الفاعلة إلى قسمين هما:

أ- مبادرة تلقائية: هي أن يبادر الفرد ويسابق الآخرين، من تلقاء نفسه، ودون تكليف من أحد، وتتميز بسرعة البداهة لدى الشخص، مثل مبادرات عمر رضي الله عنه، فهو أول من كتب تاريخ الهجرة، وأول من جمع الناس على التراويح، وأول من دَوَّن الدواوين (3).

ب- مبادرة استنهاضية: هي التي يبادر إليها الشخص بعد استنهاض اللهم، للقيام بأمر مهم، أو للاستعداد بالالتزام بأمر ما، والسنة النبوية زاخرة بهذا النوع، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِّنَ الدُّنْيَا» (4) (5).

ويظهر أثر المبادرة في العمل التطوعي من خلال تجميع الطاقات المهذرة، وتسخيرها في خدمة المجتمع الإسلامي وتعزيز قيم التعاون والتكافل والتراحم بين أبناء المجتمع، وكذلك قيم الولاء والانتماء والنهضة.

3- الاعتزاز باللغة العربية: اللغة العربية وعاء الحضارة الإسلامية، وقد اصطفاها الله سبحانه وتعالى لوحيه من بين لغات البشر، فحازت شرفاً عظيماً بإنزال القرآن الكريم بها (6)،

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 2]، "وكونه عربياً يفيد إبانة ألفاظه المعاني المقصودة للذين حُوطبوا به ابتداءً، وهم العرب" (7)؛ لأن الله عزوجل

(1) الكلبيات، الكفوي، (ص: 519).

(2) الحوافز الإيمانية بين المبادرة والالتزام، عدنان علي رضا النحوي، (ص: 15).

(3) انظر: محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ابن الميرد الحنبلي، (1/ 315).

(4) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بابُ الْحَتِّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ بِالْأَعْمَالِ قَبْلَ تَطَاهُرِ الْفِتَنِ، ح (118)، (1/ 110).

(5) انظر: المبادرة الذاتية في ضوء السنة النبوية دراسة موضوعية، أسامة عطا الله، (ص: 52).

(6) انظر: عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم، أحمد مجد الخراط (ص: 3).

(7) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (12/ 201).

أرسل كل رسول بلسان قومه لتقوم الحجة على الذين يتخلفون عن ركب الحضارة الذي يقوده الرسل⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: 4].

وبناءً على ذلك عُني السلف الصالح باللغة العربية، وأقبلوا على خدمتها على نحو شامل، وأيقنوا أن دراستها والتأليف فيها ضربٌ من ضروب العبادة، يتقربون به إلى الله، ويتوجب على كل مسلم الاعتزاز بعربيته، فُصنف لذلك المؤلفات ودونت المجلدات⁽²⁾، ولولا القرآن ما كان للعربية شأن، ولبقيت محصورةً في صحرائها القاحلة، وجزيرتها العازبة عن حياة الحضارة والمدنية⁽³⁾.

رابعاً: عوامل اقتصادية

لا شك أن الاقتصاد سبب في صعود أي حضارة وإرغاد عيش أفرادها و تمكين دولتهم، ونلمس ذلك من صدور الأمر الإلهي إلى سيدنا آدم بالهبوط من الجنة إلى الأرض بهدف إعمار الكون والسعي في طلب الرزق، "فالأرض قرارٌ تستقرونه، وفراش تمتهدونه"⁽⁴⁾ قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأعراف: 24].

وبما أن الاقتصاد ركنٌ رئيسٌ في تطور الأمم وعمارة الأرض؛ لذلك اعتنى القرآن الكريم به، ووضع له أسساً تضبط عمله بما يحقق للفرد سد حاجاته، ويحفظ الأمن المجتمعي ويحقق الاستقرار، لأنَّ العلاقة بين الاقتصاد والحضارة علاقة متلازمة⁽⁵⁾، قال تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: 4].

وقد تميز الاقتصاد الإسلامي بالاعتدال الذي لا إفراط فيه ولا تقريط، مما يضمن الازدهار الحضاري، والتنمية الاقتصادية⁽⁶⁾.

(1) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، (2/ 241).

(2) انظر: لغة القرآن، إبراهيم أبو عبادة، (ص: 16).

(3) انظر: عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم، سليمان بن إبراهيم بن محمد العايد، (ص: 4).

(4) جامع البيان، الطبري، (12/ 358).

(5) انظر: أسس الاقتصاد الإسلامي في القرآن الكريم، ياسر محمود أبو حسين، (ص: 4).

(6) انظر: خصائص ومقومات الاقتصاد الإسلامي، محمد برناوي، (ص: 201).

المبحث الثاني قوانين الحضارات المذكورة في القرآن الكريم

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول قوانين قرآنية للحضارات

إن الظاهرة الحضارية أضخم إنجازات الكائن البشري وأخطرها، فهي فعل إنساني له نظامٌ مطّردٌ، يسير وفق سنن إلهية ثابتة⁽¹⁾، حيث تتداول الأمم قوانين وسنن كونية ومجتمعية ثابتة وشاملة لا تتغير مهما تغير الزمان والمكان، تحكم نشوء الحضارات فيها ونهضتها وانهارها وهذا ما تناولته بالدراسة كالتالي:

أولاً: تعريف القانون لغةً واصطلاحاً:

1- تعريف القانون لغةً:

يعود أصل مصطلح القانون إلى اللغة السريانية، ثم استعار العرب هذا المصطلح بواسطة التواصل، بمعنى المسطرة، أي عصى مستقيمة، ثم أُطلق على القضيّة الكلّية، التي تُعد أصلاً وقاعدة يُستخرج منها أحكام جزئيات المحكوم عليه⁽²⁾، وقانون كل شيء: طريقه ومقياسه⁽³⁾، وقال الجوهري في الصحاح: "القوانين الأصول الواحد قانون وليس بعربي"⁽⁴⁾.

2- تعريف القانون اصطلاحاً:

أ- عرفه الجرجاني: "القانون: كلي منطبق على جميع جزئياته التي يتعرف أحكامها منه"⁽⁵⁾.

-
- (1) انظر: على عتبات الحضارة، بحث في السنن وعوامل التخلق والانحيار، بتول جنديّة، (ص: 7).
- (2) انظر: الكليات، الكفوي، (ص: 734)، وزاد الكفوي: ومن المشهور بين متأخري أرباب المنطق أن القدماء يسمون كل آلة عملت لامتحان ما عسى أن يكون الحس قد غلط فيه من جسم أو كَيْفِيَّة أو غير ذلك مثل الشاقور والبركار والمسطر والموازين وقوانين ويسمونه أيضاً جوامع الحساب، وجداول النجوم وقوانين، والكتب المختصرة التي جعلت تذاكير لكتب طويلة قوانين.
- (3) انظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، (ص: 1226)، لسان العرب، ابن منظور، (13 / 349).
- (4) تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، (6 / 2185).
- (5) التعريفات، الجرجاني، (ص: 171).

ب-القانون: " هو القواعد التي تنظم سلوك الأفراد في المجتمع تنظيماً ملزماً، ومن يخالفها يعاقب، وذلك كفالة لاحترامها" (1).

ت- " القانون يعني النظام الثابت" (2).

ثانياً: القانون في القرآن الكريم:

لم يستعمل القرآن الكريم لفظ القانون مطلقاً، بل استعمل لفظاً مرادفاً له وهو السنن نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [آل عمران:137]، وسنن: جمع سنة، وهي الطريقة والعادة (3)، ويقول الطبري: " سنن يعني: مثلات سير بها فيهم وفيمن كذبوا به من أنبيائهم الذين أرسلوا إليهم" (4).

وكذلك نحو قوله تعالى: ﴿فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: 43]، يقول الرازي: وإضافة السنة إلى الله ﷻ؛ لتعظيم أمرها، وتبيين أنها أمر واقع ليس لها من دافع، فالله يأتي بسنة لا تبديل لها ولا تحويل عن مستحقها (5).

وكثر الإشارات القرآنية؛ لاكتشاف السنن والقوانين الكونية التي نبه إليها القرآن وبيّن أثرها في العمران البشري، وتعمير الأرض، وترقية الحياة؛ للنهوض بالخلافة، من حيث تسخير قوى الكون وفق هذه السنن والانتفاع بها (6)، حيث تنتظم وتشمل المؤمن والكافر مما يدل على أن كل ما كان من مطلوبات السنن الكونية فهو من مناط الربوبية (7)، حيث جاءت السنن الإلهية للكون في القرآن الكريم على ثلاثة ألوان من القوانين العامة وهي:

1- **قوانين الكون الطبيعي:** مثل قانون الجاذبية، وقوانين الفيزياء والرياضيات، والقوانين الحسابية، وغيرها، لهداية وإرشاد الناس إلى الطريق المستقيم، قال تعالى: ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: 53]، وقوله في الأفاق يشمل كل

(1) الإسلام والدستور، توفيق بن عبد العزيز السديري، (1/ 16).

(2) الشورى في الشريعة الإسلامية، القاضي حسين بن محمد المهدي، (ص: 76).

(3) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (4/ 444)، زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، (1/ 327).

(4) جامع البيان، الطبري، (7/ 228).

(5) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (26/ 247).

(6) انظر: الأساس في التفسير، سعيد حوى، (3/ 1653).

(7) انظر: الخواطر، الشعراوي، (4/ 2443).

ما أخبر الله تعالى به من آياته في السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ، من رفع السَّمَاءِ، وَخَلَقَ الْكَوَاكِبِ، ودوران الفلك، وإضاءة الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وغيره⁽¹⁾.

2- قوانين الكون الاجتماعية: هي وقائع جارية في الكون، تحكم علاقات الأمم بعضها ببعض، وتبين سنن نشوء الحضارات ونهضتها وأسباب انهيارها⁽²⁾، وهذه السنن متعلقة بأمر الله ونهيه، ووعده ووعيده، وما ابتلاهم به من الشرع الذي أنزله؛ لينظر كيف يعملون، وهذا ما تناولته بعمق وتحليل وبيان في الموضوع التالي من الدراسة.

ثالثاً: قوانين قرآنية للحضارات

إن الحكمة من كون القوانين ثابتة ومطرودة هو أن تتضبط الموازين، وتستقر معالم الحكم على الأشياء والأحداث والوقائع والأفراد والأمم والتاريخ والحضارات، وإلا كان الأمر فوضىً وعبثاً ولعباً، وهذا مُحال على الله ﷻ؛ لأنه يتناقض مع قاعدة الجد والقصد والحق في خلق الكون⁽³⁾، قال تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِأَعْيُنٍ﴾ [الدخان: 38]، وهذا استدلال على أن الله حكمة في خلق المخلوقات وخلق نظمها وسننها، بحيث تكون أحوالها وآثارها وعلاقة بعضها ببعض متناسبة مجارية لما تقتضيه الحكمة، مبينة لجزاء المكلفين على أعمالهم وفقاً للقانون الذي أقامه الله لهم⁽⁴⁾، ومن خلال التمعن في كتاب الله وفي أقوال بعض المفسرين، توصلت في هذه الدراسة لعدد من القوانين القرآنية للحضارات المذكورة في القرآن الكريم وهي على النحو التالي:

1- قانون التداول

التداول مصدر مشتق من الفعل (دَوَّلَ) أي: التحول والانتقال من حال إلى حال، يُقال اندال القوم: تحولوا من مكان إلى مكان، ومنه دَوْلَةٌ ومعناها: العقبة في المال والحرب، و(الدولة) الملك والسنن التي تُغير وتُبدل⁽⁵⁾.

والتداول قانون قرآني عام مستمد من قوله تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: 140]، على الرغم أن هذه الآية نزلت

(1) انظر: تفسير القرآن، السمعاني، (61/5)، النكت والعيون، الماوردي، (189/5).

(2) انظر: الوحي والإنسان قراءة معرفية، محمد الجلبيد، (ص: 153).

(3) انظر: مقومات التصور الإسلامي، سيد قطب، (ص: 75).

(4) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (30 / 17).

(5) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (11 / 253-252).

تعقيباً على أصاب المسلمين يوم أحد، من أذى وجروح وقروح، مادية ونفسية، إلا أنها تحمل إشارة إلى الأيام الجارية فيما بين الأمم الماضية والآتية كافة لا إلى الأيام المعهودة خاصة من يوم بدرٍ ويومٍ أحدٍ بل هي داخلةٌ فيها دخولاً أولياً، وعبر المولى ﷺ بصيغة الفعل المضارع {نُداوِلُهَا} للدلالة على التجدد والاستمرار للإيدان بأن تلك المداولة سنةً مسلوكةً فيما بين الأمم قاطبةً سابقتها ولاحقتها، بمعنى نُصَرِّفُهَا بينهم أي: نُدِيلُ لَهُؤْلَاءِ تَارَةً وَلَهُؤْلَاءِ أُخْرَى، وفيه ضربٌ من التسلية للنبي ﷺ والمؤمنين معه⁽¹⁾.

وذكر القرطبي ثلاث أحوال للمداولة بين الناس:

- أ- (نُداوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) أي: في الحرب، فتكون مرة للمؤمنين؛ لينصر الله ﷻ دينه، ومرة للكافرين إذا عصى المؤمنون؛ ليبتلهم ويمحص ذنوبهم.
- ب- (نُداوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) من فرح وغم وصحة وسقم وغنى وفقر، والدولة الكرة.
- ت- (نُداوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) وإنما كانت هذه المداولة؛ ليرى الله المؤمن من المنافق فيميز بعضهم من بعض⁽²⁾.

ومن هذا القانون القرآني نستنتج أنه لا خلود لحضارة أيًا كانت، فمهما تعاضمت قوة حضارة، فلا بد أن يأتي يوم تضعف فيه، وربما تزول عن بكرة أبيها كأن لم تكن.

2- قانون التدافع

التدافع مصدر مشتق من الفعل (دفع)، والدفع: الإزالة بقوة، وتدافع القوم أي دفع بعضهم بعضاً⁽³⁾، وسنة التدافع سنة إلهية ثابتة منذ بدء الخليقة، يقول ابن خلدون في مقدمته: "اعلم أنّ الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة منذ براها الله"⁽⁴⁾.

لذلك هيأ تعالى أسباب التدافع بين البشر، وبين الحضارات؛ لأنه لولا هذا التدافع لانتهدت القيم وسيطر الفساد على الأرض، قال تعالى: ﴿لَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 251]، الآية الكريمة بدأت بحرف امتناع لوجود، والمعنى: امتنع فساد الأرض؛ لأجل وجود دفع الناس بعضهم ببعض، ولولا أن

(1) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (2/ 89).

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (4/ 218).

(3) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (8/ 87).

(4) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، (1/ 334).

الله تعالى يدفع أهل الباطل بأهل الحق؛ لفسدت الأرض، ولعمها الخراب؛ لأن أهل الفساد إذا تركوا من غير أن يُقاوموا استطارت شرورهم، وتغلبوا على أهل الصلاح والاستقامة، وتعطلت مصالح الناس، وانتشر الفساد في الأرض⁽¹⁾.

وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهَدِمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: 40] ، من هذه الآية نستشف أن التدافع يحصل من ورائه حماية للبلاد والعباد، "أي: لولا أنه يدفع بمن يقاتل في سبيله كيد الفجار، وتكالب الكفار؛ لفسدت الأرض باستيلاء الكفار عليها، وإقامتهم شعائر الكفر، ومنعهم عبادة الله، وإظهار دينه"⁽²⁾، حيث جعل الله ﷻ الغلبة لأهل الحق على الباطل، وهذا يجعل الحق في النهاية يدمغ الباطل ويزهقه، قال ابن عباس ومجاهد في الآية: "لو لا دفع الله بجنود المسلمين وسراياهم ومرابطيهم؛ لغلب المشركون على الأرض فقتلوا المؤمنين وخربوا البلاد والمساجد"⁽³⁾.

وقد يكون التدافع بين الحضارات سببه الرئيس التنافس الحضاري، فكل أمة تسعى لأن تكون الأقوى، وكل حضارة تبذل ما لديها من قدرات وإمكانات لتبقى متفوقة ومتقدمة على غيرها من الحضارات المحيطة بها.

3- قانون الغلبة

الغلبة مصدر مشتق من (غلب)، والغلبة "الفَهْرُ، والشدة"⁽⁴⁾، وجاء دليل هذا القانون في القرآن الكريم في أكثر من موضع منها قوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: 21] أي: لأغلبن و أقهرن أعداء الحق في الدنيا بالحجة والدلائل في الآخرة، فتكون العاقبة للمؤمنين، قضاء ثابتاً، وغلبة الرسل تكون على نوعين: غلبة في الحرب وغلبة بالحجة والبيان⁽⁵⁾، ونلاحظ مجيء الوعد بالغلبة والعاقبة بأكثر من لفظ مرادف منها:

أ- التمكين: هو وعد إلهي بالغلبة للأقوى إيمانياً أو مادياً، وجاء لفظ التمكين على ستة معاني في القرآن الكريم، لا تخرج عن أصلها في اللغة حيث استعملت بمعنى القدرة على الشيء

(1) انظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي، (1/ 574).

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: 108).

(3) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، (2/ 224).

(4) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، (ص: 121).

(5) انظر: بحر العلوم، السمر قندي، (3/ 420).

والظفر به، وكذلك بمعنى السلطان والقدر والمنزلة⁽¹⁾، ومن هذه المواضع قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [يوسف: 21]، أي: جعلناه ملكاً يتصرف فيها بأمره ونهيه، بعدما تأمر عليه إخوة دمه، فالإنجاء والتمكين له جاء؛ لأن الله غالب على أمره بنصر رسله⁽²⁾.

ب- النصر: جاء في اللغة بمعنى نيل الظفر على العدو⁽³⁾، وهو وعد إلهي معلق بالقيام بشرائع الدين وتنفيذ أوامر الله عملاً وليس ادعاءً فقط، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: 7].

ومن خلال استقراء عدد من الآيات المتعلقة بالغلبة والنصر والتمكين تبين أن عاقبة الصراع الدائر بين طرفي الحق والباطل، له حالين وهما كالآتي:

الحال الأول: الغلبة للحق: وهو سنة الله لأهل الحق سواء كانوا رسلاً؛ حتى تتم الرسالة ويكمل البيان ويتضح الحق، أو مؤمنين إن أخذوا بعوامل الثبات والتمكين⁽⁴⁾، وهي على ضربين:

أ- غلبة بالحجة والبيان: وهي ثابتة لجميع الأنبياء، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصفات: 171 - 173]، والمعنى: سبق الوعد بنصرهم بالحجة والغلبة، والعاقبة والنصرة والظفر⁽⁵⁾.

ب- غلبة بالسيف والسنان: وهي ثابتة للمؤمنين عامة إن أخذوا بأسباب التمكين والنصر من السلاح الإيماني والمادي، ودليلهما في القرآن كما يلي:

- سلاح الإيمان: في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: 55]، إن الخلافة على الأرض معركة ابتلاءات وتمحيص تبين الغث من السمين، فمن كان أهلاً لها اشترط فيه أربعة أمور وهي تحقق الإيمان في الجماعة المؤمنة،

(1) انظر: عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين، أحمد الشهري، (ص: 13).

(2) انظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (2/ 454).

(3) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، (5/ 435).

(4) انظر: عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين، أحمد الشهري، (ص: 46).

(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (15/ 139)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (7/ 45).

وعمل الصالحات، والتزام نهج السلف الصالح، وانتقاء الشرك في العبادة⁽¹⁾، فإن تحققت هذه الأمور الأربعة كانت لهم الغلبة والتمكين، وإن ضعفت قواهم وقلّ عددهم قال تعالى: ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:66].

- سلاح السنان: في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: 60]، أي: اتخاذ الشيء لوقت الحاجة، من الآلات التي تكون لكم قوة عليهم من الخيل والسلاح⁽²⁾.

الحال الثاني: الغلبة للباطل: إذا جانب الإيمان دائرة الصراع بين الحضارات، فإن ميزان الغلبة والنصر للأقوى مادياً، أما إذا غلب الباطل الحق فهذا دلالة على سنة ابتلاء الله ﷻ للمؤمنين تنبيهاً على ضعف الوازع الديني، فالابتلاء سنة الحياة، ومن السنن الكونية على مر العصور والدهور⁽³⁾، واتضح ذلك المعنى في ابتلاء هزيمة غزوة أحد وكذلك حُنين، وقد أسلفت الحديث عن الغزوتين سالفاً⁽⁴⁾، وفي سياق ذلك قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 30]، أي: ما أصابكم من الأحوال المكروهة نحو الآلام والأسقام والقحط والغرق والصواعق من مصائب الدنيا التي يشترك فيها الزنديق والصدّيق⁽⁵⁾؛ كانت بسبب معاصيكم، أو تعريضاً للأجر العظيم بالصبر عليها⁽⁶⁾.

4- قانون التغيير والاستبدال:

يعد قانون التغيير والاستبدال من القوانين البارزة في تفسير حركة الحضارات على مر العصور وبيان أسباب سقوطها، والتغيير هو الانتقال من حال إلى آخر، فقد يكون التغيير إيجابياً كما حدث مع الملكة بلقيس، وتحدثت الباحثة عنه في المطلب اللاحق من هذه الدراسة⁽⁷⁾، كما يكون التغيير سلبياً أي من الحال الحسن للحال السيء أو الأسوأ، ودليله قوله

(1) انظر: الخواطر، الشعراوي، (17/ 10317).

(2) انظر: معالم التنزيل، البغوي، (3/ 371).

(3) انظر: صفوة التقاسير، الصابوني، (2/ 421).

(4) انظر: هذه الدراسة، (ص: 169).

(5) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (27/ 600).

(6) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (5/ 82).

(7) انظر: هذه الدراسة، (ص: 213).

تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد:11]، "أي إن الله لا يغير ما بقوم من نعمة وعافية فيزيلها عنهم وينتقم منهم إلا بتغيير ما بأنفسهم بأن يكون منهم الظلم والمعاصي والفساد وارتكاب الشرور والآثام التي تهدم بنية المجتمع وتدمر كيان الأمم" (1)، وفي موضع آخر يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:53].

ويترتب على هذا التغيير التواكلي والسلبى قانون الاستبدال، واستبدال الحضارات يكون بانتهاء الأجل، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: 34]، أي: أي جماعة اجتمعت على تكذيب رُسل الله، وردّ نصائحهم، والشرك بالله، مع متابعة ربهم حججه عليهم، فإن لهم وقت لحلول العقوبات بساحتهم، ونزول المثالث بهم على شركهم، فإذا جاء الوقت الذي وقته الله لهلاكهم، وحلول العقاب بهم لا يتأخرون بالبقاء في الدنيا، ولا يمتنعون بالحياة فيها عن وقت هلاكهم وحين حلول أجل فنائهم (2).

وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته أن الدول تمر بعدة تطورات من ناحية العمران والسياسة والاقتصاد، وما ينبني عليه من تطورات في العظمة والقوة والاتساع، وبذلك قرر أن كل دولة تنتقل بين خمسة أطوار هي: الظفر، والانفراد بالمجد، ثم الفراغ والدعة، ثم طور القنوع والمسالمة، ثم الإسراف والتبذير، والأطوار الخمسة تمر بثلاثة أجيال، فالجيل الأول يقوم بعملية البناء والعناية، والجيل الثاني يقلد الأول، أما الجيل الأخير فيمكن تسميته بالجيل الهادم، ويشير أيضاً إلى أن الترف أول علامات السقوط، وسبب رئيس في استبداد الحكام وظلمهم للرعية، وهذه صفة الجيل الهادم للدول والحضارات (3).

(1) التفسير المنير، الزحيلي، (13/ 124).

(2) انظر: جامع البيان، الطبري، (12/ 405).

(3) انظر: تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، (1/ 221-219).

المطلب الثاني

حضارات ذُكرت في القرآن

عرض القرآن الكريم تصنيفاً مجملاً لأنواع المجتمعات، وبين عوامل قيام حضاراتها وعوامل انهيارها، وذكر عليها نماذج واقعية من الأمم والأقوام السابقين، وبالتالي انقسمت هذه المجتمعات حضارياً باعتباريات ثلاث وهي (العلو، والركود، والتردي) وفصالها فيما يلي:

1- **المجتمعات العالية:** أصل القرآن الكريم أصول الحضارة للمجتمع الإسلامي؛ لِيُعد نموذجاً مثالياً تُقاس عليه باقي الحضارات، فقد حازت حضارة المجتمع المسلم الرفعة والتميز في كل الجوانب مادياً ومعنوياً، حيث وصفه الله ﷻ بخير الأمم، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110]، أي: أنتم خير أمة في الوجود على الإطلاق، وهذا الوصف يصدق على الذين خوطبوا به أولاً وهم النبي ﷺ وأصحابه الذين كانوا معه وقت التنزيل؛ لأنهم أكثر المسلمين اتباعاً لتعاليم الدين الإسلامي، وأن هذه الخيرية مشتركة ما بين أول هذه الأمة وآخرها بالنسبة إلى غيرها من الأمم، وإن كانت متفاضلة في ذات بينها (1)، وسيتم الحديث عن مظاهر الحضارة الإسلامية بشكل مفصل في مطالب الفصل الثالث.

2- **المجتمعات الراكدة:** الركود مصدر مشتق من (ركد) وهو أصل يدل على السكون وعدم الحركة، يُقال ركد القوم ركوداً: سكنوا وهدءوا (2)، ويتمثل هذا الصنف بالركود الحضاري للأقوام التي مر بها ذو القرنين أثناء سفره، ففي رحلة ذي القرنين شهد ثلاث مجتمعات، هي كالتالي:

أ- **مجتمع الركود الإيماني:** قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: 86-88]، إن الله خير ذي القرنين بكيفية التعامل مع هذا النوع من المجتمعات، إما أن يعذبهم بقتل، أو ضرب، أو أسر ونحوه، وإما أن يحسن إليهم؛ لأن الظاهر أنهم كفار أو فساق، أو فيهم شيء من ذلك؛

(1) انظر: فتح القدير، الشوكاني، (1/ 425).

(2) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، (2/ 433).

لذلك رخص له تعذيبهم، فكان من فقه السياسة الشرعية عند ذي القرنين، والتي استحق بها المدح والثناء، أن جعلهم قسمين: القسم الكافر الظالم تحصل له العقوبتان، في الدنيا و الآخرة، أما المؤمن فسيحسن له بلطف المعاملة (1).

ب- مجتمع الركود العلمي: قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَظَلُّعٌ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبِيلًا﴾ [الكهف: 90]، هو مستوى بدائي يعيش في بدائية الفعل والإنجاز، حتى أنه ليس لديه ما يستظل به من الشمس، وهم الزنج إذا طلعت الشمس دخلوا أسرابهم، فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معاشهم، وقيل ليس لديهم من الثياب ما يسترا بها عوراتهم (2).

ت- مجتمع الركود المعرفي: قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [الكهف: 93]، وهو مستوى طفولي يعيش في مهد الطفولة المعرفية، بحيث لا يكادون يفقهون قولاً؛ "لاستعجاب كلامهم وبعدهم عن الناس" (3).

وترى الباحثة أن هذه الألوان الثلاثة من المجتمعات لم يصف القرآن أي حضارة تذكر لهم؛ لانعدام مقوماتها بالإطلاق.

3- المجتمعات المتردية: التردي مصدر مشتق من (ردى) أي: هلك وفي الهواء سقط فهو رد، ومنه (تردى) أي: من عالٍ سقط، و(الردى) و(التردي) الهلاك والسقوط (4).

وقد وقف القرآن الكريم وقفات مطولة في الحديث عن الحضارات السابقة لحضارة الإسلام، إذ إن كل حضارة انطلقت من منطلقات معينة في بناء صرحها بغض النظر إن كانت صحيحة، أم فاسدة، وبنيت عليها مستقبلها، ومظاهرها، واجتماعياتها، و بعد علو واستقرار سارت نحو التسافل والتردي؛ لعدم أخذها بعوامل الصعود والاستمرار، وانحدرت في مستنقع الفساد العقدي أو الاقتصادي أو السياسي، كحضارة سبأ و ثمود وعاد وأصحاب الأيكة والفرعنة، فأذاقهم الله ﷻ هلاك الهزيمة والانهيار والضياع، وهذا الهلاك سنة باقية على الأمم حتى قيام الساعة (5).

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 486).

(2) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (2/ 318).

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (5/ 195).

(4) انظر: المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، (1/ 340).

(5) انظر: مقومات الحضارة وعوامل أفولها من منظور القرآن الكريم، عمار توفيق أحمد بدوي، (ص: 16).

وفي هذا المطلب تحدثت عن بعض الحضارات التي ذكرت في القرآن الكريم⁽¹⁾؛ لبيان منها مدى توافقها مع القوانين القرآنية للحضارات وهي كالاتي:

أولاً: حضارة ذي القرنين (نموذج الغلبة والتمكين)

مثلت إمبراطورية ذي القرنين الحضارية تجربة ناجحة في البناء، والتأسيس، والنمو، وكانت رافداً لحركة بعض الشعوب المتطلعة للنهوض، والسير في ركاب الحضارة الإنسانية.

فدو القرنين علم قرآني بارز، خلد الله عزو جل ذكره في كتابه الخالد، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: 83]، وقد دَوَّن القرآن هذا السؤال لبيان محاولة تعجيز أهل الكتاب رسول الله ﷺ وإفحامه عن الرد، فأراد الله ﷻ أن يخيب ظنهم بطريق الوحي المتلو حكاية عن الله ﷻ أي سأتلو في شأنه قرآناً، بإجابة مختصرة مفيدة؛ لتأييد رسول الله ﷺ وتصديقه بإنجاز وعد الله له (2).

وذكرت كتب التفسير أقوالاً كثيرة في تعريف شخصية ذي القرنين، خلاصتها قول ابن تيمية: "وذو القرنين المذكور في القرآن وصل إلى شرق الأرض وغربها وكان متقدماً، ويقال إن اسمه الإسكندر بن دارا وكان موحداً مؤمناً"⁽³⁾، وقد وصفه د.علي الصلابي: ذو القرنين حاكم عادل صالح، طواف في الأرض، منفذ لأوامر ربه، قائم بين الناس بالعدل الإصلاح⁽⁴⁾.

حيث استطاع ذو القرنين بتمكين الله له بناء إمبراطورية عظيمة، قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: 84]، وتمكينه كان بالقوة والرأي والتدبير والسعة في المال والاستظهار بالعدد وعظم الصيت، فقد أعطاه الله ﷻ ملكاً عظيماً، وسلطة مطلقاً مدعمةً بالجنود وآلات الحرب والعلم، ومهد له من الأسباب والوسائل ما يمكنه من السيطرة وبسط النفوذ أين شاء وكيف شاء، فملك مشارق الأرض ومغاربها، ودانت له البلاد، وخضعت له ملوك العرب والعجم⁽⁵⁾.

(1) للتوسع انظر: فهرس كتاب حضارات ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية، عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي.

(2) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (5/ 241).

(3) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (4/ 161).

(4) انظر: الإيمان بالقدر، علي الصلابي، (153).

(5) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (16/ 23).

وعلى ذلك فالإيمان والتوحيد والصلاح لا يُغني عن الأخذ بالأسباب المادية والدينيوية؛ لأن إضاعة أسباب التمكين في الدنيا وعدم الأخذ بها نقص في الإيمان، وقصور في مفهوم الصلاح، وعليه فقد كان الوعد الإلهي بالتمكين لذي القرنين، نتيجة مترتبة لأخذه بالأسباب، قال تعالى: ﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: 85]، والسبب هو الوسيلة التي يحصل بها بلوغ المراد، وذو القرنين عمل بتلك الأسباب واستعملها على وجهها⁽¹⁾، وأصل السبب الحبل، فاستعين لكل ما يتوصل به إلى شيء⁽²⁾، يقول السعدي: " هذه الأسباب التي أعطاه الله إياها، لم يخبرنا الله ولا رسوله بها، ولم تتناقلها الأخبار على وجه يفيد العلم"⁽³⁾، لكن من خلال إعمال العقل في آيات قصة ذي القرنين من سورة الكهف نستنبط بعض الأسباب التي يمكن أن نسميها (مقومات الحضارة عند ذي القرنين) وهي كالتالي:

1- منهج الحكم العادل

يعد ذو القرنين نموذجاً مثالياً للحاكم المسلم العادل الفذ، الذي أنشأ إحدى أكبر إمبراطوريات الإسلام في العالم، والتي قامت على العدل أساساً لها، فلم يعامل الأقوام التي طاف الأرض عليها بالظلم والجور والتعسف والتجبر والطغيان والبطش، وإنما عاملهم بهذا المنهج الرباني⁽⁴⁾، قال تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: 87 : 88]، والآية تحمل معنى التخيير الإلهي لذي القرنين، وهذا التخيير على معنى الاجتهاد في أصلح الأمرين، فكان الجزاء من جنس العمل⁽⁵⁾؛ لأن الناس الذين فتح بلادهم، ليسوا على مستوى واحد، ولا على صفات واحدة، ولذلك لا يجوز أن يعاملوا جميعاً معاملة واحدة، فمنهم المؤمن ومنهم الكافر.

يقول الشعراوي: " وهذه الآية تضع لنا أساس عملية الجزاء التي هي ميزان المجتمع وسبب نهضته، فمجتمع بلا جزاءات، تثيب المجد وتعاقب المقصّر مجتمع ينتهي إلى الفوضى والتسيب، فإن أمن الناس العقاب تكاسلوا"⁽⁶⁾.

(1) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (16 / 24).

(2) انظر: فتح القدير، الشوكاني، (308/3).

(3) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 485).

(4) انظر: الإيمان بالقدر، علي الصلابي، (154).

(5) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (21 / 497).

(6) الخواطر، الشعراوي، (14 / 8985).

2- تحلي ذي القرنين بالأخلاق القيادية

تميزت شخصية ذي القرنين بأخلاق الإسلام العظيم، فكان مثالاً للقيادة الرشيدة، "فقصة ذي القرنين أحسن قصص الملوك" (1)، فعلى الرغم من القوة التي منحها الله إياها وعظم القدرات التي امتلكها، إلا أنه كان ينسب الفضل لله عز وجل قال تعالى: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ [الكهف: 98]، فذو القرنين نموذج القائد الطيب، والحاكم الصالح، الذي مكنه الله في الأرض ويسر له الأسباب فاجتاح الأرض شرقاً وغرباً دون تجبر أو تكبر، لم يتخذ من الفتوحات وسيلة للغنائم ولم يعامل البلاد المفتوحة معاملة الرقيق، أو سخر أهلها في أغراضه وأطماعه، بل ساعد المتخلفين ودرأ عنهم العدوان دون مقابل مستخدماً القوة التي يسرها الله له في التعمير والإصلاح وإحقاق الحق، ثم يرجع كل خير يحققه الله على يديه إلى رحمة الله موقناً أشد اليقين بأنه راجع إلى الله (2).

3- توظيف العلم والقوة في عمل الخير

إن حركة ذي القرنين الدعوية والجهادية جعلته يحتك بالشعوب والأمم، ففتوحاته حملت مقاصد نبيلة، حيث كان الهدف منها هو جمع الشعوب في شرق الأرض وغربها تحت حكمه؛ لنشر العلم والحضارة وإحقاق الحق والعدل، وقد تكلم القرآن الكريم عن رحلاته بإيجاز، حيث لم يحدد القرآن موعد الانطلاق ولا موعد النهاية، بل بيّن حالة الشعوب، ودور ذي القرنين الإنساني والحضاري، وهي كالتالي:

أ- **رحلة المغرب:** سار ذو القرنين في هذه الرحلة سيرة القوي المصلح في الأرض، فلما وصل إلى أقصى المغرب، رأى الشمس بالعين المجردة كأنها تغرب في البحر المحيط، وهذا شأن كل من انتهى إلى الساحل، فهو يراها كأنها تغرب فيه (3)، ووجد عندها قوماً قد تهيأ لحكمهم، وقد تردد في عقله وقلبه كيف يحكم، أيحكمهم بالعنف والقسوة، أم بالرفق واللين (4)، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: 86].

(1) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (22 / 17).

(2) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (2293/4).

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (191 / 5).

(4) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، (9 / 4579).

فألهمه الله الحكمة، وحكم فيهم بمنتهى العدل وهو في قمة القوة، قال تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (87) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: 87، 88].

ب- رحلة المشرق: بلغ ذو القرنين في هذه الرحلة "الموضع الذي تطلع الشمس عليه أولاً من معمورة الأرض" (1)، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: 90]، حيث وجد قوماً في منتهى البدائية، كانوا في مكان لا يثبت عليه بنيان، يعيشون في أسراب عراة، ليس لهم طعام إلا ما أحرقت الشمس إذا طلعت، فإذا غربت خرجوا من أسرابهم يتراعون كما يتراعى الوحش في طلب معايشهم (2). فقد تعامل مع أهل المطلاع كما كانت معاملته مع أهل المغرب، حيث قضى في هؤلاء كما قضى في أولئك، من تعذيب الظالمين والإحسان إلى المؤمنين، ونشر العلم ومساعدة الغير (3).

ت- رحلة ما بين السدين: في هذه الرحلة وجد ذو القرنين قوماً قليلاً الفطنة، عديموا التدبير، ضعاف، "لا يفهمون كلام غيرهم" (4)، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [الكهف: 93]، والسدان جبلان متقاربان، بينهما ثغرة يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك، فيعيشون فيهم فساداً، ويهلكون الحرث والنسل (5).

فقام ببناء السد لهؤلاء الضعاف وجعلهم يشتركون معه في البناء، وأعانهم بخبرته وعلمه، قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّيْتُ فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: 95]، ويقصد بالقوة: القوة البدنية من عمال وصناع يحسنون البناء والآلة (6)، وقال البقاعي: "فأعينوني بقوة" أي آلات وعمال أتقوى بها في فعل ذلك، فإن أهل البلاد أخبر بما يصلح في هذا العمل" (7).

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (3/ 292).

(2) انظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن القيم، (3/ 107).

(3) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (21/ 498).

(4) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمن الحلبي، (7/ 545).

(5) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (5/ 195).

(6) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (3/ 178).

(7) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (12/ 136).

فصهروا قطع الحديد المجتمع وقد جعل الحديد على الحطب والحطب على الحديد حتى ساوى بين طرفي الجبلين بشكل متلاصق ومتلاحم (1)، مستخدمين عملية النفخ بالكيران في الحديد، ثم إفراغ القطر عليه، والقطر هو النحاس، فاختلط والتصق ببعضه ببعض، فصار جبلاً صَلاً ما استطاع قوم يأجوج ومأجوج أن يعلوه أو ينقبوه؛ لارتفاعه وملاسته وصلابته وثخانتها (2) قال تعالى: ﴿أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: 96].

من هذه الرحلة نستنبط دور ذي القرنين في إعطاء هؤلاء الضعاف الثقة في أنفسهم بأنهم يستطيعوا حماية أنفسهم، وترك الكسل جانباً؛ لأنه يفسد المجتمع، ويهدم أساس الحضارة؛ لذلك قوى ذو القرنين المستضعفين وجعلهم قادرين على حماية أنفسهم من العدوان وعدم الاعتماد على حماية أحد.

ويقول د. محمد يوسف: "لقد أحببت قصة القرنين كثيراً؛ لثلاث صفات بارزة فيه هي ركيزة لكل حاكم يريد الحق والإصلاح، وهي: الإيمان والعدل والعمل، وهي صفات لا بد منها حتى يستقر الأمر بالبشر، ويأمنوا على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وأديانهم وعقولهم، وهي الكليات الخمس التي أمر الإسلام بحفظها" (3).

ثانياً: حضارة مملكة سبأ

تعد حضارة سبأ إحدى أكبر حضارات شبه الجزيرة العربية، وسبأ أرض باليمن مدينتها مأرب، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام، وسميت هذه الأرض بهذا الاسم، لأنها كانت منازل ولد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ومن قحطان إلى نوح عليه السلام، وكان اسم سبأ عامراً، وإنما سمّي سبأ؛ لأنه أول من سبى السبي، وقيل أن هذا الموضع سمّي سبأ؛ لحرارته (4)، وقد كان لمملكة سبأ حضارة عظيمة جداً تحدث القرآن الكريم عنها بإبراز أهم مقوماتها وهي:

1- **الموقع المميز:** تميزت مملكة سبأ بموقع استراتيجي وطبيعة مناخية وتضارسية ساهمت في قيام حضارة عريقة فيها، حيث عاش السبئيون في منطقة مشهورة بجمالها وكثرة خيراتها، كما وصفها القرآن، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ

(1) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (5/ 205).

(2) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (5/ 246).

(3) ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح، د. محمد يوسف، (284).

(4) انظر: معجم البلدان، هاب الدين الحموي، (3/ 181).

وَسَمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَهُ طَيِّبَةً وَرَبِّ عَفُورٌ ﴿سبأ: 15﴾، حيث كانت أرضهم أرضاً خصيبة، تأتيها المياه من مسيرة عشرة أيام حتى يُحبس بين جبلين، فيسقون بساتينهم وأشجارهم، فأخصبوا، وكثرت أموالهم، واتخذوا من الجنان ما شاءوا⁽¹⁾، ويقول الشوكاني واصفاً جمال سبأ: "كانت المرأة تمشي فيهما وعلى رأسها المكتل، فيمتلئ من أنواع الفواكه التي تتساقط من غير أن تمسها بيده" ⁽²⁾.

2- قوة وعبقريّة ملكة سبأ: أشار القرآن الكريم إشارة واضحة إلى إحكام هيمنة ملكة سبأ على مملكتها وكمال التمكين لها، فقد قال تعالى في نأ الهدهد لسيدنا سليمان عليه السلام: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: 23]، أي: تملك قبيلة سبأ امرأة ملكت أعظم ما يؤتاه الملوك من الأموال والسلاح والجنود والحصون والقلاع، وعرشاً عظيماً، وعظم العروش يدل على عظمة المملكة والملوك وقوة سلطانهم وكثرة رجال الشورى⁽³⁾، وهذا لا يوجد مثله إلا في الممالك العظمى، ودليل من أكبر الأدلة على عظمة الملك وسعة رقعته ورفعة شأنه بين الممالك ⁽⁴⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾، أي: "أوتيت من متاع الدنيا ما يحتاج إليه الملك المتمكن" ⁽⁵⁾، ويقصد بالعرش في قوله تعالى: ﴿ولها عرش عظيم﴾ "مكان جلوس الملك، وكان العرش عادة يتوافق مع عظمة الملك" ⁽⁶⁾، وقد كان مزخرفاً بالذهب، وأنواع الجواهر واللآلئ، واستعظام الهدهد لهذا العرش على ما رأى من عظمة ملك سليمان عليه السلام، يحتمل أنه استعظم ذلك بالنسبة إليها، أو أنه لم يكن لسليمان عليه السلام مع عظم ملكه مثل عرشها ⁽⁷⁾.

وقد حازت ملكة سبأ خصال الملوك وجمعت أنواع المحامد والمحاسن، فكان جزء من ملكها إرثاً من الملوك الذين سلفوها، ومنه ما كان كسباً من كسبها واقتنائها؛ لأن الله تعالى

(1) انظر: بحر العلوم، السمرقندي، (84/3).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (4/367).

(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 604).

(4) انظر: تفسير المراغي، المراغي، (19/132).

(5) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (6/186).

(6) الخواطر، الشعراوي، (17/10771).

(7) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (3/343).

وهبها عقلاً راجحاً وحكمة، فأحسنست استغلال ما منحها الله إياه من بلاد خصبة وفيرة المياه؛ لذلك كان اليونان يلقبون مملكة اليمن بالعربية السعيدة (1).

وتتجلى عبقرية ملكة سبأ في كيفية إدارتها للأزمة التي واجهت مملكتها مع سليمان عليه السلام وهذا ما تحدثت عنه في المرحلة الأولى من مراحل مملكة سبأ الحضارية (2).

3- القوة العسكرية: ومن مظاهر حضارة سبأ وجود جيش قوي ذو بأس شديد، ففي حكاية القرآن على لسان المجلس الوزاري لمملكة سبأ، قال تعالى: ﴿ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأَوْلُو بِاسٍ شَدِيدٍ ﴾ [النمل: 33]، أي: " ذو القوَّة على القتال، والباس الشديد في الحرب" (3)، وقال البيضاوي: " أَوْلُو قُوَّةٍ بالأجساد والعدد، وأَوْلُو بِاسٍ شَدِيدٍ نجدة وشجاعة" (4)، وزاد النسفي أن المراد بالقوة هنا هو امتلاكهم للألات والمعدات الحربية (5).

ومن خلال تتبع أقوال المفسرين للآيات التي ذكرت قصة مملكة سبأ في سورتي النمل وسبأ، تبين أن مملكة سبأ مرت بمرحلتين متناقضتين إيمانياً، وحضارياً هما:

1- المرحلة الأولى: مملكة سبأ (نموذج للتغيير الحضاري الإيجابي)

جمع الله عليه السلام لسيدنا سليمان عليه السلام النبوة والملك في آن واحد، وعلم من عجائب الأمور الكثير، ومن عجائب قصته مع مملكة سبأ وملكتها (6)، حيث عرضت جملة آيات من سورة النمل وصفاً رائعاً لحضارة سبأ، وأبرزت دور ملكتها في المحافظة عليها في حوار دار بين سليمان عليه السلام والهدهد، وقد كان مُعنفاً له، فأجابه الهدهد؛ ليدراً عن نفسه العقاب في قوله تعالى: ﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبِيٍّ يَقِينٍ ﴾ [النمل: 22]، أي: " أدركت ملكاً لم يبلغه ملكك " (7)؛ لأن معرفة أحوال الممالك والأمم من أهم ما يُعنى به ملوك الصلاح؛ ليكونوا على استعداد بما يفاجئهم، ويكون من دواعي الازدياد من العمل النافع للمملكة بالاعتداء بالنافع وتجنب الخلل بمشاهدة آثار مثله في غيرها (8).

(1) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (19 / 253).

(2) انظر: هذه الدراسة، (ص: 211).

(3) جامع البيان، الطبري، (19 / 453).

(4) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (4 / 159).

(5) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (2 / 603).

(6) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، (2 / 373).

(7) جامع البيان، الطبري، (19 / 445).

(8) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (19 / 249).

فلما ضمن الهدهد إصغاء الملك إليه أخذ في تفصيل النبأ اليقين الذي جاء به من مملكة سبأ اليمنية، فذكر أنه وجدهم تحكمهم امرأة قال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: 23] ، والمفاجئة الأخطر سماعه أن الملكة وقومها لا يهتدون إلى عبادة الله العليم الخبير⁽¹⁾ ، يقول الطبري: وجد الهدهد ملكة سبأ، وقومها يسجدون للشمس فيعبدونها من دون الله، وقد حسّن لهم إبليس عبادتهم الشمس، فمنعهم بتزيينه لهم أن يتبعوا الطريق المستقيم، وهو دين الله الذي بعث به أنبياءه⁽²⁾، قال تعالى: ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: 24]، وعلى إثر ذلك احتوى سليمان عليه السلام هذه الأزمة الفكرية بإرسال كتاب لملكة سبأ يدعوها فيه للإسلام، قال تعالى: ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِيهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ [النمل: 28]، وكان نص الكتاب في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: 30، 31].

بهذا الكتاب أصبحت ملكة سبأ ومملكتها في أزمة تحتاج لحلول وقرارات صائبة؛ لكي تحافظ على صعود حضارتها، ونهضة شعبها، وقد تمثلت في اتخاذها للإجراءات التالية:

أ- صراحتها مع شعبها بإخبارهم بخطورة الموقف: قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيْتُ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ﴾ [النمل: 29]، فعندما ألقى الهدهد عليها كتاب سليمان عليه السلام علمت من ألفاظه أنه ليس ملكاً كسائر الملوك، فوصفته " بالكرم؛ لكرم مضمونه أو؛ لكونه من عند ملك كريم أو؛ لكونه مختوماً أو؛ لغرابة شأنه ووصوله إليها على منهاج غير معتاد"⁽³⁾، فكانت في منتهى الصراحة مع شعبها، وهذا يدل على التحضر الأخلاقي الذي تميزت به.

ب- طلب المشورة من أهل الحل العقد: قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون﴾ [النمل: 32] حيث سارعت الملكة بتشكيل فريق أزمات من أصحاب الرأي والمشورة للتباحث في أمر كتاب سليمان عليه السلام، وقوله تعالى: ﴿أَفْتُونِي﴾: أي " أشيروا عليّ بما عندكم من الرأي والتدبير فيما حدث"⁽⁴⁾، فوجهت ملكة

(1) انظر: إدارة الأزمات من وحي القرآن، د.صبحي اليازجي، (ص: 39).

(2) انظر: جامع البيان، الطبري، (19 / 447).

(3) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (6 / 283).

(4) تفسير المراغي، المراغي، (19 / 136).

سبأ خطابها مع أشراف قومها وذوي الرأي فيهم الذين يولون ويعزلون، وامتازت بحسن المشاورة إلى جانب البراعة في المناورة، فلم تكن متسلطة في أحكامها (1)، على الرغم من أنه كان بمقدورها أن تكتفي برأيها، لكن ببصيرتها النيرة كانت تسعى لتحقيق مصلحة الجماعة.

ت- **دراسة الحلول المطروحة:** قامت الملكة الفطنة بدراسة رأي مجلسها الوزاري القائم على مقابلة كتاب سليمان عليه السلام بالمواجهة العسكرية بكل تفهم وتقدير للموقف، وهي مدركة لصعوبة المواجهة، وغير مغترة بهيبتها، قال تعالى على لسانها: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أُذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: 34] ، حيث أبدت لهم رأيها مفضلة جانب السلم على جانب الحرب، وهي تحذر من الدخول تحت سلطة سليمان عليه السلام؛ لأنها تعلم بقياس شواهد التاريخ وبخبرتها طبائع الملوك إذا تصرفوا في مملكة غيرهم أن يقلبوا نظامها ويقصوا حكمها، إلى ما يساير مصالحهم، ثم يبدلون القوانين والنظم التي كانت تدير عليها الدولة (2).

ث- **استخدام الحلول الودية:** خالفت الملكة وزراءها الرأي عندما أشاروا عليها باللجوء إلى القوة، وارتأت بأن ترسل إلى سليمان هدية؛ لتقف على حقيقة قدرات سليمان عليه السلام واختبار صبره ومستوى ردود أفعاله حيال تصرفاته، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: 35]، فقد قدمت ملكة سبأ هدية ثمينة؛ لتستميل الملك سليمان عليه السلام، فإن كان ملكاً يسعى إلى بعض الخراج والأموال فتكون قد جنبت قومها ويلات الحرب والمواجهة ، وإن كان نبياً فلن يقبل منها شيئاً، وهذا رأي جميل يدل على فطنتها وذكائها وحصافتها (3).

ج- **إقرارها بالحق بعد حصول اليقين:** حرصت الملكة على مملكتها لم يمنعها من اتخاذ القرار المناسب، حيث أعملت عقلها وقلبها، ولم تتردد في إعلان الإيمان بالله ونبيه، والاعتراف بفساد عقيدتها، لما استيقنت ذلك، قال تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: 44]، ففاجأها سليمان عليه السلام بعظمة ملكه، وقدراتها الباهرة؛ لتزداد يقيناً بوحداية الله تعالى، أن رأت جانباً من عجائب صنع الله، فاعترفت

(1) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، (10 / 5451).

(2) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (19 / 265).

(3) انظر: الخواطر، الشعراوي، (17 / 10780).

بفساد عقيدتها، وأسلمت لله طائعة مختارة، ويحسب لها أنها لم تسلم خوفاً من سليمان عليه السلام وجبروته، وإنما قناعة منها بدعوة الحق وبذلك أسلم شعبها، بالتالي جنحت بفراستها وفطنتها؛ لالتماس النجاة الحقيقية لها ولمملكتها، بدلاً من الهلاك المحقق في ظلمات الكفر، أو في مواجهة خاسرة وغير متكافئة مع قوة الحق ⁽¹⁾.

ومن مخرجات المرحلة الأولى أن ملكة سبأ ضربت مثلاً يحتذى به في إدارتها لأزمتهام مع النبي سليمان عليه السلام، وهي وتعي موازين القوى، ودونما تضييع للوقت، محافظة على حضارة شعبها من انهيار محتتم، بل وازدادت مملكتها رقياً وصعوداً.

المرحلة الثانية: مملكة سبأ (نموذج لكفران النعمة)

عاش أهل مملكة سبأ أعواماً مديدة في رخاء ورفاهية، وقد وصف القرآن الكريم جمال حياتهم في منتهى الدقة، وبين سبب رغدهم، قال تعالى: ﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور﴾ [سبأ: 15]، فقد كانت أرضهم أرضاً خصيبة، وذلك لردم ردموه بين جبلين فحسبوا الماء، وكان يأتيهم من السيول فيسقون بساتينهم وأشجارهم ⁽²⁾، فأصبحت بلدتهم بلدة طيبة.

يقول ابن عطية: " ورؤي أنه كان في ناحية اليمن واد عظيم بين جبلين وكانت جنتا الوادي منبت فواكه وزروع وكان قد بُني في رأس الوادي عند أول الجبلين جسر عظيم من حجارة من الجبل إلى الجبل فارتدع الماء فيه وصار بحيرة عظيمة، وأخذ الماء من جنبتيها فمشى مرتفعاً يسقي جنتي الوادي.... وكانوا بهذه الحال في أرغد نعم، وكانت لهم بعد ذلك قرى ظاهرة متصلة من اليمن إلى الشام، وكانوا أرباب تلك البلاد في ذلك الزمان " ⁽³⁾.

في مقابل هذه النعم يتوجب عليهم شكر الله على نعمائه بالاستجابة لرسله، فقد أرسل الله عليهم رسلاً مبشرين ومنذرين، قال تعالى: ﴿كلوا من رزق ربكم واشكروا له بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: 15]، "أي: غفور لكم إن استمررتم على التوحيد، لكنهم أعرضوا عن توحيد الله وعبادته وشكره على ما أنعم به عليهم، وعدلوا إلى عبادة الشمس " ⁽⁴⁾.

(1) انظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي، (10 / 329).

(2) انظر: بحر العلوم، السمر قندي، (3 / 84).

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (4 / 413).

(4) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (6 / 507).

فكان إعراضهم عن الحق سبب في انهيار حضارتهم وطمس هويتهم، وذلك بضربين من الهلاك هما:

1- سيل العرم: قال تعالى: ﴿أعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ [سبأ:16]، فلما أعرضوا عن أمر الله واتباع رسوله بعد أن كانوا مسلمين، عاقبهم الله بسيل العرم، حيث سال السيل بجنتيهم فتفرقوا في البلاد ولهذا قيل في المثل: "تفرقوا أيادي سبأ"، وكان السيل نتيجة خلل بلغ السد ففاض الماء على أموالهم فغرقها ودفن بيوتهم⁽¹⁾، يقول الزمخشري: "وضربت لهم الملكة سدّاً ما بين الجبلين بالصخر والقار، فحقنت به ماء العيون والأمطار، وتركت فيه خروفاً على مقدار ما يحتاجون إليه في سقيهم"⁽²⁾.

واختلف المفسرون في سبب تسمية السيل بالعرم، ونرجح ما رجحه الطبري؛ لدلالة سياق الآية حيث قال: والقول الأول أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل، وخلصته أن العرم: هو المسناة بلحن اليمن، وهي عصا غليظة، حيث كانت تسد ثقباً ما بين الجبلين، فيحبس الماء من وراء السد، وكان له أبواب بعضها فوق بعض ومن دونه بركة ضخمة، فيها اثني عشر مخرجاً على عدة أنهار، فلما يجيء المطر يحتبس سيوله من وراء السد، وقد كانت ملكة سبأ من أشرفت على بناء السد حتى كان من شأنها وشأن سليمان عليه السلام ما كان، ولما أخبر الله تعالى أنه أرسل عليهم سيل العرم، أي: ثقبنا عليهم سدهم الذي كان يحبس عنهم السيول حين أعرضوا عن تصديق رسلنا، ولا يكون إرسال ذلك عليهم إلا بإيسالته عليهم، أو على جناتهم وأرضهم⁽³⁾.

فأبدلهم الله جنتينهم ذات القطوف الدانية بذواتي أكلٍ خَمَطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَالَ تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَا لَهُمْ جَنَّاتِهِمْ جَنَّاتٍ ذَوَاتِ أَعْلٍ خَمَطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ:16]، "والخمط: ضرب من الأراك له حمل يؤكل، وقيل هو كل شجر ذي شوك فيه مرارة، وقيل كل ما تغير إلى ما لا يشتهي، ويقال: واللبن خمط إذا حمض⁽⁴⁾، أما الأثل: نوع من الطرفاء لا يكون عليه ثمر إلا في بعض الأوقات، والسدر قال فيه قليل؛ لأنه كان أحسن أشجارهم فقلله الله، ثم بين الله أن ذلك كان مجازاة لهم على كفرانهم⁽⁵⁾، قال تعالى: ﴿ذلك جزيناهم بما كفروا وهمل نجازى إلا الكفور﴾ [سبأ:17].

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (14/ 285-288).

(2) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (3/ 576).

(3) انظر: جامع البيان، الطبري، (20/ 379-383).

(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (14/ 287).

(5) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (25/ 201).

2- **المباعدة بين الأسفار:** لقد أنعم الله عليهم بالتوسعة والأمان، قال تعالى: ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرةً وقدرنا فيها السيرَ سيروا فيها ليالي وأياماً آمينين﴾ [سبأ: 18]، فقد كانت قراهم متواصلة البنيان يُرى بعضها من بعض؛ لتقاربها فهي ظاهرة لأعين الناظرين وظاهرة للسابلة، لا تبعد عن مسالكهم، وجعل ﷻ هذه القرى على مقدار معلوم يقيل المسافر في قرية ويروح في أخرى، آمنين لا يخافون عدواً ولا جوعاً ولا عطشاً وإن تطاولت مدة سفرهم، فبطروا النعمة وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب وقالوا ياليتها كانت بعيدة ففسر على نجائبنا ونريح في التجارات ونفاخر في الدواب والأسباب (1)، قال تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: 19]، أي: فلما بطروا وأشروا أخزاهم الله وعاقبهم، وأصبحوا عبرة لمن بعدهم يتحدثون بأمرهم وشأنهم، ويتعجبون من أحوالهم وتفرقهم في البلاد (2).

3- **ومن قصة مملكة سبأ بمرحلتها يتبين أن العامل الإيماني سبب رئيس في استمرار وصعود الحضارات، أو أفولها وهذا ما جسده الواقع، حيث إن مملكة سبأ لما اختارت الحق طريقاً زادهم الله علواً، وعندما أعرضوا ويطروا وجانبوا الحق انهارت حضارتهم وأصبحت أحاديث وأمثال تُضرب للعبرة.**

ثالثاً: حضارة عاد (نموذج لجبروت القوة)

لقد قصَّ الله ﷻ في كتابه الكريم خبر أمة عاد في أكثر من موضع، حيث ذكر خبرها في سورة سُمِّيَّت في القرآن باسم نبيها هود عليه السلام، وفي سورة أُخْرَى سُمِّيَّت باسم بلدهم الأحقاف (3)، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ أَهْلَ عَادٍ إِذْ أَنْذَرْنَا قَوْمَهُمُ بِالْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف: 21] وغيرها من المواضع القرآنية.

(1) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (3/ 60).

(2) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (6/ 396).

(3) الأحقاف: " جمع حقف من الرمل، والعرب تسمي الرمل المعوج حقافاً وأحقافاً... والأحقاف رمل فيما بين عمان إلى حضرموت، وقال قتادة: الأحقاف رمال مشرفة على البحر بالشحر من أرض اليمن" انظر: معجم البلدان، شهاب الدين الحموي، (1/ 115).

وعاد هي قبيلة النبي هود عليه السلام والمشهورة بهذا الاسم، والتي كانت تسكن الأحقاف، وهو مكان في جنوب الجزيرة العربية⁽¹⁾، ويرجع أصلها إلى جدهم إرم، وهو من ولد نوح عليه السلام، وقيل أن إرم يرجع إليه مجمع عاد وثمود فقد كان يقال عاد إرم وعاد ثمود⁽²⁾، وقد قال تعالى فيهم: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ [الفجر: 6-8]، حيث جاءت الآيات الكريمة للعبارة والعظة لما حلّ بعاد، أي: انظر بقلبك وبصيرتك كيف فعل بهذه الأمم الطاغية⁽³⁾، وقد كانوا معروفين بقوتهم وضخامة أجسامهم وبيوتهم ذات الأعمدة التي ترفع عليها خيامهم ومبانيهم الفارمة⁽⁴⁾.

حيث دعاهم نبيهم المرسل إليهم للإيمان والتوحيد قال تعالى: ﴿وإلى عادٍ أخاهم هودًا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرهُ﴾ [هود/50]، أي: أخاهم في النسب لا في الدين، حيث دعاهم لتوحيد الله وعدم الإشراف به، وترك الأصنام التي يعبدونها فإنها حجارة لا تضر ولا تنفع⁽⁵⁾.

وتمثلت دعوته عليه السلام لهم بكلمة جامعة في البشارة بتحصيل السعادة الكاملة، حيث أمرهم بالاستغفار الذي فيه تكفير الذنوب السالفة، وبالتوبة عما يستقبلون من الأعمال، فمن اتصف بهذه الصفة يسر الله رزقه، وسهل أمره وحفظ عليه قوته⁽⁶⁾، قال تعالى: ﴿يا قوم استغفروا ربكم ثم ثوبوا إليه يُرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوةً إلى قوتكم﴾ [هود: 52]، ولاسيما وأنهم كانوا مخصوصين في الدنيا بنوعين من الكمال، أحدهما: أن بسايتهم ومزارعهم كانت في غاية الطيب والبهجة، والثاني: أنهم كانوا في غاية القوة والبطش⁽⁷⁾.

وقد برزت حضارة عاد على مسرح التاريخ بشكل لافت، حيث مثلت مجتمعاً متقدماً عُمرانياً، فقد قال تعالى على لسان هود عليه السلام معاتباً لهم: ﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون﴾ (128) وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون﴾ [الشعراء 128-129]، والريع: الطريق، وقيل الموضع المرتفع من الأرض، وقيل الفج بين الجبلين، وأما المصانع: قيل القصور المشيدة، وقيل مصانع للماء

(1) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي، (15 / 385).

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (20 / 45).

(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 923).

(4) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي، (15 / 385).

(5) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (2 / 489).

(6) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (4 / 329).

(7) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (18 / 363).

تحت الأرض، وقيل: بروج الحمام⁽¹⁾، وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ [الفجر 8]، أي: لم يخلق في البلاد كلها مدينة كمدنيتهم عمراناً وبنيناً⁽²⁾،

ومن خلال الوصف القرآني لحضارة عاد تبين أن من أبرز عوامل قيام هذه الحضارة العمرانية الهائلة سببين هما:

السبب الأول: قوة الأبدان وشدة البطش: فقد كانوا أعظم أهل زمانهم خُلُقًا، وأطولهم أبدانًا، وأشدّهم بطشاً، وقد جعلهم الله ﷻ خلفاء في تعمير الأرض، بعد قوم نوح، فكانوا أول أمة اضطلعت بالحضارة بعد الطوفان، فكانوا أعظم الأمم وأصحاب السيادة⁽³⁾، قال الله ﷻ: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة﴾ [الأعراف: 69]

السبب الثاني: العطاء الرباني: حيث فتح الله عليهم أبواب رزقه؛ وأمدهم بكل أسباب القوة فزادت أموالهم؛ وكثر أبنائهم؛ وأنبت الله لهم الزروع؛ وفجر لهم العيون، وأمدهم بالأنعام، وهذه النعم هي رمز لقوة المال، وفيها رغد العيش، ومتعة النفوس⁽⁴⁾، قال لهم نبيهم مذكراً لهم بنعم الله عليهم في قوله تعالى: ﴿أمدّكم بأنعامٍ وبينين * وجنّاتٍ وعيونٍ﴾ [الشعراء: 133، 134].

لكن قابلوا كل هذا النعيم بالإجحاف والجحود، فكان الانهيار مصير حضارتهم، والفناء نصيبهم، ومن عوامل انهيار حضارتهم ما يلي:

1- تكذيب الرسل: قال تعالى: ﴿كذبت عاد المرسلين﴾ [الشعراء: 123]، على الرغم أن الله عز وجل منح قوم عاد القوة والبطش الشديد، والطول المديد، والأرزاق الدارة، والأموال والجنات والعيون، والأبناء والزروع إلا أنهم كذبوا رسولهم هود ﷻ⁽⁵⁾، وجاء التعبير القرآني بالجمع؛ للدلالة على " لأن تكذيب رسول واحد تكذيب لكل الرسل؛ لأنهم جميعاً جاءوا بقواعد وأصول واحدة في العقائد وفي الأخلاق"⁽⁶⁾.

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (13 / 123).

(2) تفسير المراغي، المراغي، (30 / 143).

(3) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (8 / 205).

(4) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، (10 / 5385).

(5) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (6 / 152).

(6) الخواطر، الشعراوي، (17 / 10630).

2- الجبروت والطغيان: قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: 130]، يقول أبو زهرة: "الخطاب لعاد قوم هود، وهو وصف لحالهم وهو أنهم جبابرة في طغيانهم، والتجبر، يدفع إلى الأذى والسيطرة بالباطل، والتدابير والتقاطع وإن هذه حالهم، القوي فيهم يأكل الضعفاء، فالحقوق مهضومة، والباطل رافع رأسه فيهم" (1)، لذلك انهارت حضارتهم وطُمس تاريخهم.

3- التفاخر والانشغال بالدنيا: عاتب هود ﷺ قومه؛ لتفاخرهم بأمور الدنيا، وإعراضهم عن الفكر في الآخرة والعمل لها والنظر في العاقبة، وإشراكهم بالله الذي أعمارهم في الأرض وزادهم قوة على الأمم، فانصرفت همتهم إلى التعاطف والتفاخر واللهو واللعب (2) قال تعالى: ﴿تبنون بكل ريع آية تعبثون * وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون﴾ [الشعراء: 128-129]، أي: تَعْبَثُونَ ببنائها إذ كانوا يهتدون بالنجوم في أسفارهم فلا حاجة لتلك الأبنية، فقد أصبحت أبنية للعبث بمن يمر عليهم، أو قصوراً يفتخرون بها، ويتخذوا من الحصون والقلاع كأنهم مخلصون في الدنيا (3).

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت/15]، فكان نتيجة هذا الاستكبار والحجود عذاب أليم استأصل الله ﷻ فيه أصلوهم، وطمس هوية حضارتهم فأرسل الله عليهم ريحاً صرصراً عاتية قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت: 16] ، أي "عاصفة شديدة الصوت، من الصرة وهي الصيحة" (4)، وجاء وصف الريح بالعقيم في قوله تعالى: ﴿فِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ * مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [الذاريات: 42-41]، والعقيم هي التي لا خير فيها ولا بركة ولا تلقح شجراً ولا تحمل مطراً تحول كل شيء أتته من بشر وحجر وشجر وأنعام إلى هالك بالي، كالتراب المدقوق (5).

(1) زهرة التفسير، أبو زهرة، (10/ 5384).

(2) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (19/ 165).

(3) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (4/ 145)، تفسير المراغي، المراغي، (19/ 86).

(4) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (7/ 169).

(5) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (3/ 144).

الخلاصة: تبين أن السنن الاجتماعية متكررة عبر التاريخ، مما ساعد الإنسان على معرفتها ثم التكيف معها وتوظيفها في عمارة الأرض وبناء الحضارة، وأن بعض المجتمعات حظيت برفعة نسبية وتقدماً في بعض الجوانب، لكنّها لم توفر عنصر الرفعة الأهم وهو القيم التي يحققها الدين ، فمتعها الله إلى حين، ثمّ دمرها، وكان مآلها الفناء.

الفصل الثالث

مظاهر الحضارة في المجتمع الإسلامي

كما صورها القرآن

(دراسة تطبيقية)

المبحث الأول

مظاهر الحضارة الفكرية في المجتمع الإسلامي

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

السبق العلمي في أغلب العلوم

جعل القرآن الكريم العلم وسيلة لتطور المعرفة الفكرية للإنسان، وبين ذلك منذ بداية الخليفة، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31] ، والمراد بالأسماء هي مسميات الأشياء الحقيقية، وقوله (كلها) يفيد أنه علمه جميع الأسماء ولم يخرج منها اسم شيء كائناً ما كان (1)، ومن أبرز المظاهر الدالة على السبق العلمي في الإسلام ما يلي:

أولاً: حث الإسلام على العلم والتعلم

جاء الإسلام حاملاً معه شعلة العلم والتعلم، فقد ذكر القرآن الكريم العلم في أكثر من موضع، حيث كانت أول كلمة نزلت على سيد الخلق والمرسلين محمد ﷺ (اقرأ) وهي أمر بالقراءة لأمة أمية منتشرة في جزيرة العرب، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 1]، وهذا أول خطاب إلهي إلى النبي ﷺ، يحمل دعوة واضحة إلى القراءة والكتابة والعلم؛ لأنه شعار دين الإسلام (2)، ثم تلتها سورة حملت اسم رمز العلم وهي سورة القلم؛ ثم توالى الآيات الكريمة في بيان أهمية العلم وفضل العلماء على سائر الناس، ويظهر حث الإسلام على العلم من خلال النقاط التالية:

1- طلب العلم فريضة على كل مسلم

لم يجعل الدين الإسلامي طلب العلم حكراً لطائفة معينة، أو جنس دون الآخر، ولم يقيد به مرحلة عمرية، بل أوجب العلم للجميع، وحث الكل على اغتنامه، وأنكر الجهالة ولم يقرها، ومن هنا جاءت أبرز أوجه المفارقة بين الإسلام والجاهلية، فالإسلام أثرى من عقلية الفرد المسلم بالعلم ويسر سبله، أما في الجاهلية فقد كان التعامل بنظام الطبقات يتعلم الغني دون الفقير، والحر دون العبد، والرجل دون المرأة.

(1) انظر: فتح القدير، الشوكاني، (1/ 76).

(2) انظر: صفوة التفسير، الصابوني، (3/ 554).

وتبرز المفارقة الحقيقية بين العلماء وغيرهم بتميز الله ﷻ لأحوالهم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 9]، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ) (1)، ولا شك أن النبي ﷺ وصحابته الكرام أدركوا أن طلب العلم هي القضية الأساسية التي سيبنى عليها الدين الإسلامي، فانطلقوا يتعلمون ويعلمون الأجيال، ولا أدل على ذلك من جعلهم تعليم القراءة والكتابة صورة من صور فداء النفس في حادثة فداء أسرى بدر، حيث كانت الأمة الإسلامية في ذلك الوقت لم تكن قد تعلمت بعد، ولم يحسن أفرادها القراءة والكتابة إلا قليلاً منهم، فكان النبي ﷺ يفتدي أسرى بدر بأن يُعَلِّمَ كُلَّ واحد منهم عشرة من غلمان المدينة المنورة، ويوضح هذا الأمر دقة النبي ﷺ وبعده نظره وعمق فهمه، فهو يريد أن يعلم الأمة القراءة والكتابة من أول أمرها (2).

2- النظرة الشمولية للعلم في الإسلام

إن نظرة الإسلام للعلم تشمل كل العلوم سواء كانت علوم الدين أم علوم الدنيا، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: 89]، وعلى ذلك فقد قسم الغزالي العلم المحمود إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: فرض العين وهو تعلم المكلف ما لا يتأدى الواجب الذي يتعين عليه فعله إلا به، مثل تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناهما أولاً، ثم تعلم أحكام العبادات والمعاملات اليومية، ككيفية الوضوء والصلاة والبيع والنكاح لمن أراد أن يقدم عليها.

القسم الثاني: فرض الكفاية وهو تحصيل ما لا بد للناس منه في إقامة دينهم ودنياهم، فإذا قام به البعض سقط الفرض عن الآخرين وهو نوعان:

أ- **العلوم الشرعية:** كحفظ القرآن والأحاديث والأصول، والفقه، والنحو، واللغة، والتصريف، ومعرفة رواة الحديث، والإجماع، ونحو ذلك.

ب- **العلوم الكونية:** هي العلوم التي لا يستغني عنها في قوام أمور الدنيا كالتطب إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان، والحساب فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث، وكذلك علم الصناعة والخياطة والفلاحة وغيرهم.

(1) مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، مسند أبي هريرة، ح(8316)، (14/ 66)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري .

(2) انظر: الرحيق المختوم، المباركفوري، (ص: 208).

القسم الثالث: فضيلة لا فريضة وهو التعمق في دقائق العلوم الذي يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج إليه للحصول على علوم فرض الكفاية، مثل التبحر في أصول الأدلة والإمعان فيها ودقائق الحساب وحقائق الطب (1).

ولالإمام الشاطبي تقسيم آخر للعلم حيث قال: منه ما هو من مُلِح العلم الذي لا يفيد الجهل به كبير ضرر، وما هو من صلب العلم الذي يترتب العمل عليه، فنتفع به ويُحتاج إليه سمي (عُقْد العلم)، ومنه ما ليس من صلب العلم ولا من مُلحه (2).

3- احتفاء الدين الإسلامي بالعلم والعلماء

احتفى الإسلام بالعلم والعلماء احتفاءً عظيماً، فقد فضل الله تعالى آدم عليه السلام على الملائكة بفضيلة العلم، وجعله خليفته في الأرض، وهياً له ولذريته من بعده كل مقومات الحياة والتقدم العلمي، وطلب من آدم عليه السلام وذريته الإصلاح فيها وتعميرها بقوانين الله عز جل فيهم، ومن صور ذلك الاحتفاء ما يلي:

أ- عظم مكانة العلماء في الأمة الإسلامية

ربط الإسلام بين العلم والدين برباط وثيق، فلا فجوة تذكر بينهما، ورفع من شأن العلماء وأعلى مكانتهم، قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران 18]، قال القرطبي: "في هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء" (3).

كذلك قرن النبي صلى الله عليه وسلم بين العلم والسياسية، وقد وعى ذلك الصحابة والسلف الصالح رضي الله عنهم فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما رواه البخاري: «تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوِّدُوا» وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَخَارِيُّ: «وَبَعْدَ أَنْ تُسَوِّدُوا وَقَدْ تَعَلَّمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي كِبَرِ سِنِّهِمْ» (4).

(1) انظر: إحياء علوم الدين، الغزالي، (1/ 17-16).

(2) انظر: الموافقات، الشاطبي، (1/ 107).

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (4/ 41).

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب العلم، بابُ الإغْتِيَابِ فِي الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ، (1/ 25)، و(تسودوا) تصبجوا

سادة ورؤساء.

وقد قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء: 5]، وأولوا الأمر هم العلماء في أحد الأقوال التي ذكرها المفسرون⁽¹⁾، ذلك أن العلماء هم الذين يقومون بالنصيحة للأمة ويكون في مقدمتها من ولاهم الله شئونها وأئمتهم على مصالحها وتدبير أمورها.

ب- الترغيب في نشر العلم والترهيب من كتمانها

إن من أعظم الأعمال وأقربها عند الله ﷻ هو نشر العلم بين الناس، فهو رسالة الأنبياء، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [المائدة: 67] "أي: أوصل إليهم كل ما أنزل إليك من ربك من الأوامر والنواهي والأحكام والآداب والأخبار دون أن تخشى أحداً إلا الله"⁽²⁾، وانطلاقاً من هذا الأمر شرع النبي ﷺ وصحابته الكرام في نشر العلم والدين في أصقاع الجزيرة العربية، وما جاورها من بلاد العجم.

كذلك رهب ونفر المولى ﷻ من كتمان العلم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ [البقرة: 159] أي: من يكتُم البيِّنات الدالة على الرسالات، والأخبار الصادقة عن النبيين، والأحكام الهادية إلى الصراط، فقد كتم علم الله، والآية حكمها عام يشمل كل كتمان لعلم فيه هداية للناس، فقد حكم الله تعالى عليهم باللعن والإبعاد والطرْد، والنَّبذ من جماعة الخير، والحق⁽³⁾.

وعن أبي هريرة ؓ، قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ سَأَلَ عَنْ عِلْمٍ، فَكْتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلْجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"⁽⁴⁾.

ثانياً: إسلامية المنهج العلمي للبحث

إن الأخذ بالمنهج الإسلامي في مجال البحث العلمي حقيقة منطقية وضرورة حضارية، وإن توجيه القرآن الكريم للعقل الإنساني نحو البحث بطريقة علمية هو تأكيد لروح المنهج العلمي الصحيح الذي يدفع الإنسان إلى محاولة استكشاف المجهول، قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ﴾

(1) انظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، (1/ 424).

(2) التفسير الوسيط، الطنطاوي، (4/ 223).

(3) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، (1/ 480-479).

(4) سنن أبي داود، أب داود، كتاب العلم، باب كراهية منع العلم، ح(3658)، (3/ 561)، وقال

الألباني: حسن صحيح.

آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴿فصلت: 53﴾، وقوله في الآفاق يشمل كل ما أخبر الله تعالى به من آياته في السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ، وَذَلِكَ مِنْ رَفَعِ السَّمَاءِ، وَخَلَقِ الْكَوَاكِبِ، ودوران الفلك، وإضاءة الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ بَسَطَ الْأَرْضَ، وَنَصَبَ الْجِبَالَ، وَتَجْعِيرَ الْأَنْهَارِ، وَغَرَسَ الْأَشْجَارَ، إِلَىٰ مَا لَا يُحْصَى (1).

وفي ذلك دلالة واضحة لطبيعة الدين الإسلامي حيث إنه لا يقوم على الخرافات، أو الأوهام والضلالات، بل يقوم على أسس علمية ثابتة، ومن هذا الباب كان علماء الإسلام سابقين، ولهم الريادة، والتفوق، ومن خلال التمعن في بعض آيات الكتاب الحكيم خرجت الباحثة بعدة أمور تدعم هذا القول منها:

1- الأمر الإلهي بسؤال أهل العلم

بين تعالى مكانة العلماء في الأمة وجعلهم المرجع الأساس للجميع، قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43]، وذكر القرطبي أقوالاً في بيان من هم أهل الذكر لعل أرجحها "أهل الذِّكْرِ أَهْلُ الْقُرْآنِ وقيل: أهل العلم، والمعنى متقارب" (2)، وفيه أمر للجهال أن يسألوا أهل العلم، وواجب على العلماء أن يبينوا للسائلين ما أشكل عليهم من الأحكام الشرعية.

فقد ضرب الصحابة أروع الأمثلة في ذلك، فقد كان ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (حَبْرُ الْأُمَّةِ) يُفْتِي لِلنَّاسِ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ، وَإِذَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ يَتَشَاوَرُ مَعَ الصَّاحِبَةِ، أَوْ يَحِيلُ الْأَمْرَ إِلَىٰ غَيْرِهِ مِمَّنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ.

2- مكافحة التقليد الأعمى

التقليد الأعمى أحد المصائب الكبرى التي تتحرف بها عن الحق معظم المجتمعات الإنسانية؛ لذلك ذمَّ القرآن الكريم التقليد الأعمى، ونفّر منه، ووبّخ ملتزميه، فهي طريقة الجاهلين الذين تقودهم العصبية المقيتة، وتسوقهم الرعونة الحمقاء، وفي المقابل دعا إلى تحرير العقل من قيود الشرك والخرافات والأساطير، وضرورة إعمال الفكر (3)، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا

(1) انظر: تفسير القرآن، السمعاني، (61/5)، النكت والعيون، الماوردي، (189/5).

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (10/108).

(3) انظر: الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، عبد الرحمن الميداني، (ص: 287).

يَهْتَدُونَ ﴿ البقرة: 170]، وهذه الآية تحمل توبيخاً لمن اکتفوا بتقليد الآباء، وزهدوا في الإيمان بالأنبياء، على الرغم من أن آباؤهم أجهل الناس، وأشدهم ضلالاً، فلو هُتدوا لرشدهم، ووازنوا بينه وبين غيره، لكان الحق هو قصدهم⁽¹⁾.

ومع ذلك لا ضير من وجود التقليد البصير الحكيم الذي يُبني على تشرب المعارف والعلوم الحق من السابقين وتغذيتها بالنقد البناء وتطويرها.

3- بيان طرق اكتساب العلوم والمعارف

خلق الله ﷻ الإنسان صفحة بيضاء خالية من أي معرفة سابقة، ولديه الاستعداد المطلق لاكتساب العلوم والمعارف، وهذه الحقيقة أعلنت عنها الآية الكريمة في سورة النحل، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل / 78].

ثم تكمل الآية الكريمة في الإشارة إلى أدوات المعرفة الثلاثة التي زود الخالق بها الإنسان؛ ليكتسب بها العلوم المعارف، وهي (النقل السمعي، والمشاهدة، والتأملات الفكرية)، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل / 78] "أي: لا تعقلون شيئاً ولا تعلمون أمراً، فرزقكم الله عز جل عقولاً تفقهون بها، وتميزون بها الخير من الشرّ وبصركم بها، وجعل لكم السمع الذي تسمعون به الأصوات، فيفقه بعضكم بعضاً، والأبصار التي تتعارفون بها وتميزون، والقلوب التي تعرفون بها الأشياء فتحفظونها وتفكرون فتفقهون بها⁽²⁾.

ومن هذا الباب حث القرآن الكريم على استخدام أدوات المعرفة في النظر والتفكر في دلائل قدرة الله وعلمه وحكمته، ومن أجل أدوات المعرفة والتفكر هي العقل، وأسمى نوافذها إلى الوجود المادي حاستي السمع والبصر؛ لذلك لم تقبل الحضارة الإسلامية إلا الطرق المؤدية إلى اليقين أو الظن الراجح، ولم تسلك مسالك الشكوك والأوهام، بل اعتمدت على طرق علمية واضحة المعالم⁽³⁾.

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 81).

(2) انظر: جامع البيان، الطبري، (17 / 265).

(3) الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، عبد الرحمن الميداني، (ص: 289).

ثالثاً: تقييد العلوم وكتابتها

أقسم الله ﷺ في مطلع سورة القلم، بأهم أداة من أدوات الكتابة وهو القلم؛ إشارة لضرورة تعليم الإنسان الكتابة⁽¹⁾، ولتهيئة الأمة لخلع دثار الأمية عنها والإقبال على الكتابة والعلم؛ لكونهما سبباً في حفظ القرآن وغيره من العلم المحمود⁽²⁾، قال تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: 1].

كما جعل النبي ﷺ المساجد دوراً للعلم يتم فيها حفظ القرآن، وتعليم الكتابة والقراءة، وحلقات العلم، وتدوين العلوم والفنون المختلفة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [القلم: 4]، يقول الطبري: "خَلَقَهُ لِلكِتَابَةِ وَالخَطِّ، وَالقَلَمَ نِعْمَةً مِنَ اللَّهِ عَظِيمَةً، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَقُمْ، وَلَمْ يَصْلِحْ عَيْشٌ"⁽³⁾.

وعلى هذا الدرب سار السلف الصالح، حيث قال ابن المبارك: "لَوْلَا الْكِتَابُ مَا حَفِظْنَا"⁽⁴⁾، أما الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ لَجَمْعٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: "اعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنْ هَذَا الْعِلْمُ يَنْدُ كَمَا تَنْدُ (5) الْإِبِلُ فَاجْعَلُوا الْكُتُبَ لَهُ حُمَاةً وَالْأَقْلَامَ عَلَيْهِ رِعَاةً"⁽⁶⁾، وعلى ذلك فإن كتابة العلوم في ظل حضارة الإسلام لاقت رواجاً واهتماماً بالغاً، حيث تمحورت في ثلاث جوانب كما يلي:

1- كتابة الوحي

تكفل الله عز جل بحفظ كتابه الكريم في صدر النبي ﷺ وصحابته الكرام؛ لما تميزوا به من قوة الحافظة الصدرية، لكن لم تغني تلك القوة العجيبة في الحفظ من كتابة وحي السماء، فهو أعظم موروث تركه النبي ﷺ لأُمَّتِهِ حَتَّى قِيَامِ السَّاعَةِ، فَقَدْ اشْتَهَرَ جَمْعٌ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي كِتَابَةِ الْوَحْيِ الْمَنْزَلِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَرَاوَحُ عِدَدُهُمْ بَيْنَ سِتَّةٍ وَعَشْرِينَ وَثَلَاثَةً وَأَرْبَعِينَ كَاتِباً

(1) انظر: تفسير المراغي، المراغي، (27 / 29).

(2) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (58 / 29).

(3) جامع البيان، الطبري، (519 / 24).

(4) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، الزامهرمي، (ص: 377).

(5) تند البعير: تنفر وتشرد، انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، (2 / 910).

(6) النكت على مقدمة ابن الصلاح، الزركشي، (3 / 562).

للوحي، كانوا يتناوبون الكتابة، وكان أكثرهم مداومة على كتابة الوحي زيد بن ثابت رضي الله عنه بعد الهجرة، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بعد الفتح (1).

وقد أمر رسول الله ﷺ كتابة الوحي بكتابة القرآن على ما توفر لديهم من أدوات الكتابة كالرقاع والعسب واللخاف الأكتاف، ولم ينتقل رسول الله ﷺ إلى جوار ربه إلا والقرآن مكتوب كله إلا أنه لم يكن مجمّعا في كتاب واحد حتى وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، ثم دعت الحاجة لجمع القرآن الكريم لأول مرة بعد اشتعال نار حروب الردة في عهد أبو بكر الصديق؛ خوفاً من ضياعه بموت القراء والحفظة، ثم أكمل عثمان بن عفان المسير بجمعه بين دفتين في مصحف واحد وعلى وجه واحد من أوجهه السبعة بعد اختلاف الألسن، ودخول العجم إلى الإسلام، ثم نسخه ووزعه على الأمصار الإسلامية (2).

فلولا القرآن الكريم ما وصل المسلمين لعصرهم الذهبي الذي كانت فيه أوروبا حينها تغرق في ظلمات الجهل وتسلط الكنيسة.

2- تقييد العلوم الشرعية وتدوينها

إن مسألة تقييد العلوم الشرعية وكتابتها في الصحف في بداية الدعوة الإسلامية وخاصة أحاديث رسول الله ﷺ من المسائل التي جرى فيها نزاع بين السلف الصالح بين مبيح ومجيز ومانع للتقييد ويرجع ذلك لقوة الذاكرة لديهم وسعة حفظهم وسيلان أذهانهم (3)، وزاد ابن حجر؛ لأنهم كانوا في ابتداء الحال قد نُهوا عن الكتابة؛ خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن العظيم، كما أن أكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة (4)، ومن أحاديث النهي ما رواه الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال: " لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي فَلْيَمْحُهِ، وَحَدِّثُوا عَنِّي، وَلَا حَرَجَ... " (5)؛ ونظراً لوجود بعض الأحاديث التي تحمل النهي عن كتابة السنة تأخر تدوينها بصفة رسمية، مما جعل كثيراً من حفاظ السنة ونقلتها يحجمون عن كتابتها

(1) انظر: مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، عبد الجواد عبد الجواد، (ص: 38)، جمع القرآن - دراسة تحليلية لمروياته، أكرم الدليمي، (ص: 42).

(2) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (1/ 233-235)، الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، (1/ 203-205).

(3) انظر: تقييد العلم، البغدادي، (ص: 8).

(4) انظر: فتح الباري، ابن حجر، (1/ 6).

(5) صحيح مسلم، الإمام مسلم، كتاب الزهد والرقائق، بابُ التَّنَبُّتِ فِي الْحَدِيثِ وَحُكْمِ كِتَابَةِ الْعِلْمِ، ح (3004)، (4/ 2298).

تورعاً، وخوفاً من وقوعهم فيما نهى عنه رسول الله ﷺ⁽¹⁾، وعلى ذلك يمكن إجمال مراحل كتابة السنة المشرفة وغيرها من العلوم الشرعية في ظل الحضارة الإسلامية على ثلاث مراحل هي:

أ- **مرحلة الكتابة الفردية:** وهي ترمز إلى طريقة تقييد الحديث وتدوينه بإذن النبي ﷺ، وتمثلت بالصحائف الفردية المكتوبة من قبل الصحابة مثل ألواح عبد الله بن عباس وصحيفة أبو هريرة وغيرهم، وكان أبرزها الصحيفة الصادقة وهي أول كتاب وأقدم التراث الإسلامي في علم الحديث التي كانت للصحابي الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما⁽²⁾.

ب- **مرحلة التدوين الرسمي:** لجأ الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز إلى تدوين السنة بشكل رسمي؛ لحماية موروث النبي ﷺ بعد انتشار ظاهرة الوضع والاختلاق في الحديث النبوي، فكلف الإمام ابن شهاب الزهري

بعملية التدوين في دفاتر ودواوين وبعث بها إلى الأمصار الإسلامية، فظهرت الكتب والمصنفات، وقد كانت علوم التفسير والفقهاء من ضمن دواوين السنة المشرفة⁽³⁾.

ت- **مرحلة التصنيف والتبويب والتخصص:** ظهرت في عصر الدولة العباسية، وهي مرحلة الكمال في جمع الأحاديث وتصنيفها على الأبواب الفقهية والمسانيد والجوامع والمصنفات وغيرها، كما تم تخصص العلوم الشرعية فظهرت كتب التفسير والفقهاء وأصوله والعقيدة الإسلامية⁽⁴⁾.

3- الموروث الإسلامي لمختلف العلوم والفنون

اهتمّ علماء المسلمين بمختلف العلوم والفنون، مثل علوم اللغة العربيّة، وعلم الحساب والفلك والطب وعلم الاجتماع والاقتصاد، ودراسة الظواهر الطبيعية وغيرها من العلوم المختلفة، حيث لم يقتصر على علوم الشريعة فقط، ولم يستهينوا بباقي العلوم، بل كتبوا في مختلف العلوم، وأصلوا لها، لاسيما وأن القرآن الكريم مليء بالإشارات العلمية والحسابية وغيرها من الفنون، فالقرآن سبق أبحاث العلماء جميعاً.

(1) انظر: مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، عبد الجواد عبد الجواد، (ص: 39).

(2) انظر: التدوين المبكر للسنة بين الدكتور صبحي الصالح والمستشرقين، ماجد الدرويش، (ص: 10).

(3) انظر: تدوين السنة النبوية في القرنين الثاني والثالث للهجرة، محمد بنكيران، (ص: 7).

(4) انظر: تدوين السنة ومنزلتها، عبد المنعم نجم، (ص: 46).

ومن أمثلة تأصيل القرآن لعلم حساب الشهور قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [التوبة: 36] ، أي: إن عدة الشهور في كتاب الله ونظامه الكوني اثنا عشر شهراً، وهذا ما أثبتته العلم في نظام دورة القمر، على هذا النحو المؤلف اليوم (1).

ولقد خَلَّف المسلمون الأوائل آلاف الكتب والمصنفات العلمية في مختلف العلوم والفنون، كما أننا عند قراءة كتب التراث الإسلامي تدلنا على أن المسلك الذي اتبعه العلماء في كتبهم هو استخدام مصطلحات قرآنية وإسلامية في التعبير عن أبحاثهم وأقوالهم، فنرى على سبيل المثال أن الحسن بن الهيثم استعمل لفظ الاعتبار (وهو مصطلح قرآني) ليبدل على الاستقراء التجريبي أو الاستنباط العقلي، وهذا أبو بكر الرازي يصف منهجه في تعامله مع المجهول مستخدماً أصولاً ثلاثة هي من صلب الشريعة الإسلامية (الإجماع والاستقراء، والقياس)، كما ابتكروا علوماً جديدة لم تكن معروفة قبلهم وسموها بأسمائها العربية كعلم الكيمياء وعلم الجبر وعلم المتلثات (2).

ومن أجمل ما قرأت في وصف الحضارة الفكرية والثقافية لبلاد الإسلام، ما ذُكر في وصف حضارة بلاد الأندلس، حيث قيل: "طما بحر العمران والحضارة في الدول الإسلامية في كل قطر، وعَظُم الملك ونفقت أسواق العلوم، وانتسخت الكتب، وأجيد كتبها وتجليدها، وملئت بها القصور والخزائن الملوكية بما لا كفاء له، وتنافس أهل الأقطار في ذلك، وتناغَوْ فيه" (3).

وعليه فلا حضارة حقيقية بغير علوم ولا علوم نافعة من غير علوم القرآن، فالعرب قبل الإسلام كانوا يعيشون في قبائل متفرقة لم يعرفوا العلم ولا الكتابة سوى كتابة بعض القصائد والمعلقات، فجاء القرآن يحث على العلم وتعلم القراءة والكتابة فيها جُمع القرآن، وحُفظت الألسن والآثار.

(1) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (10 / 200).

(2) انظر: مقال بعنوان كيف اهتم الإسلام بالعلم، اسراء ربيحي، <https://mawdoo3.com>

(3) أبجد العلوم، القنوجي، (ص: 93).

المطلب الثاني حرية الذات والرأي

يقصد بالحرية "قدرة الإنسان على فعل الشيء أو تركه بإرادته الذاتية وهي ملكة خاصة يتمتع بها كل إنسان عاقل ويصدر بها أفعاله، بعيداً عن سيطرة الآخرين" (1)، فقد كفل الله عز وجل الحرية لكل إنسان؛ لأنه ليس مملوكاً لأحد من البشر.

وللوهلة الأولى يبدو أن الجمع بين الحرية والإسلام فيه تناقض بين المفاهيم، وهذا ما يحاول بعض المستشرقين ترويجه بين الناس؛ لذلك وجب تبيان مفهوم الحرية من خلال إبراز أهم تطبيقاتها على جانب الفكر الإنساني من خلال النقاط التالية:

أولاً: تجفيف منابع الرق:

جاء الإسلام؛ ليصحح المفاهيم ويعدل النظرات الخاطئة، ومنها تغيير الفئاعات الراسخة في عقول السادة والعبيد حول مسألة الرق؛ لأنه كان من الحقائق المتأصلة في المجتمعات البشرية حتى في عقول وقلوب الأرقاء أنفسهم، حيث كانت النظرة السائدة قبل الإسلام وفي بدايته إلى الرق والاسترقاق أنه أمر رفاهي لازم لكبراء القوم، فأغلق الإسلام أبواب الرق وشرع أبواب العتق، بعدما استنقل وجودها في المجتمع الجاهلي، ولهذا وضعت الشريعة الإسلامية السمحة خطة متدرجة ومتكاملة وواقعية؛ لتجفيف منابع الرق، وقد تمثلت في الخطوات التالية:

1- تحسين واقع الرقيق

انتشر الإسلام في جزيرة العرب في وقت بلغت فيه الفوارق الطبقيّة مداها، وما زال الرق منتشراً، والرقيق يعاملون كأنهم جزء من المتاع الشخصي، حتى بُعث رسول الله، فكان أول من دعا إليه حفظ كرامة الإنسان، وتحريره من كل القيود لا فرق بين أسود وأبيض أو غني وفقير أو حاكم ومحكوم، الكل أمام الله سواء (2)، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سورة سبأ: 38]، كما رفع الإسلام من مستوى الرقيق، وأثبت لهم من الحقوق ما لغيرهم، فوجدوا في الإسلام عزاً وكرامة، وأخوة لامثيل لها في الدين والولاية (3)، مما جعلهم يُقبلون على الإسلام بكل شغف، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10]

(1) مفهوم الحرية بين الإسلام والجاهلية، علي الشحود، (ص:10).

(2) انظر: الجاهلية والإسلام، إبراهيم الجمل، (50 - 51 / 161).

(3) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (7 / 341).

ونهى رسول الله ﷺ عن مناداتهم بالعبيد والإماء، حيث يروي أبو هريرة ؓ أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: "لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأَمْتِي كُلُّكُمْ عِبِيدُ اللَّهِ وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللَّهِ وَلَكِنْ لِيَقُلْ غُلَامِي وَجَارِيَّتِي وَفَتَاتِي" (1).

وكذلك نهى الشرع الحكيم عن استخدام الرقيق فيما حرم الله؛ لأنه كان سائداً في الجاهلية أن السيد يجبر أمته على البغاء؛ ليأخذ منها أجرة ذلك (2)، قال تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتِغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [النور الآية: 33].

2- وسائل تحرير الرقيق

اعتبر القرآن أن الأصل في الإنسان الحرية، فمنذ بدأ الخليقة كرمه الله تعالى وأسجد له ملائكته قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [البقرة: 34]، فقد أمرهم بالسجود له تَكْرِمَةً وَتَعْظِيماً لَشَأْنِهِ وبنو جنسه هم ورثة هذا التكريم الإلهي، فاسترقاق أحدهم خروج عن هذا الأصل (3)، والحرية هي من أعظم لوازم هذا التكريم؛ لأن الإنسان بالرق يفقد كل معاني التكريم، ولكي يسترجع الرقيق حريتهم المسلوقة أوجد الشارع الحكيم سلسلة من التشريعات للقضاء على الرق وهي كالتالي:

أ- المكاتبية: وهي " اتفاق بين المالك والمملوك على أن يتركه حتى يحصل على قدر من المال يتفقان عليه، فإن أنفذه وأداه عُتِقَ " (4)، وقد شرع الله ذلك العقد تسهيلاً لفك الرقاب من غير ضياع حق للمالك، قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَأَنْتُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور الآية: 33]، وتحمل الآية إرشاداً للمالكين إلى مكاتبه الأرقاء، وندب إلى إعتاقهم وحث على ذلك فيصير بها المملوك من جملة الأحرار إن علم فيه خيراً والخير هو الأمانة والاستقامة والقدرة على السعي للحصول على مال المكاتبية (5)، ويقول القرطبي: وللمكاتب سهم في

(1) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب حُكْمِ إِطْلَاقِ لَفْظَةِ الْعَبْدِ، وَالْأَمَةِ، وَالْمَوْلَى، وَالسَّيِّدِ، ح(2249)، (4/1764).

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 568).

(3) انظر: النكت والعيون، الماوردي، (1/101).

(4) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (10/5189).

(5) انظر: فتح القدير، الشوكاني، (4/34).

مصارف الزكاة، فإنما هو داخل في كلمة الغارمين بما عليه من دين الكتابة، فيُعان على ذلك (1).

ب- العتق: هو "قوة حكمية يصير بها العبد أهلاً للتصرفات الشرعية" (2)، وقد جعل الإسلام لباب عتق الرقاب مجموعة من الغايات السامية التي تضمن استنفاد ظاهرة الرق في المجتمع الإسلامي، وهذه الغايات:

الغاية الأولى: العتق قرْبَةً لِّلَّهِ ﷻ : قال تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُ رَقَبَةً﴾ [12البلد: 11-13]، ﴿وَكُلُّ رَقَبَةٍ﴾ "يعني عتق الرقبة وهو إيجاب الحرية لها، وإبطال الرق، والعبودية عنها، وذلك بأن يعتق الرجل الرقبة التي في ملكه، أو يعطي مكاتباً ما يصرفه في فكاك رقبتة ومن أعتق رقبة كانت فداءه من النار" (3)، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً، أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنَ النَّارِ، حَتَّى فَرَجَهُ بِفَرْجِهِ» (4).

الغاية الثانية: العتق أحد مصارف الزكاة الثمانية: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ﴾ [التوبة: 60]، والآية تحمل حكماً شرعياً مفاده أنه يجوز للإمام أن يشتري رقاباً من مال الصدقة ويعتقها، والرقبة تعتق وولاؤها للمسلمين، وذكر الرقبة دل على أنه أراد العتق لكامل الجسد (5).

الغاية الثالثة: العتق كفارة للذنوب: قرن المولى ﷻ بين عتق الأرقاء وتكفير الذنوب، وحث على ذلك؛ تكفيراً للذنوب، منها كفارة القتل الخطأ (6)، في قوله تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً

(1) انظر: جامع أحكام القرآن، القرطبي، (8 / 182).

(2) التعريفات، الجرجاني، (ص: 147).

(3) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (4 / 430).

(4) صحيح البخاري، كتاب كفارات الأيمان، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ} [المائدة: 89] وَأَيُّ الرِّقَابِ أَرْكَى، ح(6715)، (8 / 146).

(5) انظر: جامع أحكام القرآن، القرطبي، (8 / 182).

(6) مما ورد في سبب نزول آية كفارة القتل الخطأ: "أن الحارث بن يزيد من بني عامر بن لؤي كان يعذب عياش بن أبي ربيعة مع أبي جهل ثم خرج الحارث مهاجراً إلى رسول الله ﷺ فلقبه عياش بالحرّة فعلاه بالسيف وهو يحسب أنه كافر ثم جاء إلى النبي ﷺ فأخبره فنزلت الآية" انظر: لباب النقول، السيوطي، (ص: 65).

فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهَا» [النساء الآية: 93]، وكفارة الظَّهَار (1)، في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا﴾ [المجادلة الآية: 3]، وكفارة الحنث في اليمين، قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ [المائدة: 89] .

من خلال النظر والتأمل في كيفية تعامل الإسلام مع مسألة الرِّق خرجت الباحثة بعدد من النقاط تلخص الأثر الحضاري لهذا الجانب:

- 1- الإسلام أنصف الرقيق وردّ عليهم حقوقاً مسلوقة في الجاهلية، فأصبح حالهم أفضل من الأحرار في بعض الأديان ونستدل على ذلك بشهادة المستشرق غوستاف لوبون (2) حين قال: "إن الرق عند المسلمين غيره عند النصارى فيما مضى، وإن حالة الأرقاء في الشرق أفضل من حال الخدم في أوروبا، فالأرقاء يؤلفون جزءاً من الأسرة ويستطيعون الزواج بينات سادتهم أحياناً- أي بعد أن يُعتقوا- ويقدرّون أن يتسّموا أعلى الرتب، وفي الشرق لا يرون في الرقيق عاراً، والرقيق فيه أكثر صلة لسيده من الأجير في بلادنا" (3).
- 2- إن إقرار الإسلام للرق لم يكن بصورة مطلقة دائمة بل كان بشكل مؤقت حتى يتسنى له القضاء عليه بالتدريج (4).

(1) سبب نزول آية الظهار: " أخرج الحاكم وصححه عن عائشة قالت: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفي علي بعضه وهي تشكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وتقول يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم إني أشكو إليك فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات، وزوجها هو أوس بن الصامت" انظر: لباب النقول، السيوطي، (ص: 189).

(2) غوستاف لوبون: طبيب ومؤرخ فرنسي، ولد عام 1841م، وهو من أشهر المؤرخين الأجانب الذين اهتموا بدراسة الحضارات الشرقية والعربية والإسلامية، حث قام بجولة في أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا، وأنتج مجموعة من الأبحاث المؤثرة عن سلوك الجماعة، والثقافة الشعبية، ووسائل التأثير في الجموع، انظر: موقع مكتبة نور على الشبكة العنكبوتية، <https://www.noor-book.com>.

(3) حضارة العرب، غوستاف لوبون، (ص: 459).

(4) انظر: الحرية في الإسلام، علي وافي، (ص: 21).

3- التشريع الإسلامي وضع الأساس الأول لإلغاء الرق منذ خمسة عشر قرناً من الزمن واستخدم سلسلة من الوسائل للقضاء عليه تدريجياً؛ حتى لا يهتز كيان العالم وتفسد مصالح المجتمع وتتعطل حاجات الناس، وامتازت هذه الوسائل بواقعية التطبيق (1).

ثانياً: ممارسة الحرية المنضبطة

الحرية مطلب لا يختلف فيه اثنان، ولكي تؤتي الحرية ثمارها الحقيقية لا بد أن تُمارس في إطار النظام العام وميزان الشريعة الإسلامية؛ لأن إقرار الإسلام للحرية لم يكن مطلقاً بل كان مقيداً بثوابت الدين ومسلمات الشريعة، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: 50]، وعلى ذلك فالحرية التي تتبع أهواء النفس أقرب ما تكون إلى الفوضى، التي تدمر المجتمع أكثر مما تبنيه؛ لأن أكثر أهواء النفس وشهوات القلب مخالفة للهدى (2)، وانطلاقاً من هذا الباب فقد حدد الإسلام أشكال الحريات الممنوحة للإنسان في ظل المجتمع الإسلامي وإجمالها كالتالي:

1- الحرية الشخصية: هي " أن يكون الإنسان قادراً على التصرف في شئون نفسه، وفي كل ما يتعلق بذاته، آمناً من الاعتداء عليه، في نفسه وعرضه وماله، على ألا يكون في تصرفه عدوان على غيره" (3)، وتأتي الحرية الشخصية في مقدمة الحريات ويعتبر وجودها شرطاً لوجود باقي الحريات، ولا تتحقق إلا بجانبين هامين (4) هما:

أ- حرمة الذات: ويقصد بها أن الإنسان صاحب حق في الحياة، لا بد من الحفاظ عليها؛ لذلك فرض الإسلام القصاص وشرع الحدود (5)، قال تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32]، وجاء التعبير القرآني في منتهى الدقة والبلاغة، حيث جعل قتل النفس الواحدة مساوياً لقتل جميع الناس، وذلك للمبالغة في تعظيم أمر القتل العمد وتفخيم شأنه وإيجاب ضرورة الحفاظ على النفس البشرية (6)؛ لذلك كان القصاص حياة مادام رادعاً يمنع قتل الإنسان

(1) انظر: الرق في الجاهلية والإسلام، إبراهيم الجمل، (52 / 90).

(2) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (14 / 312).

(3) مفهوم الحرية بين الإسلام والجاهلية، علي الشحود، (ص: 20).

(4) انظر: مفهوم الحرية بين الإسلام والجاهلية، علي الشحود، (ص: 20-22).

(5) انظر: الإسلام ومفهوم الحرية، حورية الخطيب، (ص: 75).

(6) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (11 / 344).

غيره، فأشد ما تتوقاه نفوس البشر هو الموت، فلو علم القاتل أنه يسلم من الموت لأقدم على القتل مستخفاً بالعقوبات ولو ترك الأمر للأخذ بالثأر كما كان عليه في الجاهلية لأفرطوا في القتل واستفحل الأمر⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 179].

ب- تأمين الذات: وهو ضمان سلامة الفرد وأمنه في نفسه وعرضه وماله، وهذه السلامة تتأتى بمنح الإنسان مجموعة من الحريات العامة منها:

- حرية التنقل: قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: 15]، أي جعلنا لكم الأرض ذلولاً، وسهلنا لكم فيها الحركة والتنقل فامشوا في أرجائها للتكسب والعيش الشريف⁽²⁾، ولأجل تمكين الناس من التمتع بحرية التنقل حرم الإسلام الاعتداء على المسافرين، والتربص لهم في الطرقات، وأنزل عقوبة شديدة على الذين يقطعون الطرق ويروعون الناس بالفساد في الأرض وإخافة السبيل⁽³⁾، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: 33].

- حرية المسكن: وتعني هذه الحرية تحريم دخول المساكن إلا بإذن أصحابها إلا في حالات معينة يحددها القانون، فالاستئذان من الآداب الشرعية التي أدب الله بها عباده المؤمنين؛ حفاظاً على الحرمات والحريات⁽⁴⁾، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [النور: 27]، وإذا كان النهي عن دخول البيوت بغير إذن أصحابها محرم، فالاعتداء عليها أشد تحريماً من باب أولى.

- الحرية الدينية: أكد الإسلام على حرية الاعتقاد، وعدّها من أبرز حقوق الإنسان التي أقرّها القرآن الكريم، وجاءت النصوص القرآنية تؤكد حق الإنسان في اختيار معتقده في قمة الاحترام والتقدير لعقل الإنسان وضميره، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ

(1) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (2/ 145).

(2) انظر: جامع البيان، الطبري، (23/ 511).

(3) انظر: النكت والعيون، الماوردي، (2/ 31).

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (6/ 36).

الْعَيِّ ﴿البقرة: 256﴾، أي: " لا جبر ولا تهديد ولا اضطرار ولا إجماع في الدين " (1)؛ لأن الله سبحانه وتعالى منح الإنسان عقلاً يميز به بين الحق والباطل، وأعطاه حرية الاختيار حتى بين قبول طاعة الله أو عصيانه، فإن شئتم فآمنوا، وإن شئتم فاكفروا، فإن كفرتم فقد أعد الله لكم نار أحاط بكم سرادقها، وإن آمنتم به وعملتكم بطاعته، فإن لكم ما وصف الله لأهل طاعته (2)، قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: 29].

وقد طالب الإسلام بعدم قتال أهل الكتاب أو الكفار من غير سبب، وإنما طالب بدعوتهم إلى الإسلام ابتداءً، فإن تركونا أحراراً في بث الدعوة وإقامة البراهين فلا نقاتلهم، وإن قاوموا الدعوة أو اعتدوا على الدعاة قاتلناهم تقريراً لمبدأ الحرية الدينية وحمايةً للدعوة الإسلامية (3)، حيث قال تعالى: ﴿فَإِنْ اعْتَرَفْتُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء آية 90]، أما من اعتنق الدين الإسلامي فقد وقع بينه وبين الإسلام عقداً لا يحل فسخه، وهذا من تمام الدين وعظمته.

2- الحرية المدنية: ويقصد بها: " أن يكون الإنسان أهلاً لإجراء العقود وتحمل الالتزامات، وتملك العقار والمنقول، والتصرف فيما يملك " (4)، وبمقتضى هذه الحرية يكون الإنسان كياناً قائماً بذاته وشخصية مستقلة يمارس كامل حقوقه، ومن أبرز هذه الحريات حرية التملك: ويقصد بالتملك "حيازة الإنسان للشيء وامتلاكه له، وقدرته على التصرف فيه، وانتفاعه به عند انتفاء الموانع الشرعية" (5)، وحرية التملك أصل مقرر في الإسلام لجميع أفراد المجتمع بلا استثناء، تنطلق من قاعدة العمل والاستثمار البناء لمقدرات المجتمع، وجاءت آيات القرآن قاطعة في تقرير هذه الحرية باعتبارها حق مشروع، ومن شواهد هذه الحرية قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: 103]، حيث تشير الآية إلى أن أموال الناس ملكاً لهم ومن اختصاصهم، وقد نسب الله ﷻ الأموال وملكيته لهم، رغم أن المال كله لله عز و جل، وإضافة المال أو الملك إلى صاحبه فهو

(1) الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية، الشيخ علوان، (1/ 87).

(2) انظر: جامع البيان، الطبري، (18/ 10).

(3) انظر: التفسير الواضح، محمد الحجازي، (3/ 459).

(4) الحرية في الإسلام، علي وافي، (ص: 10).

(5) انظر: جامع أحكام القرآن، القرطبي، (11/ 193).

تطمين له، حتى يتحرك في الحياة بحرية وليحرص على الحركة التي ينتفع بها الغير⁽¹⁾ ولا يخرج المال عن ملكية صاحبه إلا إذا كان صاحبه غير أهل للتصرف، مصداقاً لقوله الحق: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم﴾ [النساء: 5].

3- الحرية السياسية: ويقصد بها " حق الإنسان في اختيار سلطة الحكم، وانتخابها، ومراقبة أداؤها، ومحاسبتها ونقدها، وعزلها إذا انحرفت عن منهج الله وشرعه، وحولت ظهرها عن جادة الحق والصلاح " (2).

وانطلاقاً من هذه الحرية يحق للإنسان المشاركة في القيام بأعباء السلطة؛ لأن السلطة حق مشترك بين رعايا الدولة، وليس حكراً على أحد، ولذلك نص القرآن الكريم على مبدأ الشورى في الحكم حيث قال تعالى أمراً المصطفى ﷺ بالمشاركة السياسية لرعايا الأمة الإسلامية: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ عَلَىٰ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159]، وذكر الماوردي ثلاثة أقوال للمفسرين تبين الحكمة من المشاركة السياسية المتمثلة بمبدأ الشورى وهي:

الحكمة الأولى: الاستقرار على الرأي الصحيح، قال الحسن: ما شاور قوم قط إلا هُودوا لأرشد أمورهم.
الحكمة الثانية: الأمر بالمشاورة تأليف للقلوب وتطيب للأنفس.

الحكمة الثالثة: أمر النبي ﷺ بالمشاورة لما فيها من فضل التآسي والافتداء، فيستن به المسلمون ويتبعه فيها المؤمنون وإن كان النبي ﷺ عن مشورتهم غنياً⁽³⁾.

وعلى ذلك فقد كانت الحكومة النبوية وحكومة الخلافة الراشدة خاضعة للرقابة المجتمعية، ولكل فرد حق في مراجعة ولي الأمر رغم غناهم عن ذلك.

4- **حرية التعبير عن الرأي والتفكير:** ويقصد به: " أن يكون للإنسان الحق في أن يفكر تفكيراً مستقلاً في جميع ما يكتنفه من شؤون حياته وما يقع تحت إدراكه من ظواهر، وأن يأخذ بما يهديه إليه فهمه، ويعبر عنه بمختلف وسائل التعبير " (4).

(1) انظر: الخواطر، الشعراوي، (9/ 5466).

(2) مفهوم الحرية بين الإسلام والجاهلية، علي الشهود، (ص: 48).

(3) انظر: النكت والعيون، الماوردي، (1/ 433).

(4) الحرية في الإسلام، علي وافي، (ص: 77).

وحرية التعبير عن الرأي والتفكير هي المحرك الأساسي للنهوض بالمجتمعات؛ لأن بها يتحرر عقل الإنسان من قيود التبعية، وقد كفلها الإسلام للناس وعدها تكليفاً لا يجوز لمؤمن أن يُفْرِط فيه أو يتمادى به، فعليهم أن يقولوا ما يشاءون، ويبدون آراءهم دون أن يمسوا مشاعر غيرهم وعقائدهم (1)، وإن أبرز موضع يُعبر فيه عن الرأي هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104]، وجعل ذلك سبب خيريتها.

لكن اشترط الإسلام أن يكون التعبير عن الرأي في أمر مشروع وألا يخالف الأدلة الشرعية هذا مقتضى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: 36]، نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش (2)، والمعنى: ما صحَّ وما استقامَ لرجلٍ ولا امرأةٍ من المؤمنين والمؤمنات إذا قضى رسولُ الله أمراً أن يختاروا من أمرهم ما شاءوا بل يجبُ عليهم أن يجعلوا رأيهم تبعاً لرأيه ﷺ، وذكر لفظ الرسول؛ لتعظيم أمره ﷺ، ولالإشعار بأنَّ قضاءه هو قضاء الله ﷻ (3).

(1) انظر: مفهوم الحرية بين الإسلام والجاهلية، علي الشحود، (ص: 159).

(2) قال قتادة: "خطب النبي ﷺ زينب وهو يريد لها لزيد فظنت أنه يريد لها لنفسه فلما علمت أنه يريد لها لزيد أبت فأنزل الله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الآية فرضيت وسلمت"، انظر: لباب النقول، السيوطي، (ص: 159)

(3) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (7 / 104).

المطلب الثالث

القيم السلوكية والحضارية التي تفرد بها القرآن الكريم

لقد تحدث القرآن الكريم عن حضارات قامت وأفلت، وعرض مالها وما عليها، دون أن يبخل حقها فيما أنجزت من عمران مادي، وفي كل مرة يلفت الانتباه إلى أهمية الجانب القيمي والسلوكي الذي يعد الميزان الذي يزن به الإسلام الحضارات؛ لأن القيم تنبع من عقيدة التوحيد، وهذا ما افتقدته كثير من الحضارات التي أفلت وسقطت (1)، لكن حضارة الإسلام تمثلت بمجتمع إسلامي ضم بجناحيه فكراً وسلوكاً إنسانياً متطوراً، دفع بالدولة الإسلامية إلى المدنية والحضارة أكثر فأكثر، حيث فعل من دور القيم الإسلامية في تقويم المعوج من السلوك، مما ساهم في بناء شخصية الإنسان المسلم.

ومن أبرز القيم التي استحدثها القرآن الكريم؛ لقيام دولة الإسلام العظيم في مهدها وهي كالتالي:

أولاً: الحوار الحضاري

سطع مفهوم الحوار الحضاري منذ بزوغ فجر الإسلام على الدنيا، حيث أدرك المسلمون طبيعة دينهم وعالمية رسالته، فقاموا يدعون الناس إلى هديه، واستخدموا الحوار وسيلة؛ لنشر الدين الإسلامي (2)، والحوار مصطلح أصله من الحور، وهو الرجوع عن الشيء إلى الشيء، ومنه المحاوره والتحاور: أي المجاوبة، ومراجعة المنطق، والكلام في المخاطبة (3)، وعرفه صالح بن حميد: "هو مناقشة بين طرفين أو أطراف، يُقصد بها تصحيح كلام، وإظهار حجّة، وإثبات حق، ودفع شبهة، وردّ الفاسد من القول والرأي" (4).

وقد سجل القرآن الكريم في آياته الكثير من الحوارات الحضارية عبر التاريخ، فالإسلام خير حضارة وضعت أسس حوار الحضارات وعززته على مدار التاريخ الإنساني، فقد ثبت حوار النبي ﷺ لمشركي قريش، ويهود المدينة، وحوار الصحابة لملك الحبشة، وحوار مصعب بن عمير ﷺ باعتباره سفيراً للإسلام (5).

(1) انظر: الحوار الحضاري في القرآن الكريم، سمية عليان، (ص:2).

(2) انظر: الحوار مع أتباع الأديان مشروعيته وآدابه، منقذ السقار، (ص: 19).

(3) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (4 / 217)، مفردات القرآن، الأصبهاني، (262).

(4) انظر: الحوار وآدابه، صالح بن حميد، (ص:2).

(5) للتوسع انظر: آداب الحوار من خلال سيرة مصعب بن عمير رضي الله عنه، عدنان الجابري.

ومن أبرز مظاهر الحوار الحضاري في تاريخ المجتمع الإسلامي الأول حوار النبي ﷺ مع وفد نجران كنموذج.

- وصف الموقف الحوارى:

فإن أهم اتصال بالنصرانية تمثل في قدوم وفد نصارى نجران (1) إلى المدينة المنورة بعد فتح مكة، سنة تسع من الهجرة، حيث نزل بسبب هذه الزيارة بضع وثمانون آية من صدر سورة آل عمران (2)، كان هدف الزيارة هو مناظرة النبي ﷺ بعد أن تلقوا خطاباً من رسول الله يدعوهم فيه إلى الإسلام، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران: 64]، وقد ناظروا النبي ﷺ وجادلوه في أمر عيسى وألوهيته وبنوته فتلا عليهم ما ورد في القرآن الكريم عنه ودعاهم إلى الرجوع عما في عقيدتهم فيه من انحراف، فماروا وكابروا فعرض عليهم المباهلة (3)، لكنهم لم يستجيبوا (4)، ولذلك كان الحوار معهم على صورة تختلف كثيراً عن الحوار مع الوفود الأخرى، ومن خلال الموقف الحوارى السابق نستنبط بعض المظاهر الحضارية للحوار في الإسلام هي:

1- الاعتزاز بالحق والتشبث به: إن انتصار النبي والمسلمين في معركة بدر كان ذا دويّ عظيم في أنحاء الجزيرة العربية، مما حفّز نصارى نجران على إرسال وفد؛ لاستطلاع النبأ النبوي العظيم، وخلاصة ما رواه المفسرون أن الوفد جاء في هيئة منظمة، وصورة منمقة، عليهم ثياب الجبّرات وهي ضرب من ثياب يمانية حريرية، وتحلوا بالخواتم الذهبية، حيث لم يكن همّ الوفد ولا من نيته أن يُسلم أو يفكر في الإسلام، وإنما أتى ليناظر الرسول من ناحية، وليبهر المسلمين من ناحية أخرى (5)؛ لذلك أجّل رسول الله الحديث معهم إلى اليوم التالي، ودعاهم للمباهلة، وهي دعوة إنصاف لا يدعو لها إلا

(1) وفد نصارى نجران: هم قوم وفدوا على رسول الله ﷺ بالمدينة في ستين ركباً، فيهم من أشرافهم أربعة عشر رجلاً، أحدهم يدعى العاقب، وأمير القوم وذو آرائهم واسمه عبد المسيح، وسيدهم وصاحب مجتمعهم واسمه الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أسقفهم وعالمهم، فدخلوا على رسول الله ﷺ إثر صلاة العصر في مسجده، انظر: جامع أحكام القرآن، القرطبي، (4/4).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (2/5).

(3) المباهلة: "أن يجتمع فريقان يختلفان في أمر، ثم يبتهلان إلى الله بأن يجعل لعنة الله على الكاذبين" انظر: الخطاب القرآني لأهل الكتاب وموقفهم منه قديماً وحديثاً، هود أبو راس، (ص: 128).

(4) انظر: التفسير الحديث، دروزة عزت، (7/110).

(5) انظر: انظر: جامع أحكام القرآن، القرطبي، (4/4)، التفسير الوسيط، الطنطاوي، (2/26)، أيسر

التقاسير، الجزائري، (1/283).

واثق بأنه على الحق، وهذه المباهلة لم تقع؛ لأن نصارى نجران لم يستجيبوا إليها لضعف موقفهم (1) قال تعالى: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [آل عمران: 61].

2- معالجة القضايا بالنقاش: حيث أثار الوفد عدة مسائل زعماً وافتراءً، فعالجها النبي ﷺ مستخدماً أسلوب النقاش والإقناع، ومنها قضية ادعائهم ألوهية عيسى عليه السلام، يقول الشعراوي: "أرادوا أن يتكلموا في مسألة عيسى عليه السلام، وأراد الحق سبحانه وتعالى أن يصفى القضية تصفية نهائية حتى لا تظل معلقة تلوكها الألسنة وتجعلها مثاراً للفتن" (2)، قال تعالى: ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ [آل عمران: 59].

3- تحرير مواضع النزاع: تنازع اليهود والنصارى كل يزعم أن إبراهيم عليه السلام منهم، فرد عليهم القرآن بقوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ السُّورَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران: 65]، حيث أقام النبي عليهم الحجة، ووجه أنظارهم إلى أن أصل الدين وروحه ما اتفقت عليه دعوة الأنبياء جميعاً وهو توحيد الله وعبادته، والافتداء بإبراهيم أبي الأنبياء عليهم السلام إذ إن ملته ملّة الإسلام، (3) قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (67) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: 67 - 68].

4- توجيه الخطاب بأحسن الأسماء وأكمل الألقاب: قام النبي بمناداتهم بألقاب يحبونها؛ استمالةً لقلوبهم ورعايةً للإنصاف، وتركاً للمجادلة الجافة، وطلباً للإفحام والإلزام، فخطبهم بقوله تعالى: ﴿ يا أهل الكتاب ﴾، وهذا الاسم من أحسن الأسماء وأكمل الألقاب عندهم، حيث جعلهم أهلاً لكتاب الله ﷻ (4)، وهذا الخطاب يدل على ضرورة عدم التناول على الرموز الدينية مهما كانت، ومن باب تغليب التذكير بالله ﷻ .

(1) انظر: التحرير والتتوير، ابن عاشور، (3/ 266).

(2) الخواطر، الشعراوي، (3/ 1517).

(3) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (3/ 252).

(4) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (8/ 251).

ثانياً: مظاهر النزعة الإنسانية للفكر الإسلامي

إن من خصائص الحضارة الإسلامية إنسانية النزعة⁽¹⁾، حيث نقلت الإنسانية من أجواء الحقد والتفرقة والعصبية إلى أجواء المحبة والرحمة والألفة، وتخلصت من جميع لوثات الجاهلية، ورسخت مفهوم المساواة الإنسانية⁽²⁾، في وقت كانت أوروبا تعاني من فترة الإظلام الفكري المسماة بالعصور الوسطى والتي استطلت إلى أكثر من عشرة قرون؛ بسبب تسلط الكنيسة، فكان الإنسان يُساق كما يساق القطيع، وقد ظهرت أبجديات النزعة الإنسانية للفكر في بداية عصر النهضة الأوروبية باعتبارها تغييراً في الفكر نجم عنه تغير في جميع شؤون الحياة⁽³⁾، ولهذا حُكم بالسبق الإسلامي للنهوض بالإنسانية، ومن أبرز مظاهر النزعة الإنسانية للفكر في الإسلام ما يلي:

1- تجميع الأعراق تحت إطار العقيدة (الوحدة الإسلامية): إن من روائع حضارتنا الإسلامية نبذ التفرقة العنصرية وتعزيز عوامل الوحدة، فقد نجح الإسلام فكرياً في تجميع الأعراق بغض النظر عن القومية؛ لأن الأصل البشري لأبناء البشرية قاطبة هو أصل واحد، وهو وحدة النوع ووحدة الاعتقاد، مهما تفرق الناس إلى أمم وقبائل وبلدان وأجناس، فإنما هو كتفرق البيت الواحد والأخوة من أب واحد وأم واحدة⁽⁴⁾، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: 1].

ومن هذا تبين أن العالم الإسلامي بعمق اتساعه الفكري ضم جميع الطوائف والسلالات البشرية والمستويات الفكرية، فكان منه الزنج و الإفرنج و القبجاق⁽⁵⁾،

(1) انظر: هذه الدراسة، (ص:193).

(2) انظر: من روائع حضارتنا، السباعي، (ص:61).

(3) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (2/799).

(4) انظر: التحرير والتتوير، ابن عاشور، (4/214).

(5) القبجاق: قبيلة من أصل تركية تقع في إقليم بحوض نهر الفولجا بالجنوب الشرقي من روسيا حالياً،

ويطلق عليها القبيلة الذهبية، وقيل هم المغول الذين أقاموا في البلاد التي منحها جنكيز خان قبل وفاته

لابنه الأكبر انظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، [خطأ! مرجع الارتباط التشعبي غير صحيح.](#) نون

و الصقلاب (1)، و البشناق (2)، و التتار و الأتراك ، و أهل الله و الهلاك، و الفقراء و الملاك ، و الفجار و النساك ، فالكل في الإسلام سواء في الإنسانية و إثبات الحقوق، لا يمكن التفرقة بينهم إلا بالتقوى و الصلاح، فمن سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله، فإن كرم الدنيا الغنى و كرم الآخرة التقوى (3)، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13].

2- الأخوة الإيمانية العامة: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10]، و الأخوة عقد، عقده الله بين المؤمنين، في مشارق الأرض و مغربها، يقوم على الإيمان بالله، و ملائكته، و كتبه، و رسله، و اليوم الآخر، و توجب أن يحب المؤمن لأخيه ما يحبه لنفسه (4)، و لهذا قال النبي ﷺ أمرًا بحقوق الأخوة الإيمانية عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا» (5)، و عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أخبر أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه و لا يسلمه، و من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته» (6) .

3- المؤاخاة الخاصة: إن سر النجاح الكبير، و العظمة المهيبة للحضارة الإسلامية تمثلت في نقطة البدء التي بدأ بها رسول الله ﷺ بعد هجرته للمدينة، و هي تشريع رابطة المؤاخاة الإيمانية التي مزقت كل رابطة، و أهدرت كل وشيجة ، إنها رابطة الحب في الله، التي يتهاوى دونها كل عرق و دم و تراب و جنس و لون (7)، و هي عبارة عن رابطة تجمع بين المهاجرين و الأنصار؛ بحيث يتأخى كل مهاجري مع أنصاري على حدة، و تقوم هذه

(1) الصقلاب: الرجل الأبيض، و هو مفرد الصقالبة، و قيل جبل حمر الألوان صُهب الشعور يتاخمون بلاد الخزر في أعالي جبال الروم، و ينحدرون من بلاد بين بلغار و قسطنطينية، و تطلق على أحد الأعراق الهندوآوربية، انظر: معجم البلدان، شهاب الدين الحموي، (416/3).

(2) البشناق: هم مسلمو دولة البوسنة و الهرسك و جوارها، و ترجع أصولهم إلى السلافيين الجنوبيين لكنهم اعتنقوا الإسلام قبل وصول الفاتحين العثمانيين بحوالي قرن كامل، انظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة . <https://ar.wikipedia.org>

(3) انظر: مدارك التنزيل و حقائق التأويل، النسفي، (3/ 357).

(4) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 800).

(5) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يُنهى عن التَّحَاسُدِ وَالتَّدَابُرِ، ح (6064)، (8/ 19).

(6) صحيح البخاري، كتاب الإكراه، باب يَمِينِ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: إِنَّهُ أَخُوهُ [ص: 22]، إِذَا خَافَ عَلَيْهِ الْقَتْلُ أَوْ نَحْوَهُ "، ح (6951)، (9/ 22).

(7) انظر: الولاء و البراء في الإسلام، محمد القحطاني، (ص: 19).

المؤاخاة على أساس العقيدة، وتوثيق المحبة والمودة والنصرة والمواساة بالمال والمتاع، وهذه المؤاخاة أخص من الأخوة العامة بين المؤمنين جميعاً؛ لأنها أعطت للمتأخيين الحق في التوارث دون أن يكون بينهما صلة من قرابة أو رحم⁽¹⁾، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدْتُمْ أَيْمَانَكُمْ فَأَتَوْهُمْ نَصِيبُهُمْ﴾ [النساء: 33]، ثم نُسخ العمل بها⁽²⁾، عندما استطاع المهاجرون أن يألفوا المدينة ويندمجوا في المجتمع الجديد، وفتح الله لهم أبواب الخير من غنائم الحرب وغيرها ما أغناهم عن الآخرين، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: 75]، مع بقاء معاني الأخوة من النصرة وتبادل العطايا وتقديم المشورة والنصيحة.

ثالثاً: تكريم المرأة:

لقد كانت النظرة السائدة اتجاه المرأة قبل الإسلام نظرة دونية، فقد كانت المجتمعات السابقة للإسلام تحتقر المرأة وتتنظر لها بازدراء، ولا جرم أن الباحث في حال المرأة قبل الإسلام لن يجد ما يسره، فقد عدّها العرب في الجاهلية متاعاً يُورث بعد الوفاة، والإغريق سموها رجس من عمل الشيطان، ووصفها سقراط بالشجرة المسمومة التي يكون ظاهرها جميل لكن عندما تأكل منها العصافير تموت حالاً، أما الرومان فكان شعارهم (ليس للمرأة روح) وكانوا يعذبونها بصب الزيت المغلي عليها، وشبه الصينيون القدماء المرأة بالمياه المؤلمة التي تغسل السعادة والجمال، وللرجل الحق في بيعها أو دفنها حية، والهنود تقدم المرأة قرابين لألهتهم، أما موقف اليهود والنصارى ليس بأفضل حال من أهل الشرك فقد عدوا المرأة باباً للشيطان، وعلاقة الرجل بها رجس، وكان اليهود يتجنبوا المرأة إذا حاضت ولا يأكلوا من طعامها⁽³⁾، فعن أنس: " أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا...." (4).

وبناءً على ذلك لم تنل المرأة في حياتها ما نالته من تكريم ورفعة في حياة الدعوة الإسلامية المحمدية، ومن أبرز مظاهر تكريم المرأة في القرآن الكريم ما يلي:

(1) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (1/ 505).

(2) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (2/ 206).

(3) انظر: المرأة في الفقه والقانون، د. مصطفى السباعي، (ص: 13-20)، عودة الحجاب، محمد المقدم، (ص: 47-75).

(4) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله، ح(302)، (1/ 246).

أ- حرمة وأد (1) البنات: كان أهل الجاهلية يدسون الموءودة في التراب؛ كراهية البنات (2)، أو مخافة الحاجة والإملاق، وإما خوفاً من السبي والاسترقاق (3)، فجاء العتاب الإلهي لهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: 8، 9]، حيث إن وأد البنات قتل للنفس البشرية، وهدر لشطر الحياة، ومصادمة لحكمة الخلق، وانحراف لمسار المجتمعات (4).

ب- المساواة مع الرجل في أهلية الخطاب الشرعي: منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 35]، حيث كان سبب نزول الآية الكريمة سؤال أم عمارة الأنصارية النبي ﷺ فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال وما أرى النساء يذكرن بشيء فنزلت إن المسلمين والمسلمات (5).

ت- المساواة مع الرجل في العمل والثواب والعقاب: قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: 195] وقد نزلت الآية الكريمة؛ تكريماً لسؤال أم المؤمنين أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حين قالت: يا رسول الله لا أسمع الله ﷻ ذكر النساء في الهجرة بشيء (6).

ث- ملكية التصرف المالي: قال تعالى: ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ [النساء: 32]، أي شرع القرآن للمرأة الحق في الميراث، فأوجب لها نصيب مما ترك الوالدان والأقربون، ولها أحقية التصرف الكامل به (7).

(1) الوأد: "دفن الأولاد أحياء"، انظر: الإكليل في استنباط التنزيل، السيوطي، (ص: 282).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (8/ 333).

(3) انظر: جامع أحكام القرآن، القرطبي، (19/ 232).

(4) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (4/ 2187).

(5) انظر: لباب النقول، السيوطي، (ص: 158).

(6) انظر: المرجع السابق، (ص: 52).

(7) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (1/ 368).

ج- عدم عضل المرأة⁽¹⁾ من الزواج: قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكَحْنَ أَرْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: 232].

ح- الاحتفاظ بأسمائهن: لطالما عُرفت المرأة المسلمة في التاريخ الإسلامي باسم عائلتها كمؤشر على شخصيتها وهويتها القانونية، فُعرفت أم المؤمنين بخديجة بنت خويلد، وعائشة بنت الصديق، وغيرهن الكثير حيث لم تتسب إحداهن لزوج حتى لو كان الزوج رسول الله ﷺ، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: 5].

وعلى العكس تماماً فقد أصبح من الشائع الآن بالنسبة لنساء المسلمات تغيير أسمائهن بعد الزواج بأسماء عوائل أزواجهن؛ تأثراً بالغزو الفكري، وهذا أمر مرفوض؛ لأنه من الأجدر التآسي بالصحابيات الكريمات رض الله عنهن جمعياً.

خ- حفظ المرأة بالحجاب: فرض الله ﷻ الحجاب صوتاً للمرأة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: 59]، والجلباب: هو ما يلبس فوق الثياب من ملحفة وخمار ورداء⁽²⁾؛ لأن الاحتجاب حاسم لمطامع الطامعين فيهن، فلا يؤذین من قبل الفساق أو من في قلبه مرض⁽³⁾، وقد كان الحجاب رمز للحرائر قبل الإسلام.

د- عقاب قاذف المحصنات: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: 23]، فقد توعد المولى عز جل كل فاحش اللسان يرمى النساء بالفحش، ويتعرض لهن بالقول، بالطرد والنبذ في الدنيا، فليس لهم فيها ذكر طيب، ولا كرامة لهم، ولا احترام؛ لخساسة نفوسهم، واللعن في الآخرة فهم مبعدون عن رضا الله، وعن أن ينظر إليهم، ولا يكلمهم⁽⁴⁾.

(1) العضل: الحبس والتضييق، ومنعهن أن يتزوجن من أردن من الأزواج بعد انقضاء عدتهن لحمية الجاهلية، انظر: فتح القدير، الشوكاني، (1/ 279).

(2) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 672).

(3) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، (6/ 245)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 672).

(4) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، (10/ 5171).

ذ- **حقها في الزواج الشرعي:** قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [النور: 32]، حيث ألغى الإسلام كل أنواع الزواج التي كانت تمارس في الجاهلية، والتي كانت لا تحفظ للمرأة حقوقها وكرامتها وتحط من قيمتها.

والخلاصة: حفظ الإسلام للمرأة حقوقها، وصاغ لها فكرها وجعلها تتبوأ أعلى المراتب، ومنحها استقلالية لشخصيتها، ونلمس هذا الأثر من خلال مواقف إسلام الصحابيات وهجرة بعضهن رغم كفر الزوج أو الأب، فهذه أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها تسلم وتهاجر مع أن أبها كان إذ ذاك من رؤوس الكفر، وهذه فاطمة بنت الخطاب تكون سبباً في إسلامه أخيها فاروق الأمة (1).

كما نظر الإسلام إلى المرأة على أنها شريكة الرجل في تحمل مسؤوليات الحياة، وأن النساء شقائق الرجال، ونلمس ذلك من دور أم المؤمنين أم سلمة كمستشارة للنبي ﷺ في صلح الحديبية، حيث كان لها دورٌ فاعلٌ وحيويٌ في حفظ جماعة المسلمين ووقايتهم من التدهور الذي انتابهم بعد شروط صلح الحديبية المجحفة بحقهم، فقد تدخلت بإشارتها على النبي ﷺ، حيث جاء في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «قُومُوا فَأَنْحَرُوا ثُمَّ اخْلُقُوا»، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتَحِبُّ ذَلِكَ، أَخْرَجْتُ لَمْ لَا تُكَلِّمَ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ خَالِقَكَ فَيَخْلُقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا خَالِقَهُ فَخَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَانْحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَخْلُقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا عَمَّا (2).

رابعاً: الأخلاق الحربية:

أقر القرآن الكريم فلسفة الحرب في الإسلام، التي تقوم على تربية النفس على مبادئ سامية؛ لمعرفة متى يحارب الإنسان وكيف يحارب ولأجل ماذا يحارب.

وذاكرة التاريخ تحتفظ للأمة الإسلامية بتجربة جهادية فذة كان لها أبلغ الأثر في بسط رسالة الإسلام، حيث تفرد بأخلاقيات سامية ونبيلة في وقت الحروب، وجعل لها ضوابط وشروط تضمن عدم تحولها إلى أداة للانتقام والتدمير والتخريب ومنها:

(1) انظر: جامع أحكام القرآن، القرطبي، (11 / 193).

(2) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ح(2731)، (3 / 196).

1- السلم هو العلاقة الطبيعية بين الشعوب:

إن الأصل في العلاقات الحضارية السلم، ومنه اشتق لفظ الإسلام؛ لأنه دين سلام ومحبة، قال تعالى آمراً المسلمين في الدخول في الإسلام وطاعة أوامره قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: 208]، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: 61] يقول الماوردي: هناك ثلاثة معاني متعاضدة هي:

المعنى الأول: إن مالوا إلى المودعة فَمِلَ إليها.

المعنى الثاني: إن توقفوا عن الحرب مسالمة لك فتوقف عنهم مسالمة لهم.

المعنى الثالث: إن أظهروا الإسلام فاقبل منهم ظاهر إسلامهم وإن تخلف باطن اعتقادهم (1).

وترى الباحثة في المعاني الثلاثة دلالة واضحة على سعة صدر الإسلام ولين جانبه ورفق معاملته؛ لأن الحرب في الإسلام لا تهدف إلى استعباد الناس وكسر إرادتهم، وإنما هدفها تحقيق الخير لهم، وإسعادهم بالإسلام، ولنا في رسول الله ﷺ أكبر مثال على ذلك، فهو رائد حضارتنا وواضع أساسها وشريعته، وقد عُذِبَ واضطهد وأُوذِيَ في سبيل دعوته، والأصل أن يكون من أشد الناس شوقاً إلى الدماء وظماً للانتقام، لكنه وادع وهادن وأرسل الرسل بديلاً عن الحرب.

2- الحرب المشروعة لا بد لها من غاية:

وغاية الإسلام الكبرى منها هو الدفاع عن عقيدة الأمة وأخلاقها، والدفاع عن حرية الشعوب واستقلالها وسلامتها (2)، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 193] ، والفتنة هي الشرك بالله وعبادة الأوثان (3)، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ [النساء: 75] إشارة واضحة على نُبل أهداف الإسلام من الحروب، فهي سبيل لخلاص المستضعفين؛ لأنَّ سبيل الله عام في كل خير، وخلص المستضعفين من المسلمين من أيدي الكفار من أعظم الخير (4).

(1) انظر: النكت والعيون، الماوردي، (2/ 330).

(2) انظر: من روائع حضارتنا، السباعي، (ص: 97).

(3) انظر: جامع البيان، الطبري، الطبري، (3/ 570).

(4) انظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (1/ 534).

3- تحريم القتال في الأشهر الحرم:

لله ﷻ أن يعظم بعض الأزمنة والأمكنة كما يشاء، فحرم أشهراً أربعة، وجعل المعصية فيهن أشد عقاباً، والطاعة أعظم ثواباً، وقد كان تحريم الأشهر الأربعة من بقايا شرع إبراهيم ﷺ في العرب، وقد تمسكت العرب بتعظيمها؛ وراثة عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فيحرمون القتال فيها، حتى لو لقي الرجل قاتل أبيه أو أخيه، لكن العرب أحدثت النسيء، فغيروا وبدلوا، فحرموا شهور الحل وحلوا شهور الحرم⁽¹⁾، لذلك أقر ﷻ في محكم تنزيله تحريمهن، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: 36].

والحكمة من تحريم بعض الأشهر من الحول؛ حقناً للدماء، وتخفيفاً من وتيرة القتال، ونشر السلام الأمان، يقول ابن كثير: "وإنما كانت الأشهر المحرمة أربعة، ثلاثة سرد وواحد فرد؛ لأجل أداء مناسك الحج والعمرة، فحرم قبل شهر الحج شهر، وهو ذو القعدة؛ لأنهم يقعدون فيه عن القتال، وحرم شهر ذي الحجة؛ لأنهم يوقعون فيه الحج ويشغلون فيه بأداء المناسك، وحرم بعده شهر آخر، وهو المحرم؛ ليرجعوا فيه إلى نائي أقصى بلادهم آمنين، وحرم رجب في وسط الحول، لأجل زيارة البيت والاعتمار به، لمن يقدم إليه من أقصى جزيرة العرب، فيزوره ثم يعود إلى وطنه فيه آمناً"⁽²⁾.

4- عدم تجاوز الحد في رد العدوان:

قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: 190]، هذه أول آية نزلت في تشريع القتال، وحملت بين ألفاظها معاني عظيمة ومبادئ راقية طبقها الرعيل الأول، تمثلت في قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾، أي: يجب قتال من أعدوا أنفسهم للقتال، فأما من لم يعد نفسه للقتال كالرهبان والشيوخ والمرضى والمجانين فلا تقاتلوهم؛ لأنهم لم يقاتلوكم، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أي: لا تقتلوا النساء والصبيان والشيوخ والرهبان ولا من ألقى إليكم السلام، وقيل: لا تتقضوا العهد معهم، وقيل: لا تبدؤوهم بالقتال⁽³⁾.

(1) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (3/ 29)، التفسير المنير، الزحيلي، (10/ 202).

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (4/ 148).

(3) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (1/ 121).

كما تحمل الآية نهي عن التمثيل بالأعداء، فقد روى عبد الله بن زيد رضي الله عنه قال: «نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ النَّهْبِ وَالْمَثَلَةِ» (1)، على رغم ما حدث في غزوة أُحُد من تمثيل المشركين بحمزة عم الرسول ﷺ، فإنه لم يُعَيَّر مبدأه، بل هَدَّد المسلمين تهديداً خطيراً إن قاموا بالتمثيل بأجساد قتلى الأعداء، وقد قال ابن مسعود ؓ في وصف حزن النبي ﷺ: ما رأينا رسول الله ﷺ باكياً قط أشد من بكائه على حمزة بن عبد المطلب ؓ، إلا أنه قبل اسلام قاتليه هند بنت عتبة وعبدها الحبشي (2)، كذلك أوصى أبو بكر الصديق ؓ يزيد بن أبي سفيان ؓ حين أرسله إلى الشام، ألا يقاتل إلا أن يرى منهم أذى (3).

وأختم بالقول أن هذه المعاني العظيمة والمبادئ الراقية طبقتها الرعييل الأول، وتمثلت في فعل القائد الأعظم وصاحب القلب الألين ﷺ حيث إذا أمر أميراً على جيش، أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال - فأيئنهن ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك، فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمه والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعين بالله وقتلهم....» (4).

(1) صحيح البخاري، كتاب المظالم الغصب، باب النهي بغير إذن صاحبه، ح (2474)، (3/ 135)،

و(النهب) أخذ الشيء من أحد عياناً وقهراً، و(المثله) العقوبة في تقطيع الأعضاء كجذع الأنف والأذن

وفقه العين ونحوها إلا إذا كان ذلك قصاصاً، انظر: منحة الباري بشرح صحيح البخاري، زكريا

الأنصاري، (5/ 253).

(2) انظر: الرحيق المختوم، المباركفوري، (ص: 255).

(3) انظر: جامع أحكام القرآن، القرطبي، (2/ 348).

(4) صحيح مسلم، كتاب الجهاد السير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بأداب الغزو

وغيرها، ح (1731)، (3/ 1357).

الخلاصة: إن الحضارة الإسلامية بمظهرها الفكري هي في جملتها حزمة من قوانين ومعارف وأخلاق وسلوكيات وقيم لا بد أن يحملها المسلم؛ ليستطيع القيام بمهام الجانب المادي لها، من تنظيم وإدارة واقتصاد وعمران؛ لأن بناء وتشيد القصور، وإقامة المشاريع العملاقة، واستخراج الكنوز وتنقيتها من شوائب الأرض وغيره، كل ذلك هين يسير بجانب تغيير سلوك إنسان، وما ذكرته في هذا الدراسة ما هو إلا غيض من فيض حضارتنا العريقة.

المبحث الثاني مظاهر الحضارة المدنية في المجتمع الإسلامي

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول الأمن واستقرار الإدارة السياسية

أحرز المجتمع الإسلامي سبقاً تاريخياً، وتفوقاً نوعياً، وجوهرياً، في إرساء قواعد النظام والاستقرار، لم يشهد له التاريخ مثيلاً، حيث جعل الدين الإسلامي الأمن والاستقرار من أعظم النعم على الإنسان، وأكد على ضرورة السلامة والاطمئنان النفسي لجميع البشر.

وعليه لو تمعنا النظر في التجربة التاريخية للمجتمع الإسلامي الأول، يتبين أن الدين الإسلامي انتشل الناس من حالة التشتت والضياع وانتشار الفتن وانعدام التوازن المجتمعي إلى حالة الأمن والاستقرار وانتظام الحياة، وقد تحقق ذلك في المجتمع الإسلامي بفعل تدابير الإدارة السياسية الإسلامية ومن أبرزها:

أولاً: إقامة الحكومة الإسلامية:

إن الأصل في الحكومات أن تكون إسلامية المنهج تتصف بالعدل والحكم الرشيد؛ لأنها ضرورة سياسية وحضارية لا مفر منها؛ لتنظيم الحياة العامة، وحماية الحقوق، وتنصيب القانون وسياسة الدولة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا مَكَتُّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: 41]، والمقصود بأهل التمكين كما قال ابن عباس: هم المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان، فهم الأمة التي فتح الله عليها فحكموا بشرع الله عز وجل، وهو شرط شرطه الله ﷻ على من آتاه الملك، وواجب على السلطان وعلى العلماء الذين يأتونه؛ لتقوم الحضارة وتنهض الدولة⁽¹⁾، وقد حدد القرآن الدعائم الأساسية لإقامة الحكم الإسلامي بشكل مستقيم وهي:

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (12 / 73).

1- السيادة للشرع:

تتميز الحكومة الإسلامية بأنها حكومة قرآنية تخضع للقرآن الكريم دستوراً سيادياً أعلى للدولة، قال تعالى في وصفه: ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: 42]، أي: "لا يأتيه التكذيب من الكتاب الذي قبله، كل يصدق هذا، ولا يجيء من بعده كتاب يكذبه" (1) ، كذلك هي حكومة نبوية تخضع لسنة نبينا محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: 4]، فهذه السيادة المحكمة ترسم للدولة الخطوط والمناهج العامة التي لا يصح لها أن تتعداها، من سن القوانين والأنظمة والتشريعات العامة.

2- تحديد مسؤوليات الحاكم والمحكومين:

أ- **مسؤولية الحاكم:** الأصل في الحكومة الإسلامية أن الحاكم هو المسؤول الأول عن إدارة شؤون الدولة ورعاية أفرادها، قال تعالى في حق الحاكم الأول: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ [النساء: 105]، أي: لتحكم يا محمد بين الناس في مسائل النزاع والاختلاف، وتبين أصول الدين وفروعه، والحكم بينهم في الدماء والأعراض والأموال وسائر الحقوق وفي العقائد وفي جميع مسائل الأحكام (2).

ب- **مسؤولية المحكومين:** وتتمثل في تنفيذ الأحكام ومعاونة الحاكم في مهامه، قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [التوبة: 71]، ومقتضى هذه المسؤولية عقد الموالاتة التي جعلها الله بين المؤمنين وهي ولاية النصرة والأخوة والمودة (3) .

3- الشورى في الحكم:

الحاكم وكيل على أمته، يعمل في خدمتها ولمصلحتها؛ لذلك وجب لها أن تُستشار في كل أمر يهمها، قال تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ [آل عمران: 159]،

(1) بحر العلوم، السمرقندي، (3/ 229).

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 199).

(3) انظر: تفسير المراغي، المراغي، (10/ 159).

أي: استعن بآراءهم؛ لأن بالمشورة استخراج الحق والصواب، وتسهيل الأمر المهم المشكل من شؤون المرء في نفسه أو شؤون القبيلة أو شؤون الأمة (1).

ثانياً: تعيين رُتب الصدارة (الخلافة والوزارة)

إن تعيين الحكام في عهد النبوة والصحابة الكرام ما كان يوماً بواسطة أو محاباة، إنما تعيين بواسطة الانتخاب والاختيار من قبل أهل الحل والعقد لمن هو أهلٌ لها، يقول الجاحظ: "وهذه المهمة ملقاة على عاتق الخاصة التي بوسعها معرفة من يستحق الإمامة دون سواه" (2)، وهذا من أكبر المظاهر الدالة على مدنية الدولة الإسلامية، وسمو حضارتها، فكثير من الأحكام المتعلقة بالدولة تتقرر بناءً على المصلحة العامة (3)، ومن هذا الباب توجب تعيين رتب الحكام في المجتمع الإسلامي؛ لما يترتب عليه من سياسة الدولة وتنظيم أمورها، وأهم رتبتين للدولة الإسلامية هما الخلافة والوزارة وتأصيلهما في القرآن كالتالي:

1- رتبة الخلافة: والخلافة هي " خلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا" (4)، وعقدها واجب بالإجماع، وتقوم على استخلاف قائد مسلم على الدولة الإسلامية؛ ليحكمها بالشريعة الإسلامية، قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [البقرة: 124]، والمعنى: " أني مُصَيِّرُكَ للناس إمامًا يُؤتم به، ويُقتدى به" (5).

وكان أبو بكر الصديق أول خليفة للدولة الإسلامية وقد تولى منصبه ببيعة المجتمعين في سقيفة بني ساعدة فور وفاة رسول الله ﷺ، وقد قال قولته المشهورة: " أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنِّي قَدْ وُئِيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، فَإِن أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي، وَإِن أَسَأْتُ فَفَقِّمُونِي، الصِّدْقُ أَمَانَةٌ، وَالكَذِبُ خِيَانَةٌ، وَالصَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ" (6)، كذلك عُين الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بوصية من الصديق أجمع عليها أهل الحل والعقد.

2- رتبة الوزارة: جرى أمر الخلفاء والملوك على اتخاذ الوزراء، والوزير هو الذي يعينه الخليفة؛ ليتحمل معه مسئولية الحكم والسلطان، فيفوض إليه تدبير الأمور برأيه، أو ينفذ أمره،

(1) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (4/ 147).

(2) الرسائل السياسية، الجاحظ، (ص: 6).

(3) انظر: معالم الدولة المدنية في الإسلام، د. ماهر أحمد السوسي، (ص: 20).

(4) الأحكام السلطانية، الماوردي، (ص: 15).

(5) جامع البيان، الطبري، (2/ 18).

(6) السيرة النبوية، ابن كثير، (4/ 493).

ونياية الوزير للخليفة تكون في التدبير أصح من تفرد الخلفية بالأمر، فيكون أبعد من الزلل وأمنع من الخلل⁽¹⁾، قال الله تعالى حكاية عن نبيه موسى عليه الصلاة والسلام في اتخاذ أخيه هارون وزيراً له: ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي* هارون أخي* اشدد به أزري* وأشركه في أمري﴾ [طه: 29-32]، والوزير من المؤازرة والأزر أي: الظهر والسند والقوة، وسُمي بذلك؛ لأنه يحمل عن السلطان وزره أي ثقله⁽²⁾، وقد اتخذ النبي ﷺ أبا بكر وعمر بن الخطاب وزيرين مقربين له، يستشيرهما في كل أمور الدولة.

ثالثاً: التدرج الهرمي في المراتب الإدارية

لا شك أن التدرج الهرمي للسلطة في ظل حكومة الإسلام لا يعني أن يكون هناك تمييز طبقي بين الناس؛ لأنه يتنافى مع مبادئ الإسلام العظيم، لاسيما أن القرآن الكريم أشار في أكثر من موضع قرآني إلى ضرورة العدل والمساواة وقد أشرنا إلى ذلك باعتباره أبرز قواعد البناء الاجتماعي للمجتمع الإسلامي⁽³⁾.

ولقد بين القرآن الكريم أن هذا التدرج في مجال الأعمال؛ بناءً على تفاوتهم في العلم والمعرفة؛ لذا يقول تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 76]، ويقول أيضاً: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: 11]، وفيه شاهد على أن التفاوت بين البشر من سنن الله في خلقه، وتفاوت الناس في العلم مؤذن بأن علم الذي خلق لهم العلم لا ينحصر مداه⁽⁴⁾.

وفي ذات السياق تحدث القرآن الكريم عن الحكمة الربانية من هذا التفاوت في قوله تعالى: ﴿لَنَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سَخْرِيًّا﴾ [الزخرف: 32]، أي: رفع الله ﷻ الناس بعضهم فوق بعض درجات في القوة والمال، والأجر، والعلم، والمعرفة والخبرة، وهذا التفاوت بين العباد أوجد الغني والفقير والمالك والمملوك والقوي والضعيف، ولو أنه سبحانه وتعالى سوى بينهم في كل الأحوال لم يكن أحد منهم مسخراً لغيره، وحينئذ يقضي ذلك إلى خراب العالم وفساد حال الدنيا، ولكن المولى ﷻ سخر أموال الأغنياء أجراً للفقراء بالعمل، فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش، فهذا بماله

(1) انظر: الأحكام السلطانية، الماوردي، (ص: 50).

(2) انظر: جامع أحكام القرآن، القرطبي، (11 / 193).

(3) راجع: هذه الدراسة (ص: 68).

(4) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (13 / 33).

وهذا بعمله فيلتم قوام العالم ويتكامل⁽¹⁾، وانطلاقاً من التدرج الهرمي للإدارة والتنظيم تكون الهيكل التنظيمي السياسي للدولة في عهد الرسول ﷺ كالتالي:

1- القائد الأعلى للدولة: ويتمثل في شخص الرسول ﷺ، فقد كان رسول الله ﷺ رجل دولة من الطراز الأول سياسياً وعسكرياً وإدارياً، فقد قال فيه تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21]، ومن هذه الآية نستدل على عظمة الشخصية التي يجب أن تتولى المنصب الأول للدولة، فعظمة النبي ﷺ تتعدى حدود القيادة العادية؛ لأن من المعروف أن تنشئة جيل جديد على مبادئ معينة أمر قد ينجح فيه معظم القادة، بيد أن تغيير مفاهيم رجال بلغوا سن الرشد بشكل كامل، فهذا أمر خارق للعادة استطاعه قائد أمة الإسلام بفعل تعاليم الإسلام السامية⁽²⁾.

ونجد في وصف جعفر بن أبي طالب للنجاشي أوضح صورة لتلك الحالة، حيث قال: "أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونُسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله ﷺ إلينا نبياً ورسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله ﷻ لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم، والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام والحج من استطاع إليه سبيلاً"⁽³⁾.

2- مجلس الشورى: يتمثل في صحابة رسول الله ﷺ، فهم مستشارو النبي ﷺ في شؤون الدولة العامة والخاصة، مثل أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة وغيرهم من جهاذة المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم جميعاً، وقد ثبت في كتب السيرة أن رسول الله ﷺ استشارهم في مواقف عديدة وأيده الله بهم قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِتَصْرِيحِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 62]، وقد أعلن الله ﷻ رضاه عنهم؛ لصدق قلوبهم، وثباتهم على الإيمان، قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: 18].

(1) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (4/ 108).

(2) انظر: قيادة الرسول السياسية والعسكرية، أحمد راتب عرموش، (ص: 10).

(3) السيرة النبوية، ابن هشام، (1/ 359).

3- أمين سر الرسول ﷺ: لكل تنظيم إداري أمين سر، وأمين سر رسول الله ﷺ هو حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، يقول ابن الأثير: "وحذيفة صاحب سر رسول الله ﷺ في المناققين، لم يعلمهم أحد إلا حذيفة، أعلمه بهم رسول الله ﷺ" (1)، وقد لخص الماوردي صفات أمين السر في قوله: " أن يكون ذا عقل، ودين حاجز، ونصح مبذول، وود موفور، وكتوماً بالطبع، فإن هذه الأمور تمنع من الإذاعة، وتوجب حفظ الأمانة" (2).

4- القضاة وولاة الأمصار: وظيفة القاضي والوالي من الوظائف الهامة والتي تدخل تحت منصب الخلافة، وهي من وظائف الخليفة وكان الخلفاء في صدر الإسلام يباشرونه بأنفسهم ولا يجعلون القضاء إلى من سواهم، وأول من دفعه إلى غيره عمر رضي الله عنه (3).

5- الوظائف الإدارية: تنوعت الوظائف والأعمال في ظل الدولة الإسلامية؛ بسبب اتساع رقعة الدولة الإسلامية واستحداث أمور جديدة لم تكن في الجاهلية، فأصبح لا بد للخليفة من اتخاذها للخدمة في سائر أبواب الإمارة والملك كالجندى وصاحب المدينة (4)، والعسس الليلي (5) والكااتب، والقسام (6) والمحتسب (7)، وغيرها من الوظائف الإدارية (8).

(1) أسد الغابة، ابن الأثير، (1/ 468).

(2) أدب الدنيا والدين، الماوردي، (ص: 308).

(3) انظر: تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، (1/ 275).

(4) صاحب المدينة: سمي بذلك؛ لأنه يقوم بحفظ النظام، ويساعد الوالي على استتباب الأمن في المدينة ليل نهار، ويقبض على الجناة وأصحاب الفساد والشر لتقديهم إلى القضاء، وكانت توكل إلى كبار القواد والموالي المخلصين لهم، وكان أصل وضعها في الدولة العباسية، انظر: تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، (1/ 277).

(5) العسس أو (حراس الليل): العسوسة نظام أمني في الدولة الإسلامية، والعسس هم حراس الليل من الجنود، مهمتهم الطواف بالليل، حيث يعسّون في الطرقات؛ لتتبع اللصوص، وطلب أهل الفساد، وأول من استن نظام العسس الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، (16/ 1472).

(6) القسام: هو من يقسم الغنائم على المسلمين، انظر: التراتيب الإدارية (نظام الحكومة النبوية)، محمد عبد الحي الكتاني، (1/ 239).

(7) المحتسب: هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحسبة في الإسلام ولاية دينية يقوم ولي الأمر الحاكم بمقتضاها بتعيين من يتولى مهمة الأمر بالمعروف إذا أظهر الناس تركه، والنهي عن المنكر إذا أظهر الناس فعله، انظر: الحسبة، وزارة الأوقاف السعودية، (ص: 1).

(8) انظر: تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، (1/ 480).

ومن خلال ذلك الاستقراء السريع للنظام السياسي في عهد الرسول ﷺ، يتضح أنه على الرغم من بساطته إلا أنه وَضِعَ للمجتمع الإسلامي نواة التنظيم الإداري الذي سار عليه الخلفاء الراشدون، ومن ثم أضافوا إليه ما وجوده ضرورياً، وما أملت عليه ظروف حياتهم، ثم أكمل خلفاء الدولة الإسلامية بشتى أطرافها المسير فأوجدوا للدنيا نظاماً سياسياً وتنظيماً إدارياً للدول كامل الأركان.

وقد قال الماوردي قولاً فصلاً في ذلك: "اعلم أن ما به تصلح الدنيا حتى تصير أحوالها منتظمة، وأمورها ملتزمة، ستة أشياء هي قواعدها، وإن تفرعت، وهي: دين متبوع وسلطان قاهر وعدل شامل وأمن عام وخصب دائم وأمل فسيح" (1).

(1) أدب الدنيا والدين، الماوردي، (ص: 133).

المطلب الثاني

مظاهر حضارة الأنظمة الإدارية في المجتمع الإسلامي

إن الحضارة الإسلامية التي نمت وأورقت في العهد الأموي ثم العباسي، وما بعدها من عهود إسلامية إنما وُضعت أسسها، وزُرعت بذورها في عهد النبوة، فأغلب أمور الحياة المعاشية والإدارية له في صدر الإسلام أصل يُرجع إليه (1)، وعلى ذلك فقد تميزت الأنظمة الإدارية في الإسلام عن غيرها في شتى الشرائع، ومن أبرز مظاهر حضارة الأنظمة الإدارية للمجتمع الإسلامي كالتالي:

أولاً: أصالة أدوات النظام الإداري:

النظام الإداري في الإسلام يتكون من أربعة عناصر متكاملة، وتأتيها في القرآن كما يلي:

1- **التخطيط:** التخطيط ليس وليد الحضارة الحديثة، بل من أبرز معالم الحضارة الإسلامية، وتجلى ذلك عملياً في سيرة رائد الإدارة الأول النبي محمد ﷺ، ومن شواهد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: 60]، وفي هذه الآية توجيه قرآني لضرورة التخطيط والاستعداد لمواجهة أي أمر مستقبلي، "والإعداد اتخاذ الشيء لوقت الحاجة إليه" (2).

2- **التنظيم:** التنظيم أداة من أدوات الإدارة التي تضمن تحقيق الأهداف من خلال تقسيم وتوزيع المهام والصلاحيات وفق قدرات الأفراد وميولهم واستعداداتهم، وقد شارك الرسول ﷺ في إدارة الدولة مجموعة من خيرة الصحابة الذين يُشهد لهم بالعقل والفضل والبصيرة، وقد كانوا من السابقين إلى الإسلام والذين لهم نفوذ وقوة في أقوامهم (3) ودليله في القرآن قوله تعالى: ﴿مَنْ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: 32].

3- **التوجيه:** اعتنى الإسلام بالتوجيه وأولاه رعاية خاصة؛ لشحذ الهمم، فهو دين يخاطب العقل، والروح، والوجدان، ونجد القرآن الكريم كتاب توجيهات وإرشادات منها قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَعَفُّوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: 237].

(1) انظر: التراتيب الإدارية (نظام الحكومة النبوية)، محمد عبد الحي الكتاني، (1/ 7).

(2) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (2/ 322).

(3) انظر: الإدارة في عصر الرسول ﷺ، أحمد كرمي، (ص: 93).

4- الرقابة: هي وسيلة إدارية تهدف إلى متابعة الأعمال ومدى تحققها على أرض الواقع، ومن شواهد الرقابة في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ اِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة:105] والمعنى: "أنكم مهما عملتم من خير أو شر، فإن الله مطلع عليكم، وسيطلع رسوله وعباده المؤمنين على أعمالكم ولو كانت باطنة" (1)، ويقول تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ اِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [لق:18]، "والرقيب: ملك يرقب قول الإنسان ويكتبه" (2).

من خلال التأصيل القرآني لأدوات الإدارة في القرآن الكريم تبين أن هناك علاقة وطيدة بين الإدارة التنظيمية للمجتمع والشريعة الإسلامية.

ثانياً: استقلال النظام القضائي

كان الناس في الجاهلية يتحاكمون للأعراف والعادات والتقاليد في حل ما يطرأ من مشكلات وما يقع من خصومات، وعندما جاء الإسلام أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يحكم بين الناس بما أنزل الله من أحكام في أمور الدين والدنيا، قال تعالى: ﴿أَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ﴾ [المائدة: 49]، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّٰهُ﴾ [النساء: 105]، ومن هذه الآيات استمد النبي ﷺ سلطته القضائية، وبدأت ترسم معالم النظام القضائي الجديد للدولة الإسلامية.

وعرف ابن خلدون القضاء بقوله: " هو الفصل بين الناس في الخصومات، حسماً للتداعي، وقطعاً للتنازع، بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة" (3).

وقد كان رسول الله ﷺ هو المشرع والقاضي والمنفذ، وكذلك كان الخلفاء في صدر الإسلام يباشرون القضاء والولاية بأنفسهم، وعندما اتسعت الدولة الإسلامية، واختلط المسلمون بغيرهم، وكثرت مهام الخليفة؛ تم تعيين قضاة مستقلين ينوبون عن الخليفة في الفصل بين الخصومات، وأول من فوض هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث فوض أبا الدرداء على المدينة المنورة، وشريحاً على البصرة، وأبا موسى الأشعري على الكوفة وكتب لهم كتاباً دُونَ فيه أحكام القضاة (4)، ثم احتاج القاض في وظيفته إلى مجموعة من الأعوان تعينه على ممارسة

(1) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 351).

(2) تفسير المراغي، المراغي، (26/ 158).

(3) مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، (1/ 220).

(4) انظر: مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، (1/ 275).

مهنته وأدائها على الوجه الأكمل، ومن هؤلاء الأعوان، (جماعة من أهل العلم والفضل، الكاتب، الحاجب (1)، البواب، المترجم، الجلواز (2)، الأجراء (3)، المزكون (4)، المؤدبون) (5).

ثالثاً: تكامل المنظومة الاقتصادية الإسلامية

الاقتصاد الإسلامي: "عبارة عن نظام مرتبط بالعقيدة والأخلاق الإسلامية، يحتوي على مجموعة من الإرشادات التي تساهم في التحكم في السلوك الاقتصادي" (6).

ويعتبر الاقتصاد الإسلامي ركناً أساسياً في تطور الأمة وعمارة الأرض؛ لذلك وضع القرآن الكريم منظومة اقتصادية كاملة؛ لسد حاجات الفرد وحفظ الأمن والاستقرار المجتمعي، وتعميم المال بين الناس، وتحقيق السعادة والرفاهية، حيث قامت المنظومة الاقتصادية الإسلامية على جملة من القواعد التي تقوم على أساس العقيدة الإسلامية والفطرة الإنسانية والمصلحة العامة، من أبرزها:

القاعدة الأولى: الحث على العمل والإنتاج: أشار القرآن الكريم إلى أهمية العمل والسعي في الأرض، وحثّ عليه وكرّمه العجز والكسل والبطالة والالتكالية، وجعل العمل المقترن بالنية الصالحة كالزراعة والصناعة والتجارة من العبادات الخالصة كالصلاة، والزكاة ونحو ذلك (7)، وحثّ على الكسب والنشاط الاقتصادي، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: 15]، والآية تحمل أمراً صريحاً من الله

(1) الحاجب: بمعنى البواب، وقيل: خاصّ ببواب الملك، وهو الذي يقدم الخصوم إلى القاضي ليقضي في خصومتهم بحسب أسبقيتهم في الحضور أو على حسب ترتيب رؤية دعاوهم، انظر: التعريفات الفقهية، البركتي، (ص: 75).

(2) الجلواز: وهو الذي يقوم على رأس القاضي ويقدم الخصوم إذا انتهت الخصومة ليخرجوا من مجلس القضاء وهو الذي يمثل الشرطة التي تحفظ الأمن في المحكمة وتحمي القاضي، انظر: النظام القضائي، وزارة الأوقاف السعودية، (ص: 21).

(3) الأجراء: ووظيفتهم إحضار الخصوم إلى مجلس القضاء إذا استعدى عليهم أصحاب الحقوق وينبغي أن يكونوا من ذوي الدين والأمانة والبعد عن الطمع. وهؤلاء أيضاً يمثلون جزء من شرطة المحاكم، انظر: النظام القضائي، وزارة الأوقاف السعودية، (ص: 21).

(4) المزكون: رجال عدول يختارهم القاضي دون أن يكونوا معلومين للناس لتزكية الشهود بعد السؤال عنهم، انظر: النظام القضائي، وزارة الأوقاف السعودية، (ص: 21).

(5) انظر: النظام القضائي، وزارة الأوقاف السعودية، (ص: 21).

(6) الموسوعة العربية العالمية، وزارة الأوقاف السعودية، (2/ 422).

(7) انظر: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، (ص: 248).

سبحانه وتعالى للناس في طلب الرزق، والسعي لذلك بالعمل وعدم الجلوس حيث إنه سهل لهم التمكن من جميع أنواع المعاملات والمكاسب عن طريق الزرع والغرس وشق العيون والأنهار وحفر الآبار وغيرها (1)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: 10].

القاعدة الثانية: المال مال الله والإنسان مستخلف فيه: إن الملكية الحقيقية للمال والرزق هي لله ﷻ، والإنسان مسؤول عنه كسباً وإنفاقاً، ومبتلى به أمام الله في الآخرة، وأمام الناس في الدنيا، فلا يجوز أن يكتسب المال من معصية أو ينفقه في حرام، ولا فيما يضر الناس (2)، قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: 7] أي: "أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه لها، ثم إنه تعالى جعلها تحت يد المكلف، وتحت تصرفه؛ لينتفع بها على وفق إذن الشرع، فالمكلف في تصرفه في هذه الأموال بمنزلة الوكيل والنائب والخليفة" (3).

القاعدة الثالثة: مراعاة حق المجتمع في مال الفرد: احترم الإسلام الملكية الفردية للمال، لكن ضبطها بضابط أساسي وهو إثبات حق المجتمع من مال الفرد، وخاصة أن النبي ﷺ بعث إلي مجتمع جاهلي ينظر للمال نظرة مادية بحتة بعيدة عن القيم والأخلاق والبواعث الإنسانية، مجتمع كان جُل همه جمع المال بأي طريقة، فجاء القرآن الكريم أمراً بعدم كنز المال دون الوفاء بحق الله تعالى؛ حتى لا يكون مدوالة واختصاصاً يتداولته الأغنياء الأقوياء دون غيرهم، لما في ذلك من الفساد، ما لا يعلمه إلا الله (4)، قال تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: 7].

القاعدة الرابعة: التوزيع العادل للثروة بين أفراد المجتمع: إن من روائع الإسلام أنه سبق الزمن وتخطى الاهتمام البشري بقرون عديدة في علاج مشاكل المجتمع الاقتصادية كالفقر والبطالة، ولم تكن هذه العناية سطحية أو عارضة بل من صُلب أركانه (5)، فقد أوجب المولى عزو جل رافدين هامين للتكافل الاجتماعي وإعادة توزيع الثروة بشكل عادل هما: الزكاة والصدقات، قال

(1) انظر: جامع أحكام القرآن، القرطبي، (11/ 193).

(2) انظر: أسس الاقتصادي الإسلامي في القرآن الكريم، د.ياسر أبو حسين، (6).

(3) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (29/ 450).

(4) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: 851).

(5) انظر: فقه الزكاة، القرضاوي، (1/ 9).

تعالى: ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَفْرِضُوا لِلَّهِ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: 20].

يقول الشيخ كشك: "وهناك زكاة لو طبقت ما رأيت في الطريق سائلاً، ولا في البيوت عاطلاً، ولا في السجون قاتلاً، وهي زكاة الركاز من المعادن، والبتروال الموجود في باطن الأرض مثلاً، فيها الخمس فلو أخرجنا خمس بترول الأمة الإسلامية حقاً لله في الزكاة، وأنشأنا به من شركات الاستثمار للفقراء والمساكين والباحثين عن العمل، فهل تبقى هناك من أزمة" (1).

لذلك توعد المولى عز جل الكانزين للمال بالعذاب الأليم في قوله تعالى: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم * يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ [التوبة 34 - 35]، والكنز: "هو المال الذي لا تؤدى زكاته" (2).

ويخلص بالقول: إن الزكاة والصدقات وسيلتان فعالتان؛ لتوزيع الثروة بكل عدل، وهذا ما حدث في عصر الخليفة العادل الإمام الزاهد عمر بن عبد العزيز يوم أقام العدل منهجاً ودستوراً، وعرف الأغنياء أن للفقراء حق في أموالهم، فجمعت أموال الزكاة ما وجد فقيراً واحداً يعطيه الزكاة.

القاعدة الخامسة: نظرة الإسلام للسوق: الاقتصاد الإسلامي عزز من دور السوق، حيث إنه ثاني مؤسسة قامت بعد المسجد النبوي في المدينة المنورة، وقد حث النبي على العمل بالتجارة، قال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُمُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: 282]، وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ [النساء: 29].

وقد كان العديد من الصحابة من التجار الأغنياء مثل أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وعثمان بن عفان رضي الله عنه، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، كما وضع الإسلام عدداً من الأدوات الاستثمارية في

(1) فتاوى الشيخ كشك، الشيخ كشك، (20-21).

(2) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، (2/ 116).

النظام الإسلامي كعقود الشركات بأنواعها، منها المضاربة⁽¹⁾، والمزارعة⁽²⁾، والمساقاة⁽³⁾، وغيرهم الكثير من العقود المشروعة.

القاعدة السادسة: اجتناب محظورات النظام الاقتصادي الإسلامي:

يحق للدولة الإسلامية التدخل لمنع الضرر عن الناس، فهناك بعض المحظورات التي أقرّ الإسلام اجتنابها من المعاملات الضارة بالمجتمع كالربا والغش والاحتكار والإسراف والاستغلال ومجموعة من البيوع المحرمة المنهي عنها⁽⁴⁾.

فقد حرم المولى الربا في قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: 275]؛ لما له من مفسد وأضرار جسيمة، وعواقب وخيمة، والدين الإسلامي لم يأمر البشرية بشيء إلا وفيه سعادتها، وعزّها في الدنيا والآخرة، فالربا يجعل الإنسان ضيق الصدر، وعبداً للمال، مما يؤدي إلى انحلال المجتمع وتفككه، عدا الأضرار الاقتصادية الوخيمة⁽⁵⁾.

وفي ختام المطلب: من الواجب القول بعد ذكر بعض مزايا النظام الاقتصادي الإسلامي، نجد أنه فاق النظم الاقتصادية الأخرى كالنظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي، فالنظام الرأسمالي قام على الطبقيّة القاسية، والنظام الشيوعي على أساس إلغاء الفوارق، وبالأمرين لم ولن تستقم الحياة مطلقاً.

(1) المضاربة: وهي أن يدفع شخص لآخر مبلغاً من المال ليتجر فيه على أن يشتركا في الربح، والخسارة على رب العمل، انظر: الفقه الإسلامي وأدلته، الزحيلي، (4/ 3098).

(2) المزارعة: هي العمل على استثمار الأراضي الزراعية بنسبة من المحصول، انظر: الفقه الإسلامي وأدلته، الزحيلي، (4/ 3020).

(3) المساقاة: هي تعهد العمل على سقاية وتربية الأشجار بنسبة من الناتج. وقد ثبت تشريعها في السنة، انظر: الفقه الإسلامي وأدلته، الزحيلي، (4/ 3020).

(4) انظر: الاقتصاد الإسلامي، وزارة الأوقاف الشؤون الدينية السعودية، (ص: 20).

(5) انظر: الربا، القحطاني، (ص: 71).

المطلب الثالث

بعض التطبيقات العملية لأنظمة المجتمع الإسلامي الأول

سار الرعيل الأول سيراً حثيثاً على مبادئ الإدارة الإسلامية فأنتجوا للعالم الإسلامي عدداً من السلوكيات والتطبيقات العملية التي كان لها في واقع المسلمين الأوائل الأثر البالغ، حيث صانت المجتمع الإسلامي من الانحراف، وحفظت الدين من الضياع، وحققت مصالح الناس الدينية والدنيوية وفقاً لشرع الله تعالى، ومن أبرز هذه التطبيقات ما يلي:

أولاً: الحسبة

بإذن رسول الله ﷺ وصحابته الكرام إلى تطبيق نظام الحسبة كأبرز نظام قضائي احترافي وهو نظام جدير بالاعتداء من قبل الأنظمة القضائية العالمية، امتاز بالبساطة، والوضوح، واجتنب التعقيد، يهدف لتحصيل المصالح، وتعطيل المفسد، وإيجاد مجتمع آمن مستقر تسوده المحبة ويجتمع أفرادها على التعاون والبر، وفصله في النقاط التالية:

- 1- **تعريف الحسبة لغةً:** الحسبة لفظ مشتق من مادة حسب، ويرجع أصلها في اللغة إلى العد والحساب، وطلب الأجر المثوبة، يقال: حسبت الشيء أحسبه حساباً وحساباً⁽¹⁾.
- 2- **تعريف الحسبة اصطلاحاً:** عرفها الماوردي: "هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا أظهر فعله"⁽²⁾.

3- **مشروعية نظام الحسبة:** هي وظيفة إدارية مارسها النبي ﷺ بنفسه وقلدها صحابته من بعده؛ استجابة لأمر الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: 104]، واللام لام الأمر، وحرف الجر (من) أفاد التبعية، وفيه دلالة على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات؛ لأنه لا يصلح له أن يقوم به إلا من علم المعروف والمنكر، وعلم كيف يرتب الأمر في إقامته وكيف يباشره، فالجاهل ربما ينهى عن معروف ويأمر بمنكر⁽³⁾، يقول ابن المبرد: يحتاج المحتسب إلى معرفة الأحكام الشرعية المختلفة من العبادات المعاملات

(1) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، (2/ 59).

(2) الأحكام السلطانية، الماوردي، (ص: 349).

(3) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (1/ 396).

والمباح من الأطعمة الأشربة والمحرم منها، وغيرها، كما ويحتاج إلى معرفة الصنائع ويميز جيدها من رديئها⁽¹⁾.

4- تاريخ الحسبة في الحضارة الإسلامية: كان رسول الله ﷺ أول من مارس الحسبة في التاريخ الإسلامي، فقد كان يمشي في الأسواق وينهى عن الغش والتطفيف في الكيل والوزن، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ مرَّ على صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَتَأَلَّتْ أَصَابِعُهُ بَلًّا فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَمَا يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»⁽²⁾.

ثم سار صحابته الكرام على ذات النهج، فكان الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمشي في السوق حاملاً دُرته الحسبية؛ لحث الناس على العمل والإنتاج وإنعاش السوق ومنع الظلم والجور، فعن موسى بن أنسٍ أخْبَرَهُ، أَنَّ سِيرِينَ، سَأَلَ أَنَسًا، الْمُكَاتِبَةَ - وَكَانَ كَثِيرَ الْمَالِ - فَأَبَى، فَانْطَلَقَ إِلَى عُمَرَ رضي الله عنه، فَقَالَ: كَاتِبُهُ فَأَبَى، فَضْرَبْتُهُ بِالدَّرَّةِ، " وَيَتْلُو عُمَرُ: «فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا» [النور: 33] فَكَاتِبُهُ " ⁽³⁾.

ولما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية صار يتوجب على ولاة أمور المسلمين تعيين من يروه أهلاً للقيام بالحسبة ويمدونه بما يحتاج إليه من الأعوان، وكان من أهم الأعمال الواجبة على المحتسب ما يلي:

- أ- يأمر العامة بالصلوات الخمس في مواقيتها ويعاقب من لم يصل بالضرب والحبس.
- ب- يتعهد الأئمة والمؤذنين، فمن فرط منهم فيما يجب من حقوق الإمامة أو خرج عن الأذان المشروع ألزمه بذلك.
- ت- يأمر بالجمعة والجماعات، وبصدق الحديث وأداء الأمانات.
- ث- ينهى عن المنكرات: من الكذب والخيانة، وما يدخل في ذلك من تطفيف المكيال والميزان والغش في الصناعات، والبياعات ⁽⁴⁾.

(1) انظر: الحسبة، ابن المبرد، (ص: 127-129).

(2) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»، ح(102)، (1/ 99).

(3) صحيح البخاري، كتاب المكاتب، باب المكاتب، وَتُجْوِمُهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ نَجْمٌ، ح(2559)، (3/ 151).

(4) انظر: الحسبة في الإسلام، ابن تيمية، (ص: 16).

هكذا قام الرعيل الأول المؤسس لأصول الحضارة الإسلامية بولاية الحسبة، حيث لم تأخذهم في الله لومة لائم، وقصروا أنفاسهم واستغرقوا أعمارهم على تحصيل رضاه، ونصحوا الدين لله، ودعوا خلق الله إلى الله، فريحت تجارتهم، وما خسرت صفقتهم⁽¹⁾.

ثانياً: بيت مال المسلمين:

1- تعريف بيت مال المسلمين: يقصد به المؤسسة التي تقوم بالإشراف على الصادر والوارد من الأموال، وهو أشبه بالخزانة العامة في الوقت الحاضر؛ حيث كل ما يعود للدولة من حقوق مالية وما تحتاجه من نفقات وصرف تتحمّله هذه الخزانة، ويضاف إليها باعتباره حقاً لها أو عليها⁽²⁾.

2- تاريخ بيت مال المسلمين في الحضارة الإسلامية: لا شك أن بيت مال المسلمين كان موجوداً منذ عصر الرسول ﷺ بعد هجرته إلى المدينة، لكن بدون مسمى، حيث كانت تُجمع فيه أموال الزكاة، وكان في بيت النبوة أو في بيت بعض الصحابة، لكن لم نعهده بهذا الاسم؛ لبساطة الحياة وقلة الواردات، فالدولة الإسلامية كانت ناشئة حينئذٍ، فلم يكن هناك موظفون لهم رواتب دائمة منظمة، وإنما كان يعطي من يقوم ببعض الأعمال أجراً على عمله، فإذا انتهى العمل انتهى الأجر، أما أول ذكرٍ لبيت المال في مصادر التاريخ كان في خلافة أبي بكر الصديق الذي اتخذ بيت مال في ضواحي المدينة المنورة وجعل عليه أبو عبيدة بن الجراح، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: لَمَّا اسْتُخْلِيفَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، قَالَ: «لَقَدْ عَلِمَ قَوْمِي أَنَّ حِرْفَتِي لَمْ تَكُنْ تَعْجِزُ عَنْ مَثْوَى أَهْلِي، وَشَغَلْتُ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، فَسَيَأْكُلُ آلُ أَبِي بَكْرٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ، وَيَحْتَرِفُ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ»⁽³⁾، فلما جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واتسعت رقعة البلاد الإسلامية، ووزادت واردات الدولة فكّر عمر بن الخطاب في طريقة تضبط هذه المصاريف، مثل: رواتب الجند والعمال والولاية ونحو ذلك من وجوه الصّرف على المصالح العامّة وحاجات الدولة، وما كان يبقى من أموالٍ بعد الصرف يُحفظ في بيت المال، وينفق في حينه⁽⁴⁾.

(1) انظر: لطائف الإشارات، القشيري، (1/ 268).

(2) انظر: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، (ص: 257).

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب البيوع، باب كَسْبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِهِ بِيَدِهِ، ح(2070)، (3/ 57)، (من هذا المال) من بيت مال المسلمين، (يحترف للمسلمين فيه) يتاجر لهم به حتى يعود عليهم من ربحه بقدر ما أكل وأكثر.

(4) انظر: التراتيب الإدارية (نظام الحكومة النبوية)، عبد الحي الكتاني، (1/ 80)، وأصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، (ص: 257).

وأكد ابن خلدون أن الوظيفة المالية من أهم وظائف الدولة، وبيت المال مهمته حفظ حقوق الدولة في الدّخل والخرج، وكلها مسطورة في كتاب شاهد بتفاصيله، مبني على جزء كبير من الحسابان لا يقوم به إلا المهرة من أهل تلك الأعمال، ويسمى ذلك الكتاب بديوان الأعمال والجبایات⁽¹⁾، ومن موارد بيت مال المسلمين الزكاة والخراج⁽²⁾ والجزية⁽³⁾ والفيء⁽⁴⁾ وخمس الغنائم وغيرها.

أما عن صادراته فهي مصارف الزكاة الثمانية قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 60]، وجميع أوجه الخير والمصلحة العامة.

ثالثاً: هندسة العمارة الإسلامية

إن نظرة الفكر الإسلامي للعمارة الإسلامية لم تكن من جانب واحد، بل تعددت زواياها وتشعبت جوانبها، فالعمارة الإسلامية عبارة عن مجموعة الخصائص البنائية التي تميز بها المسلمون؛ لتكوين هوية خاصة بهم تتطلق من فلسفة القرآن الكريم والسنة المشرفة، حيث أضفت على المجتمع الإسلامي طابعاً حضارياً مدنياً مميزاً، تمثلت في ثلاث جوانب⁽⁵⁾، هي:

الجانب الأول: العمارة البنائية " وهي الجزء الملموس في عملية التعمير، فيما يختص ببناء المباني، والصورة التي تكون عليها في ظل التعاليم الإسلامية"⁽⁶⁾، وقد أشار القرآن إلى كيفية التصميم المعماري لعناصر المباني، وخاصة المسجد والبيوت السكنية، ومن أهمها:

-
- (1) انظر: تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، (1/ 302).
 - (2) الخراج: الإتاوة أو الضريبة التي تؤخذ من أموال الناس على الغلة الحاصلة من الشيء، ويقال إن أول من وضع الخراج وجباه من الأنبياء موسى عليه السلام، انظر: النكت والعيون، الماوردي، (2/ 273).
 - (3) الجزية: المال المقدّر المأخوذ من الذميّ، فهي ضريبة على الرؤوس، يلتزم غير المسلم بأدائها إلى الدولة الإسلامية، انظر: وأصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، (ص: 263).
 - (4) الفيء: ما رده الله تعالى على أهل دينه من أموال من خالفهم في الدين بلا قتال، إما بالجلء أو بالمصالحة، على جزية أو غيرها، انظر: التعريفات، الجرجاني، (ص: 170).
 - (5) انظر: العمران والتعمير في ضوء القرآن والسنة، د. نوبي حسن، (ص: 3).
 - (6) العمران والتعمير في ضوء القرآن والسنة، د. نوبي حسن، (ص: 6).

1- **مداخل المباني:** إن تحديد مداخل المباني مبدأً عام في جميع المباني، يساهم في تأدية المبنى وظيفته على درجة عالية، وخاصة في المسجد والمسكن، وتظهر هذه الوظيفة في التالي:

أ- **وظيفة مدخل المسجد:** المسجد أهم مكان يُقصد للعبادة، لذلك له ضوابط خاصة في تحديد مدخله، فقد " حكى الترمذي عن أهل العلم أنهم كرهوا تخطي الرقاب يوم الجمعة وشددوا في ذلك" (1)؛ لأنه إيذاء للناس، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ: جَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «اجْلِسْ فَقَدْ آذَيْتَ» (2).

وعليه يتوجب أن تكون مداخل المساجد في الحائط الخلفي الموازي لحائط القبلة، حتى يتم ملء الصفوف الأولى أولاً بأول (3)، فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اتِمُّوا الصَّفَّ الْمَقْدَمَ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ، فَمَا كَانَ مِنْ نَقْصٍ فَلْيَكُنْ فِي الصَّفِّ الْمُؤَخَّرِ» (4).

ب- **وظيفة مدخل المسكن:** للمساكن حرمة شرعية لا يجب أن تُتهدك، لذلك أمر الله ﷻ بضرورة الاستئذان، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [النور: 27].

وما يؤكد هذه الضرورة وجود مدخل للمسكن يعمل كحيز انتقال، قبل الولوج إلى مرافق المسكن يوفر نوعاً من الوقاية لمن بداخله، وهذا ما كانت عليه حجرات النبي ﷺ ففي بداية كل حُجرة مدخل منكسر صغير (5).

2- **الحجرات في المساكن:** من عناصر المساكن في المجتمع الإسلامي وجود الحجرات الخاصة بالأشخاص مما يوفر نوعاً من الخصوصية الشخصية واحترام الذات، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: 4].

(1) فقه السنة، سيد سابق، (1/ 300).

(2) سنن أبي داود، أبو داود، تفريع أبواب الجمعة، بَابُ تَخَطَّى رِقَابِ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، ح(1118)، (1/ 292)، وصححه الألباني.

(3) انظر: العمران والتعمير في ضوء القرآن والسنة، د. نوبي حسن، (ص: 7).

(4) سنن أبي داود، أبو داود، تفريع أبواب الصفوف، باب تسوية الصفوف، ح(671)، (1/ 180)، وصححه الألباني.

(5) انظر: المدينة الإسلامية، محمد عبد الستار عثمان، (ص: 62).

والمعلوم أن بيت النبي ﷺ كان يتكون من حُجرات حول المسجد النبوي، ولكل زوجة من زوجاته حُجرة خاصة بها، وسُمي مجلسه الذي دُفن فيه عليه الصلاة والسلام حجرة (1)، كذلك كان لكل بيت محل لقضاء الحاجة، ومحل لمئونة السنة والطبخ ومحل للقاء الناس، ومحل لمبيت النبي ﷺ مع زوجته الطاهرة (2).

الجانب الثاني: العمارة المدائنية: هو جانب العمران والتعمير الخاص بإنشاء المدن، وتخطيطها بعناصرها المختلفة، وقد سار تخطيط المدينة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ إلى مركزية وسط المدينة باعتباره أهم عنصر فيها، يشتمل على أهم مرافقها ومن أهمها، المسجد، والسوق (3).

ويجب أن يراعي الحاكم شروطاً ثمانية عند تخطيط موضع المدينة وهي:

- 1- أن يسوق إليها الماء العذب؛ ليشرب أهلها، ويسهل تناوله.
- 2- وأن يقدر طرقها وشوارعها حتى؛ تتناسب ولا تضيق.
- 3- وأن يبني جامعاً للصلاة في وسطها؛ ليتعرف عليه جميع أهلها.
- 4- وأن يقدر أسواقها بحسب كفايتها؛ لينال سكانها حوائجهم عن قرب.
- 5- وأن يميز بين قبائل ساكنيها بألا يجمع أضعافاً مختلفة متباينة.
- 6- ويجعل خواصه محيطين به من سائر جهاته.
- 7- وأن يحيطها بسور مخافة اغتيال الأعداء؛ لأنها بجملتها دار واحدة.
- 8- وأن ينقل إليها من أهل العمل والصنائع بقدر الحاجة لسكانها حتى يكتفوا ويستغنوا بهم عن الخروج إلى غيرها (4).

الجانب الثالث: العمارة التنموية: " هو جانب العمران والتعمير الخاص بعملية التنمية العمرانية، بجوانبها المختلفة؛ سواء البشرية، أو البيئية، أو مصادر الثروة الخاصة بالمنطقة والمدينة" (5).

(1) انظر: أساس تأويل عمارة البيت العربي والمسجد، عبد العزيز أبا الخيل، (ص: 16).

(2) نظام الحكومة النبوية، محمد عبد الحي الكتاني، (2/ 54).

(3) انظر: العمران والتعمير في ضوء القرآن والسنة، د. نوبي حسن، (ص: 32).

(4) انظر: المدينة الإسلامية، محمد عبد الستار عثمان، (ص: 30).

(5) العمران والتعمير في ضوء القرآن والسنة، د. نوبي حسن، (ص: 41).

وأبرز مواضع العمارة التنموية هو إنشاء الأسواق في المدن الإسلامية، حيث تعد من محاور النهضة بعمرانها، وأحد الركائز الاقتصادية؛ لأن المدن تتفاضل بالأسواق وكثرة الأرزاق، مما ينعكس على ازدهارها وتشكيل حضارتها (1).

رابعاً: ضوابط البناء والإعمار في القرآن الكريم:

يقول ابن خلدون: إن البناء واختطاط المنازل إنما من منازع الحضارة التي يدعو إليها الترف والدعة، لكنه كان متأخراً في صحراء العرب؛ لغلبة نزعة البداوة عليها (2)، ففي بداية تكوين الدولة الإسلامية خطا الرسول الكريم ﷺ أول خطوة نحو بناء الحضارة المادية، وهو إقامة المسجد النبوي، فكان أول مبنى يُبنى في الإسلام؛ ليكون جامعة ومنتدى يتلقى فيه المسلمون تعاليم الإسلام وتوجيهاته، وقاعدة لإدارة جميع الشؤون، وبرلماناً لعقد المجالس الاستشارية والتنفيذية، حيث كان بسيط البناء، فقد بُني من حجارة، وأقيمت حيطانه من اللبن والطين، وجُعل سقفه من جريد النخل، وعمده الجذوع، وفرشت أرضه من الرمال والحصباء، وجُعل له ثلاثة أبواب (3).

ثم توالى المسلمون في إعمار وبناء البيوت والمساجد ومرافق الدولة الناشئة على أصول وضوابط إسلامية، وقد حددت التعاليم الإسلامية بعض الأسس التي من الواجب اتباعها في عملية العمران والتعمير الخاصة بالمباني والمدن، حيث توالى الإشارات القرآنية في توضيح بعض أسس وضوابط أصول البناء السليم في عملية العمران من منظور القرآن، منها:

1- التصور الصحيح للبناء والإعمار: استتكر القرآن الكريم عبثية الغاية من البناء والإعمار، وأشار لضرورة استناد عملية البناء والإعمار على تصور عقدي صحيح، وقد لفت القرآن الكريم النظر لانتهاء ثلاث حضارات معمارية (عاد، ثمود، الفراعنة)؛ بسبب عبثية الغاية، وممارساتهم الاعمارية الفاسدة (4)، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (9) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ (12) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿ [الفجر: 6 - 13]، .

(1) انظر: المدينة الإسلامية، محمد عبد الستار عثمان، (ص: 253).

(2) انظر: تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، (1/ 426).

(3) انظر: الرحيق المختوم، المباركفوري، (ص: 166).

(4) العمران والبنيان من منظور القرآن، يحيى وزيري، (ص: 26).

أ- عاد: قال تعالى معنفاً لقوم عاد: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (128) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء: 128، 129]، فقلوه تعالى: ﴿تَعْبَثُونَ﴾ تلعبون، وقلوه تعالى: ﴿عَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ ترجون الخلود في الدنيا، والمعنى: تبنون الأماكن المرتفعة والأبنية المختلفة عبثاً وإضاعةً للجهود، بقصد العبث بمن يمر في الطريق من الناس (1).

ب- ثمود: قال تعالى في حقهم: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ [الشعراء: 149]، أي: فإنهم كانوا يتخذون تلك البيوت المنحوتة في الجبال أشراً وبطراً وعبثاً، من غير حاجة إلى سكنها، وكانوا حاذقين متقنين لنحتها ونقشها" (2).

ت- الفراعنة: قال تعالى على لسان فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (36) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ [غافر: 36، 37]، حيث استخدم فرعون الأداة المعمارية (الصرح) أداة للاستهزاء من دعوة نبي الله موسى ﷺ، والصرح: "البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن بعد، وأصله من التصريح وهو الإظهار" (3).

2- توافق العمارة البنائية مع البيئة المتوفرة: أشار القرآن بمنتهى الإبداع إلى توافق مواد البناء مع طبيعة البيئة التي يقطنها الإنسان، فنتج عنها ضربين من العمارة:

أ- العمارة الثابتة: وتتمثل في العمارة في المناطق الجبلية والأودية والسهول، قال تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ [الأعراف: 74]، أي: تبنون القصور من سهولة الأرض؛ لأن القصور إنما تبنى من اللبن والأجر المتخذ من الطين السهل اللين وتشقون بيوتاً من الجبال" (4).

فقد بنى النبي ﷺ المسجد النبوي وكذلك حجراته من المواد المتوفرة في بيئته المدينة المنورة، فاللبن للحوائط، وجذوع النخل للأعمدة، وجريد النخل للسقف.

ب- العمارة المتنقلة: وتتمثل في العمارة في المناطق الصحراوية، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا

(1) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (2/ 574).

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (6/ 156).

(3) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (7/ 149).

(4) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (2/ 221).

أَثَانًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴿النحل: 80﴾، أي: تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها وقت ترحالكم، ووضعها أو ضربها وقت الحضر أو النزول (1).

3- الاختيار المناسب لموقع البناء: لقد أشار المولى ﷺ إلى ضرورة اتخاذ الموقع المناسب للبناء حتى يتميز بالثبات والقوة، ونلمس ذلك في الصورة البلاغية في قوله تعالى: ﴿أَقْمَنُ أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارُ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: 109]، والآية تعرض "استعارة مكنية، حيث شبهت التقوى والرضوان بأرض صلبة يقوم عليها البناء، ثم حذف المشبه به وأشار إلى شيء من لوازمه وهو التأسيس" (2).

4- البناء على قواعد متينة: بين الله ﷻ أهمية القواعد في البناء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ [البقرة: 127]،. يقول الرازي: القواعد جمع قاعدة وهي الأساس، والأصل لما فوقه، يقال رَفَعَ الأساس البناء؛ لأنه إذا بُني على قواعد متينة نُقِلَ من هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع وتطول بعد (3).

(1) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (3/ 236).

(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، (1/ 517).

(3) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (4/ 50).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على محمد ﷺ خاتم النبوة والرسالات، الحمد لله الذي أتم علي نعمه، أحمده سبحانه وتعالى أن كتب لي التوفيق والسداد، وأعانني فأكملت هذه الأطروحة، وأستغفره وأتوب إليه من كل خطأ أو زلل، وقد كانت كتابتي محاولة جاهدة للارتقاء والفهم، ومحاولة للصعود؛ لعلي أبلغ غايتي، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69].

فقد شاء المولى ﷺ أن تحمل هذه الدراسة عنوان (المجتمع المسلم ودوره في الصعود الحضاري_ دراسة موضوعية)، وهذه خاتمة بحثي أذكر فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الباحثة وذلك فيما يأتي:

أولاً: أهم النتائج

- 1- تتجلى عظمة القرآن الكريم، فما يفتأ الباحث في آياته عن موضوع معين، إلا وازداد يقيناً بأصالته، فعطائه لا متناهية وإشراقته مترامية.
- 2- تجلت حكمة الله تعالى ورحمته بإنزال القرآن الكريم تبياناً لكل شيء، وينبوعاً لكل حكمة، وهدى ونور وبشرى للمسلمين، ومنهجاً مستقيماً يحمل كل معاني الرفعة والسمو.
- 3- إن تعмир الأرض بالعمل الصالح المادي والمعنوي يساهم بالانتفاع بخيراتها بلا إفساد ولا تخريب، ويعمل على إشاعة الحياة والنماء فيها، ومحاولة استصلاح أحوالها بما يبسر للإنسان الحياة الطيبة، ويحقق مرضاة الله تعالى.
- 4- إن التقدم المادي البعيد عن القيم والفضائل الأخلاقية والمنهج السليم سبيل في انهدام الحضارات، ففساد المنهج وانقطاع علاقة الإنسان بخالقه يمثل اصطداماً حتمياً بالكون وينتج عنه الشقاوة والقلق.
- 5- تعد مقاصد عمارة الأرض جزء لا يتجزأ من مقاصد الشريعة الكلية، التي تهدف إلى حفظ الدين والنفس والعرض والمال والنسل.
- 6- نظم الإسلام شؤون الدين والدنيا، واعتنى بشؤون الفرد روحياً وجسدياً وعقلياً؛ لينهض بمسلم قوي ينشئ أمة قوية، فالأفراد لبنات المجتمع وهل يتكون بنيان قوي من لبنات خاوية ضعيفة!؟

- 7- الإنسان مدنيّ بالطبع؛ لذلك نجد التجمع البشريّ أمراً فطرياً يلزم النفس البشرية، فالإنسان يسعى إلى التأنس والتعايش مع الآخرين.
- 8- المجتمع الإسلامي هو جماعة الأفراد الذين اعتنقوا الإسلام ديناً والقرآن الكريم دستوراً، واجتمعوا على أصرة العقيدة والأخلاق الإسلامية المستمدة من تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية، غير مقيد بقرعة معينة، ولا جنس إنساني واحد.
- 9- يظهر الأثر الأعظم لقاعدة البناء الاجتماعي للمجتمع الإسلامي في تحقيق النهضة المجتمعية وازدهار البلاد، وانخفاض نسبة الجريمة والمشاكل المجتمعية
- 10- إن الإنسان خليفة الله في الأرض استخلفه فيها؛ ليعمرها ويرقيها وفق منهج الله، وهذا المنهج يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعلم؛ لأن عمارة الأرض وبناء المجتمعات لا يكون إلا بالعلم.
- 11- العمل يعمل على تماسك المجتمع وتقوية روابطه ويساهم في بناء المجتمع وتطوره، كما أنه وسيلة لتنظيم حياة الأفراد وينعكس ذلك على المجتمع بأكمله، ويساهم بشكل أساسي في رفع الاقتصاد وتحسين المستوى الاقتصادي للمجتمع.
- 12- نقل القرآن الكريم المجتمعات البشرية من تراثها القديم الذي يسوده الخرافات والبدع والضلال، وأبدله بمنهج قويم من عالم الأفق الرحب، حيث حدّد لها منهجاً واضحاً لمعالجة التاريخ الإنساني والفعل الاجتماعي.
- 13- لقد مر العهد المكي بثلاث مراحل ساهمت في تكوين المجتمع الجديد.
- 14- برزت الصناعة النبوية للشخصية المسلمة، في صياغة جيل الدعوة الفريد، الذي نقل المجتمع من مرحلة البناء والتكوين، إلى مرحلة القيادة والتمكين.
- 15- يعدّ العنصر البشري أهم العناصر المكونة للمجتمع الإسلامي الأول؛ لأن الإنسان محور التنمية الأساس في أي مجتمع
- 16- يتميز العنصر المعنوي بمجموعة من الروابط التي تربط أبناء المجتمع الإسلامي، وتقوي بناءه، جعلت منه مجتمعاً فريداً، لم يشهد له التاريخ مثيلاً في سمو الخلق، والتكافل والتعاون، كأنهم جسداً واحداً.
- 17- إن الثبات على دين الله مطلب أساسي لكل مسلم صادق يريد سلوك الصراط المستقيم بعزيمة ورشد، وبه يكون كمال الإيمان وحسن التوكل وقوة النفس ورباطة الجأش.

18- سيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين عطرة فواحة، فقد أثبتوا جدارتهم لقيادة العالم، وذلك بالثبات أمام مغريات الدنيا وتحديها بكل إصرار، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ﴾ [آل عمران: 185].

19- كان المجتمع المدني بعد بدر مجتمعاً مدخولاً بعناصر جديدة تحتاج إلى تصفية وصهر وتربية، مما أوجد تخلخلاً في بناء المجتمع المدني نشأ عن اختلاف مستوياته الإيمانية.

20- ذكر القرآن الكريم جملةً من العوامل الهامة الدالة على صعود الحضارة الإسلامية؛ حتى يتبين للناس بالدليل القاطع والبرهان الواضح أن حضارة الإسلام حازت الشرف والرفعة فوق كل الحضارات.

21- النماذج القرآنية للأمم والأقوام السابقة بينت انقسام المجتمعات حضارياً باعتبار ثلاث وهي (العلو، والركود، والتردي).

22- أشار القرآن الكريم إشارة واضحة لأهمية القيادة الرشيدة في تحديد بوصلة اتجاه الحضارات علواً وأفولاً من خلال.

23- تدور قوانين الحضارة في القرآن الكريم بين أربعة قوانين هي (التداول، والتدافع، والغلبة، والتغيير والاستبدال).

24- تتميز الحكومة الإسلامية بأنها حكومة قرآنية تخضع للقرآن الكريم دستوراً سيادياً أعلى للدولة، قال تعالى في وصفه: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42].

25- سار الرعيل الأول سيراً حثيثاً على مبادئ الإدارة الإسلامية فأنتجوا للعالم الإسلامي عدداً من السلوكيات والتطبيقات العملية التي كان لها في واقع المسلمين الأوائل الأثر البالغ، حيث صانت المجتمع الإسلامي من الانحراف، وحققت مصالح الناس الدينية والدنيوية.

ثانياً: أهم التوصيات

- 1- أوصي بمواصلة البحث في هذا الموضوع لمن أراد أن يضيف جديداً من العبر والعظات.
- 2- أوصي كلية أصول الدين بعقد مؤتمر علمي عن الصعود الحضاري للأمة الإسلامية لترسيخ مفاهيم الحياة، فالعلماء أئمة الإصلاح في الأرض، وسُبل عمارتها.

وختاماً: لا أملك إلا أن أقول أنني قد عرضت رأيي وأدليت بفكرتي في هذا الموضوع لعلي أكون قد وفقت في كتابته والتعبير عنه، وأخيراً ما أنا إلا بشر قد أخطئ وأصيب، فإن كنت قد أخطأت فأرجو مسامحتي وإن كنت قد أصبت فهذا كل ما أرجوه من الله ﷻ .

ولا أزيد على قول القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيسانيّ معتذراً للعماد الأصفهاني في كلام استدركه عليه: " إنني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يوم إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يُستحسن، ولو قُدم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر " (1).

وأسأل الله ﷻ أن يتقبل مني ما قدمت، وألا يؤاخذني على ما أخطأت، وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكتب لي ثوابه في الدنيا، وينفعني به بعد الممات، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(1) أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق القنوجي، (70/1).

المصادر والمراجع

المصادر المراجع

• القرآن الكريم

1. أبجد العلوم، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، ط1، (د.م)، دار بن حزم، 2002م.
2. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية برقم 5 /951 وتاريخ 1406/8/5، ط1، 1407هـ - 1986م.
3. الإتيان في علوم القرآن : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1394هـ - 1974 م، د.م.
4. الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجها البخاري ومسلم في صحيحيهما، ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت: 643هـ)، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 1420 هـ.
5. الأحكام السلطانية، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، (د.ط)، القاهرة، دار الحديث، (د.ت).
6. أحكام القرآن، أحمد علي أبو بكر الرازي الجصاص، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، (د.ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1405هـ.
7. أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط3، 1424 هـ - 2003 م.
8. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ط1، بيروت، دار المعرفة، 2005م.
9. أدب الدنيا والدين، أبو الحسن البغدادي، الشهير بالماوردي، دار مكتبة الحياة، ط1، 1986م.
10. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، د.ط، بيروت، (د.ت).

11. الأساس في التفسير، سعيد حوى، دار السلام - القاهرة، ط6، 1424هـ.
12. أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح- الدمام، ط2، 1412هـ - 1992م.
13. أسد الغابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، دار الفكر - بيروت، 1409هـ - 1989م.
14. الإصلاح وأثره على الفرد والمجتمع دراسة قرآنية موضوعية، فايز حسان سليمان أبو عمرة، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجامعة الإسلامية، غزة، 2004م.
15. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 1995م.
16. الإغراب في جدول الإعراب، أبو البركات الأنباري، تحقيق: سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ط1، 1957م.
17. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 1418هـ.
18. أوضح التفاسير، محمد عبد اللطيف بن الخطيب، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط6، رمضان 1383 هـ - فبراير 1964 م.
19. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5، 1424هـ - 2003م.
20. بحر العلوم=تفسير السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1993م.
21. البحر المحيط في التفسير: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، ط1، بيروت - لبنان، 1420هـ.

22. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، 1376 هـ - 1957م.
23. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد المرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: عبد العزيز مطر، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط1، 1970م.
24. تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1990م.
25. تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ط1، المكتبة العصرية، القاهرة، 2007م.
26. تأويلات أهل السنة: حمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت- لبنان، 1426 هـ - 2005م.
27. التحرير والتنوير: الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، د.ط، تونس، 1997م.
28. التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1424 هـ - 2003م.
29. التعريفات، الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م.
30. تفسير أسماء الله الحسنى، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت: 1376هـ)، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: العدد 112، 1421هـ.
31. التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، (د.ط)، 1383هـ.
32. تفسير الشعراوي = الخواطر، محمد متولي الشعراوي، ط1، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، 1997م.
33. تفسير القرآن (إختصار لتفسير الماوردي)، العز بن عبد السلام، تحقيق: عبد الله الوهبي، ط1، بيروت، دار ابن حزم.

34. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا على خليفة القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د:ط). 1990م.
35. تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن عمر ابن كثير، ط5، الرياض، دار عالم الكتب، 1416هـ.
36. تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، المشهور ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد الطيب، ط3، السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، 1419هـ.
37. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد 1390هـ)، دار الفكر العربي - القاهرة، 1997م.
38. تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365هـ - 1946م.
39. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، ط2، دمشق، 1418هـ.
40. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419 هـ - 1998 م.
41. التفسير الواضح: محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد، ط10، بيروت، 1413 هـ.
42. التفسير الوسيط للقرآن الكريم: الدكتور محمد سيد طنطاوي، مطبعة السعادة، د.ط، د.م، 1397هـ - 1977م.
43. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ط1، (د.م)، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1973 م.
44. التفسير الوسيط، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر - دمشق، ط1 - 1422 هـ.
45. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين عبد الله الأرمي العلوي الهري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي حسين مهدي، ط1، بيروت - لبنان، دار طوق النجاة، 1421 هـ - 2001 م.

46. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد ابن أبي نصر الحميدي، تحقيق: زبيدة عبد العزيز، ط1، القاهرة، مكتبة السنة، 1995م.
47. التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، الأستاذ الدكتور فضل حسن عبّاس، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1437 هـ - 2016 م.
48. تهذيب اللغة، محمد أحمد الأزهرى الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2001م.
49. التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط، 4، 1423هـ.
50. التوقيف على مهمات التعاريف (معجم لغوي مصطلحي) : محمد بن عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: الدكتور محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق - سورية، 1423هـ - 2002م.
51. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ، 2000م.
52. التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط1، 1405 هـ - 1985 م.
53. جامع البيان عن تأويل آي القرآن : الإمام ابن جرير الطبري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت - لبنان، 1421هـ - 2001م.
54. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، (د.م)، دار طوق النجاة، 1422هـ.
55. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964م.
56. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، ابن قيم الجوزية، جدة، مجمع الفقه الإسلامي، ط1، 1429هـ.
57. حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتير، القاهرة، ط1، (د.ن)، 2012م.

58. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، (ت430هـ)، القاهرة، دار الكتاب العربي، ط2، 1974م.
59. حياة محمد ﷺ، محمد حسين هيكل، (د.ط.)، القاهرة، (د.ن.)، (د.ت.).
60. الدر المصون في علم الكتاب المكنون : أحمد بن يوسف المعروف بالسمن الحلي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، ط1، دمشق - سورية، 1406هـ - 1986م.
61. دراسات في القرآن وعلومه، زكريا الزميلي، وآخرون، ط1، فلسطين: الجامعة الإسلامية.
62. الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، ط1، بيروت، دار الهلال، (د.ت.).
63. روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء، دار الفكر، د.ط، بيروت، د.ت.
64. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود عبد الله الحسيني الألوسي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415 هـ.
65. زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1422هـ.
66. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر ابن القيم، ط27، بيروت، مؤسسة الرسالة، الكويت، مكتبة المنار الإسلامية، 1415هـ.
67. زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، ط1، القاهرة، دار الفكر العربي، 2004م.
68. سنن ابن ماجه، ابن ماجه-وماجة اسم أبيه يزيد- أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، محمد كامل قره بللي، عبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430 هـ - 2009 م.
69. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، ط1، (د.م): دار الرسالة العالمية، 1430هـ.
70. سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، مصر، 1395 هـ - 1975 م.

71. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، (د.ط)، القاهرة، دار الحديث- القاهرة، 2006م.
72. سيرة ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (ت: 151هـ)، دار الفكر، بيروت، ط1، 1398هـ.
73. السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، إسماعيل عمر كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، (د.ط)، بيروت، دار المعرفة، 1395 هـ - 1976 م.
74. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك هشام أيوب الحميري المعافري جمال الدين، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط2، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1375هـ - 1955 م.
75. شرح ألفية ابن مالك: أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، د.ط، دن، دم، د.ت.
76. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، ط1، الرياض، مكتبة الرشد، بومباي، دار السلفية، 1423 هـ.
77. صفوة التفاسير (تفسير للقرآن الكريم) : محمد علي الصابوني، إشراف: مكتبة البحوث والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، بيروت - لبنان، 1421هـ - 2001م.
78. الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد البغدادي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط4، بيروت: دار الكتب العلمية، 1410هـ-1990م.
79. علم المقاصد الشرعية، نور الدين مختار الخادمي، ط1، (د.م)، مكتبة العبيكان، 1421هـ- 2001م.
80. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود أحمد موسى أحمد حسين الغيتابي بدر الدين العيني، (د.ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).
81. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد علي حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحِب الدين الخطيب، مع تعليقات: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (د.ط)، بيروت، دار المعرفة، 1379هـ.

82. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط 1، دمشق، بيروت، 1414 هـ.
83. الفساد والمفسدون دراسة قرآنية موضوعية، ضيائي نعمان السوسي، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجامعة الإسلامية، غزة.
84. الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط4، دمشق، دار الفكر، (د.ت).
85. فقه السنة، سيد سابق، ط3، بيروت، دار الكتاب العربي، 1397 هـ - 1977 م.
86. الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان، دار ركابي للنشر - الغورية، مصر، ط1، 1419 هـ.
87. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط32، 2008م.
88. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط8، 1426 هـ - 2005م.
89. قصة البشرية، ابن تيمية محمد بن إبراهيم الحمد، ط1، السعودية، (د.ن)، (د.ت).
90. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود عمرو أحمد الزمخشري، ط3، بيروت، دار الكتاب العربي، 1407 هـ.
91. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد محمد إبراهيم الثعلبي أبو إسحاق، تحقيق: أبو محمد عاشور، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1422 هـ - 2002 م.
92. الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق : عدنان درويش - محمد المصري، (د.ط)، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1998م.
93. كوثر المعاني الدراري في كشف حبايا صحيح البخاري، محمد الخضر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1415 هـ - 1995م.
94. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد الخازن، تحقيق: محمد علي شاهين، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415 هـ.

95. لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ضبطه وصحّحه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، عمان، دار الكتب العلمية، (د.ت)..
96. لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: عبدالله علي الكبير ومجد أحمد حسب الله وآخرون، القاهرة، دار المعارف، د.ط، د.ت.ن.
97. لطائف الإشارات = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط1، (د.ت).
98. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم، (د.ط)، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ.
99. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1418هـ.
100. المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي الفارسي، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، ط3، بيروت، دار الفكر، 1404هـ.
101. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 1422 هـ.
102. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.
103. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط5، بيروت-صيدا، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، 1999م.
104. المختصر في تفسير القرآن الكريم، تصنيف: جماعة من علماء التفسير، إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط3، 1436هـ.
105. المختصر في تفسير القرآن الكريم، جماعة من علماء التفسير، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط3، 1436هـ.

106. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1973م.
107. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف على بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419هـ - 1998م.
108. المدخل إلى التفسير الموضوعي، عبد الجواد عبد الجواد، ط2، (د.م)، دار النشر والتوزيع الإسلامية، 1411هـ - 1991م.
109. المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، غالب عواجي، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، ط1، 2006م.
110. المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، غالب عواجي، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، ط1، 2006م.
111. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ) - تحقيق: أحمد محمد شاكر - الناشر: دار الحديث - القاهرة - ط1 1416هـ، 1995م.
112. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ = صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1412هـ.
113. مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور ويُسمَّى: "المَقْصِدُ الْأَسْمَى فِي مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلْمُسَمَّى"، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، ط1، مكتبة المعارف، الرياض، 1408هـ - 1987م.
114. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، (د.ط)، بيروت، المكتبة العلمية، (د.ت).
115. معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي): الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - لبنان، ط1، 1420هـ.
116. معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ط1، بيروت، دار صادر، 1993م.

117. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، ط1، (د.م)، عالم الكتب، 1429هـ.
118. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1945م.
119. المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، (د.ط)، (د.م)، دار الدعوة، 2004م.
120. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط1، بيروت: دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
121. مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي، ط3، بيروت، 1420هـ.
122. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دمشق- بيروت، دار القلم، الدار الشامية، 1412هـ.
123. المفردات في غريب القرآن، الحسين محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دمشق، دار القلم، 1412هـ.
124. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1999م.
125. مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق: عبد الله الدويش، (د.م)، دار يعرب، ط1 2001م.
126. من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله الببلي البدوي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط1، 2005م.
127. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دمشق، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط3، (د.ت).
128. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووي): محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي - لبنان، ط2 - 1392هـ.
129. المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير محمد الغضبان، ط6، الأردن، مكتبة المنار،

1411هـ - 1990 م.

130. منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1424هـ-2004م.

131. الموافقات، إبراهيم موسى محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، (د.م)، دار ابن عفان، 1417هـ-1997م.

132. موجز التاريخ الاسلامي، أحمد معمور العسيري، ط1، الدمام، (د.ن)، 1996م.

133. الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، مطابع دار الصفوة، الكويت، ط1، 1993م.

134. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مانع بن حماد الجهني، ط4، مصر، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، 1420هـ.

135. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، (د.ط)، دمشق، دار القلم للنشر والتوزيع، 1426هـ-2005م.

136. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - ﷺ ، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط4، (د.ت).

137. نظم الدرر في تناسب الآي والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، د.ط، القاهرة، د.ت.

138. النُّكْت على مقدِّمة ابن الصلاح، أبو عبد الله بدر الدين الزركشي، تحقيق: زين العابدين بلافريج، ط1، الرياض، أضواء السلف، 1998م.

139. النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، د.ط، بيروت - لبنان، د.ت.

140. نهج البلاغة، الشريف الرضي علي بن أبي طالب، ط1، بيروت، (د.ن)، 1387هـ.

141. الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، محمد مصطفى الزحيلي، ط2، دمشق، دار الخير، 1427 هـ - 2006 م.

142. الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة)، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، مراجعة وتقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط1، السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، 1422 هـ.

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	الرقم	طرف الآية
البقرة		
117	5-1	﴿الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ... ﴾
123	7-6	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ... ﴾
125	8	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾
125	9	﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾
30	10	﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾
35	11	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾
229	12-11	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾
126	13	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾
35، 25	30	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾
217، 66	31	﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
27	34	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ... ﴾
13	35	﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾
123	40	﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾
120	82	﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾
251	124	﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾
42	126	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾
47	134	﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾
87	127	﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾
83	128	﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ﴾
160	137	﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾
128	143	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾
103	153	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾
168	156	﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
220	159	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾
221	170	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾
232	179	﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾
135	183	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾
106	184	﴿ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾
246	190	﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾
245	193	﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾
180	195	﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾
36	205	﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾
245	208	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾
152	217	﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾
83	221	﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ... ﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
119	222	﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾
243	232	﴿فَلَا تَعْضَلُوهُمْ أَنْ يَنْكَحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾
70	233	﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾
256	237	﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾
101	247	﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾
115	249	﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾
49	250	﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّثْ أَفْئَامَنَا وَاَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾
193	251	﴿لَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾
184	256	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾
49	258	﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾
24	275	﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾
260	282	﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُوبَهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾
58	285	﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾
ال عمران		
65	15	﴿قُلْ أُوْتَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ آتَقُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ ...﴾
219	18	﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا

الصفحة	الرقم	طرف الآية
		إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿
58	31	﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
40	34-33	﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾
73	35	﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا...﴾
238	61	﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾
237	64	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾
238	65	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾
238	68 - 67	﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (67) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ...﴾
53	69	﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾
159	102	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَتَّى تُقَاتِيَهُ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا ...﴾
65	103	﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
63	104	﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
198	110	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾
150	123	﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
150	124	﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾
188	133	﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾
160	137	﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ﴾
192	140	﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾
159	144	﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى ...﴾
119	146	﴿وَكَايِنٍ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلْ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾
164	151	﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾
164	152	﴿حَتَّى إِذَا فُشِلْتُمْ وَتَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
166	153	﴿فَأَنَابَكُمْ غَمًّا بِعَمْرِ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾
122	155	﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾
119	159	﴿وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله﴾
164	165	﴿أولمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا﴾
164	166	﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
165	167	﴿لِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعُنَاكُمْ هُمْ لِكُفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾
165	168	﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَن أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
152	173	﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾
160	185	﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ﴾
242	195	﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾
النساء		
239	1	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾
70	3	﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
70	4	﴿وَأْتُوا النِّسَاءَ صِدْقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾
220	5	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ...﴾
71	11	﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾
70	19	﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾
260	29	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾
242	32	﴿وَاللِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾
241	33	﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَأَوْهَهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾
70	40	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾
124	46	﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾
116	64	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾
245	75	﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾
49	78	﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾
53	81	﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَّرُوا مِنَ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ...﴾
77	82	﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
		اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿
169	84	﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾
233	90	﴿فَإِنْ اعْتَزَلْتُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾
230	93	﴿مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾
250	105	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾
71	129	﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّفَةِ﴾
61	139	﴿أَيَّبَتُّونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾
المائدة		
183	5	﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنْ...﴾
72	8	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا...﴾
49	25	﴿فَأَفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾
231	32	﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾
232	33	﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ...﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
75	48	﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾
257	49	﴿إِنِ احْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾
186	50	﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾
59	51	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا ...﴾
124	51	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ ...﴾
52	56	﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾
220	67	﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا...﴾
124	72	﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾
124	82	﴿تَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا...﴾
49	84	﴿وَنَنْظِمُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾
230	89	﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ ...﴾
119	93	﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾
الأنعام		
47	38	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ نُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
	45	﴿ فَفُطِعَ ذَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
49	77	﴿ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾
102	80	﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾
57	-162 163	﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾
50	147	﴿ وَلَا يَرُدُّ بَأْسَهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾
71	152	﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾
69	164	﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾
173	165	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾
الأعراف		
189	24	﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾
39	27	﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾
197	34	﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾
28	54	﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾
29	56	﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
49	59	﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾
213	69	﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي ... ﴾
269	74	﴿ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهولِهَا قُصُورًا وَتَنْجِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾
35	85	﴿ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾
53	87	﴿ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾
50	99	﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ هَـ ﴾ ﴿ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْخَاسِرُونَ ﴾
37	127	﴿ قَالَ سَنَقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾
37	137	﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾
34	142	﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾
67	159	﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾
25	169	﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ﴾
50	176	﴿ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾
67	181	﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾
61	201	﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
الأنفال		
30	1	﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾
150	9	﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِيفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴾
150	11	﴿ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾
150	12	﴿ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّثُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ ... ﴾
116	20	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾
149	45	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾
197	53	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾
100	60	﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ ﴾
245	61	﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْتَنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾
253	62	﴿ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾
196	66	﴿ فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
136	72	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾
241	75	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾
62	63	﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾
التوبة		
19	18	﴿إِنَّمَا يَعْزَّمُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ ...﴾
119	4	﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾
123	8	﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾
124	10	﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾
167	25	﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾
167	26	﴿يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ. ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾
260	35 – 34	﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم * يوم يحمى عليها في نار جهنم ...﴾
226	36	﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ لِلَّذِينَ ...﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
145	40	﴿ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هَمَّا فِي الْعَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾
157	41	﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾
156	42	﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ...﴾
157	46	﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾
157	47	﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ يَبْعُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾
229	60	﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ﴾
103	71	﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾
126	77-75	﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ يَنْتَهِبُوا مِنْ فَضْلِهِ لَنْتَصَدَّقَ وَلَنْتَكُونُوا مِنَ الصَّالِحِينَ* فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ...﴾
158	79	﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾
157	87	﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾
134	103	﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾
22	105	﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾
270	109	﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
		﴿بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ...﴾
149	111	﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ...﴾
129	120	﴿وَمَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾
53	122	﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾
يونس		
36	81	﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾
هود		
47	8	﴿وَلَيْنِ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾
49	50	﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ ...﴾
212	52	﴿يَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾
12	61	﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾
35	88	﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾
34	112	﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطَّعُوا إِنَّهُ بِمَا ...﴾
41	118	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
143	120	﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾
يوسف		
188	2	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾
88	4	﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾
88	5	﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾
86	12-11	﴿أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَزْتَعُ وَيَلْعَبُ وَانَّا لَهُ لَخَافِظُونَ﴾
195	21	﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾
98	33	﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾
20	43	﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا...﴾
21	47	﴿فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾
21	49-47	﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (47) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ ...﴾
131	67	﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾
	76	﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾
64	108	﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
الرد		
173	2	﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾
197	11	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾
184	17	﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ﴾
35	25	﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾
61	28	﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾
إبراهيم		
189	4	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
145	27	﴿يَتَّبِعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾
130	37	﴿بَنَّا إِيَّاهُ اسْكَنْتُ مِنْ دُرِّيِّهِ بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾
83	40	﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾
الحجر		
80	9	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾
109	94	﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾
النحل		
131	41	﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
		﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾
19	97	﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
250	4	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ﴾
58	36	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ...﴾
221	43	﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾
71	72	﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾
222	78	﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
270	80	﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَانًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾
75	89	﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾
67	90	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾
159	94	﴿لَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾
145	102	﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾
130	112	﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل

الصفحة	الرقم	طرف الآية
		﴿مكان﴾
47	120	﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾
62	125	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾
الإسراء		
64	16	﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾
104	23	﴿قَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾
105	24	﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾
84	31	﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾
97	32	﴿وَلَا تَقْرَبُوا الرِّثَا ^ط إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾
174	43	﴿سُبْحَانَہُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾
77	70	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾
الكهف		
33	90	﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَظْلَعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾
99	13	﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
233	29	﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾
200	83	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾
33	84	﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾
201	85	﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾
202	86	﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتَ ...﴾
198	88-86	﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتَ تَتَّخِذُ ...﴾
198	88-87	﴿نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (87) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾
199	90	﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾
199	93	﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾
180	95-94	﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾
34	95	﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ ...﴾
204	96	﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾
202	98	﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
مريم		
121	76	﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾
طه		
102	25	﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾
115	32-29	﴿واجعل لي وزيراً من أهلي* هارون أخي* اشدد به أزري* وأشركه في أمري﴾
185	39	﴿وَلْيُضَنِّعْ عَلَيَّ عَيْنِي﴾
185	41	﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾
102	130	﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾
الأنبياء		
18	30	﴿مَّا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾
23	80	﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ...﴾
18	105	﴿فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾
60	107	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾
الحج		
135	27	﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا تُوكِ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ...﴾
80	31	﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾
194	40	﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدِمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
		وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿
62	41	﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾
99	46	﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ ... ﴾
المؤمنون		
118	10-1	﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ ... ﴾
74	71	﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾
73	115	﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾
النور		
97	2	﴿ الرَّانِيَّةُ وَالرَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ... ﴾
120	21	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾
243	23	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾
39	27	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾
97	30	﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
98	32	﴿وَأُنكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾
97	33	﴿وَلَيْسَتَعْفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾
20	37-36	﴿ فِي بُيُوتِ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (36) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ ... ﴾
28	55	﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ ... ﴾
96	58	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ﴾
96	59	﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾
الفرقان		
143	5	﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾
143	32	﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾
الشعراء		
213	123	﴿كذبت عاد المرسلين﴾
212	-128 129	﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (128) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾
214	130	﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
213	-133 134	﴿ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيِّنَ * وَجَنَاتٍ وَعُيُونٍ ﴾
269	149	﴿ وَتَنَحُّونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴾
36	-150 152	﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾
النمل		
35	14	﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾
31	15	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
32	19-18	﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتِ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ... ﴾
31	17	﴿ وَخَيْرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالظَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾
31	16	﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ﴾
206	22	﴿ وَجِئْتِكَ مِنْ سَبَائِلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾
205	23	﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾
207	24	﴿ وَجَدْتُهُمْ وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾
207	28	﴿ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّىٰ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا ... ﴾
207	29	﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكِ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
207	31-30	﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ﴾
207	32	﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون﴾
186	33	﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأَوْلُو بِآسِ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا ...﴾
208	34	﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرََّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾
208	35	﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾
خ	40	﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾
208	44	﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ ...﴾
القصص		
37	4	﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾
101	26	﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾
73	50	﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾
61	70	﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾
37	76	﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
38	77	﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾
38	81	﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾
78	83	﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾
العنكبوت		
141	3 - 1	﴿الم (1) أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ... ﴾
146	8	﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾
36	30-29	﴿ أَبْنَيْكُمْ لِتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابٍ ... ﴾
50	30	﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾
134	45	﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾
60	69	﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾
الروم		
127	4 - 1	﴿الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ... ﴾
36	9	﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ ... ﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
136	21	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾
89	30	﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾
95	54	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾
لقمان		
89	12	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾
90	13	﴿يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾
90	14	﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾
90	15	﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾
91	16	﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِنْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾
91	17	﴿يَبْنِي أَقِمْ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾
94	19	﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾
93	19-18	﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (18) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ...﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
الأحزاب		
243	5	﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾
154	9	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾
152	11-10	﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ ...﴾
153	13	﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾
116	21	﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾
153	22	﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾
142	23	﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾
96	32	﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾
96	33	﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾
242	35	﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ ...﴾
235	36	﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ

الصفحة	الرقم	طرف الآية
		الْحَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿
243	59	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾
64	71	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... ﴾
سبأ		
31	12	﴿ وَلِسَلْيَمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجَبِّ مَنْ يَعْمَلْ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾
32	13	﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾
23	15	﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ ﴾
210	16	﴿ أَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سِيلَ الْعَرَمِ ﴾
210	17	﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نَجَازِي إِلَّا الْكَافِرَ ﴾
211	18	﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُورَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾
211	19	﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾
227	38	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
فاطر		
114	32	﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾
191	43	﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾
الصفات		
87	100	﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾
87	101	﴿فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾
87	102	﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ ...﴾
195	- 171 173	﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ﴾
149	173	﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ﴾
ص		
143	4	﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾
173	10	﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾
120	83-82	﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾
الزمر		
218	9	﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
145	33	﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾
40	73	﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾
غافر		
269	37-36	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (36) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾
59	60	﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾
فصلت		
214	15	﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾
214	16	﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾
160	30	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾
273	42	﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ...﴾
66	53	﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾
الشورى		
129	7	﴿كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾
196	30	﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
الزخرف		
47	22	﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾
69	32	﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾
23	51	﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾
107	87	﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾
الدخان		
192	38	﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾
الجانية		
68	13	﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾
الأحقاف		
83	15	﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾
211	21	﴿ وَادْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ﴾
محمد		
122	7	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُذْهِبْ أَقْدَامَكُمْ ﴾
181	19	﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾
178	33	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
الفتح		
253	18	﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾
65	26	﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾
112	27	﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ...﴾
الحجرات		
266	4	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُتَادُونَكَ مِنَ الْحُجْرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾
119	9	﴿وَأَقْسَمُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾
42	10	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾
54	13	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ ...﴾
ق		
257	18	﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾
الذاريات		
133	56	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾
214	41-42	﴿فِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ* مَا تَدْرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّيمِ﴾
الحديد		
259	7	﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلْنَاكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
121	16	﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾
188	21	﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾
68	25	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۚ﴾
المجادلة		
230	3	﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا﴾
252	11	﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾
52	19	﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾
194	21	﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾
الحشر		
184	3	﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبْتُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾
134	7	﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾
الممتحنة		
148	12	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ...﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
الصف		
119	4	﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرُضُوصٌ﴾
الجمعة		
259	10	﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾
المنافقون		
101	4	﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خَشَبٌ مُسْتَنْدَةٌ يَخْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾
الطلاق		
61	3	﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾
التحريم		
86	6	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ...﴾
الملك		
72	15	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾
79	14	﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾
القلم		
223	1	﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾
223	4	﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾
143	9	﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
الحاقة		
174	22	﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾
المعارج		
173	4	﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾
المزمل		
260	20	﴿ وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَفْرِضُوا لِلَّهِ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾
المدثر		
110	19-18	﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾
69	28	﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينًا ﴾
القيامة		
143	9	﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾
75	18-17	﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾
73	36	﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾
التكوير		
242 ، 84	9-8	﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾
الفجر		
212	8-6	﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ ﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
268	13-6	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8) وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ... ﴾
213	8	﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾
79	30	﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾
البلد		
30	10	﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾
229	13-11	﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾
التين		
129	3	﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾
68	4	﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾
العلق		
66	1	﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾
البينة		
78	7	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾
الزلزلة		
69	8-7	﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا... ﴾

الصفحة	الرقم	طرف الآية
قريش		
129	2-1	﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾
41	4-1	﴿إِیْلَافِ قُرَیْشٍ (1) إِیْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ ...﴾
189	4	﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾
الكافرون		
110	6	﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾
النصر		
144	3-1	﴿ذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾
المسد		
109	1	﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الحكم	الراوي	طرف الحديث
266	صحيح	أبو داوود	أَتَمُّوا الصَّفَّ الْمُقَدَّم، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ،
266	صحيح	أبو داوود	اجْلِسْ فَقَدْ أَذَيْتَ
155	صحيح	البخاري	أَرْسَلَنِي أَصْحَابِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَسْأَلُهُ الْخُمْلَانَ لَهُمْ،
41	صحيح	مسلم	الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ
159	صحيح	البخاري	اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ..
247	صحيح	مسلم	اغْرُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،
263	صحيح	مسلم	أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَمَا يَرَاهُ النَّاسُ،
25	صحيح	مسلم	إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوهٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا
146	حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ	الترمذي	إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ،
241	صحيح	مسلم	أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا....
84	صحيح	البخاري	أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نَدَاءً وَهُوَ خَلْقُكَ
63	حسن	الترمذي	إِنْ لِكُلِّ دِينٍ خَلْقًا، وَإِنْ خُلِقَ الْإِسْلَامُ الْحَيَاءُ
155	صحيح	البخاري	الآنَ نَعْرُوهُمْ وَلَا يَغْرُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ
167	صحيح	البخاري	أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ»
240	صحيح	البخاري	إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ،

الصفحة	الحكم	الراوي	طرف الحديث
188	صحيح	مسلم	بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ،
219	صحيح	البخاري	تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوَّدُوا
88	صحيح	البخاري	ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبَلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ ...
116	صحيح	البخاري	خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ،
263	صحيح	البخاري	سَأَلَ أَنْسَاءَ، الْمُكَاتِبَةَ - وَكَانَ كَثِيرَ الْمَالِ
116	صحيح	مسلم	عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ،
71	صحيح	البخاري	فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ"
244	صحيح	البخاري	فُؤِمُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ اخْلَقُوا
165	صحيح	البخاري	لَا تَبْرَحُوا، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلَا تَبْرَحُوا
53	صحيح	مسلم	لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق،
224	صحيح	مسلم	لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلَيْمَحُهُ، وَ
228	صحيح	مسلم	لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأَمَّتِي كُلُّكُمْ عَبِيدُ اللَّهِ
264	صحيح	البخاري	لَقَدْ عَلِمَ قَوْمِي أَنَّ حِرْفَتِي لَمْ تَكُنْ تَعْجِزُ عَنْ مَوْنَةِ أَهْلِي،
22	صحيح	البخاري	مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ،
23	صحيح	البخاري	مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا،
89	صحيح	البخاري	مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ،
92	حسن صحيح	أبو داود	مُرُوا الصَّبِيَّ بِالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ،
240	صحيح	البخاري	الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ،

الصفحة	الحكم	الراوي	طرف الحديث
229	صحيح	البخاري	مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً، أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا
218	صحيح	الامام أحمد	مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ
220	حسن صحيح	أبو داوود	مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ، فَكَتَمَهُ
60	صحيح	البخاري	مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا،
خ	صحيح	الترمذي	مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ
158	صحيح	البخاري	مَنْ يَخْفِرُ بِنُرِّ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ»
18	صحيح	مسلم	الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ
247	صحيح	البخاري	نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ النَّهْبِ وَالْمُنْتَلَةِ
155	صحيح	البخاري	وَاللَّهُ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلَا صُمْنَا وَلَا صَلَّيْنَا،
142	حسن	الترمذي	يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ

ثانياً: فهرس الأعلام المترجم لهم

الصفحة	اسم العلم
51	أحمد غلوش
176	مالك بن نبي
175	مصطفى حلمي